

8

جمهورية مصر العربية
جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
الأدب والنقد



البحتري ١٨

وشعره في الوصف

رسالة الماجستير

١٣٩٤ هـ
١٩٧٤ م
٠٠٠٢٧٢٨

٧٤٧



اعداد
عبدالله سليمان العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
محمد بن عبد الله الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين . وبعد :

انه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن أكون أحد المنتسبين الى جامعة
الأزهر ، القلعة الشامخة ، والمعقل الحصين ، هذه الجامعة العتيقة
التي تشع المعرفة والنور على مر الدهور ، وتضيء السبيل أكثر من الافعام من
الزمن ، تخرج حطة الشريعة المحمدية ، وتحافظ على اللغة العربية السامية
وآدابها الرفيعة العالية . وذلك بفضل رجالها المخلصين العاملين الذين
امتلكوا ناصية المعرفة وزمام البيك ، حتى صاروا أصحاب الفضل على
الكثيرين ، فالكثرة الكاثرة من المتعلمين في جميع أقطار المعمورة تدين
لهم بالاستاذية والعرفان على دوام الأيام والأزمان .

وبعد : أقدم بحثي المتواضع وكما كان بودي لو كان مخطوطاً أخرجته
للمكتبة العربية إلا أن عدم عشوري على مخطوط مناسب حال دون رغبتني
لذا عازمت على بحث شعر الوصف عند البحترى ، بعد أن استشرت أساتذتي
الدكاترة الأجلاء .

وسوف أتعرض في هذا البحث : لعصر الشاعر ، وحياته ، بالتفصيل ، ولشعره
وشاعريته . ثم أجول جولة سريعة في الأغراض التي طرقها . وبالتالي أحصى
أشعاره في الوصف وأدرسها بالتفصيل والتقسيم حسب الفهرس الذي سائتبه
في نهاية هذا البحث . ثم أبين خصائص هذا الوصف ، ومنزلة الشاعر وسبقه
الشعراء في بعض المجالات .

أرجو من الله العلي القدير العون والساد ، والتوفيق والرشاد .

الدارس / عبد الله بن سليمان بن راشد العقل

مخطط البحث

الباب الأول :

الفصل الأول : حالة العصر

- ١ - الحياة السياسية في العصر العباسي ،
 - ٢ - الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ،
 - ٣ - الحياة العقلية والأدبية في العصر العباسي .
- الشعر وخصائصه في العصر العباسي .

الفصل الثاني : حياة البحتري بالتفصيل .

الفصل الثالث :

- ١ - شعر البحتري ومميزاته .
 - ٢ - شاعريته وآراءه النقاد والأدباء فيها .
 - ٣ - نظرة سريفة في أغراض الشعر التي طرقها .
- الباب الثاني : الوصف في شعر البحتري .

الفصل الأول : تطور الوصف في الشعر العربي الى عصر الشاعر .

وصف ايوان كسرى .

الفصل الثاني :

- ١ - وصف القصور العباسية .
- ٢ - وصف الطبيعة .
- ٣ - وصف المدن والأقاليم .
- ٤ - وصف الحيوان .
- ٥ - وصف المعارك والسيوف .
- ٦ - وصف الطيف والشب .
- ٧ - وصف المواكب وغيرها .

الفصل الثالث :

- ١ - خصائص شعر الوصف عند البحتري وآراء النقاد فيه .
- ٢ - منزلة البحتري في شعر الوصف واستاذيته للشعراء فيه .

الخاتمة .

مراجع البحث ومصادره .

الفهارس .

نظرة عامة

البسبب الأول الفصل الأول : حالة العصر

الحياة السياسية في العصر العباسي

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا فملا الأَرْضَ نورا وعدلا ، وقضى على
النعرة الجاهلية التي كانت قائمة قبل الإسلام ، فتوحدت الأمة وتحدد الهدف ، ثم
انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى . ومن المعروف أنه لم يوص بالخلافة من
بعده لأحد ، بل ترك الأمر شورى بين المسلمين فاجتمعوا في سقيفة بني ساعدة ، واختاروا أبا بكر
خليفة عليهم ، ولكن البعض كان يرى أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب أولسى
بالخلافة ، نظرا لقرباهما من الرسول وكونهما من آل بيته ، لكنهم آثروا مبايعة أبي بكر حرصا
منهم على جمع كلمة المسلمين . وبعد أبي بكر تولى الخلافة عمر بن الخطاب ثم عثمان ثم علي بن
رضوان الله عليهم أجمعين .

وقد نشأ الخلاف المشهور بين علي ومعاوية ، فامتنع معاوية عن مبايعة علي ، ولكن الخلافة
الراشدة ما لبثت أن انتهت بمقتل علي رضي الله عنه ، وقامت الدولة الأموية بعد ذلك التي لم تسر
على الطريقة التي سارت عليها الخلافة الراشدة ، فظهر الترف والبذخ والفساد في عهد بعض
الخلفاء ، كما وجدت العصبية القبلية واضطهاد العناصر غير العربية وخاصة العناصر الفارسية
يضاف الى ذلك الانتقاضات والثورات الداخلية كثورة الكوفة والمدنية ومكة . ومن المعروف أن ابن
الزبير استولى على مكة ، ولكن بني هاشم رفضوا مبايعة أمثال عبد الله بن عباس ومحمد بن علي ابن
أبي طالب المعروف بابن الحنفية . فاضطهد ابن الزبير بعضهم وحبس البعض الآخر . وفي هذه
الأثناء ظهر المختار الثقفي ورأى أن الوقت مناسب للانتفاع من وراء هذه الفتن ، فذهب الى
الكوفة داعيا لمحمد بن الحنفية وأخراجه من السجن ، وكون جيشا من الشيعة فتكهن من أخراجه
لكن عبد الله بن الزبير كلف أخاه مصعبا بالقضاء على المختار فقتل عليه .

وبعد ذلك تولى الخلافة عبد الملك بن مروان فبايعه ابن الحنفية ولكن الشيعة لم يرضوا عن
هذه المبايعة وادعوا أن ابن الحنفية مغلوب على أمره ، وكان الحق له في الخلافة وبعد مدة توفي
محمد فجعل بعض الشيعة ولاءهم لولده أبي هاشم . وكان هناك محمد بن علي بن عبد الله بن
عباس الذي يسكن الحمية ، فنزل عنده أبو هاشم لمرضه وعند ما أحس بالوفاة أوصى بالخلافة عام ١٠٠ هـ
لمحمد بن علي ، وقد كان هذا حازما وبعث الدعوة في الأمصار للدعوة له سرا ، واختار خراسان قاعدة
لدعوته لوجود الفرس الذين يكرهون بني أمية ، وما زال سائرا في طلبه حتى قرب أجله فعهد بالأمر الى
ابنه ابراهيم الامام فسار على طريقة والده ، وقد اختار ابراهيم لدعوته أبا مسلم الخراساني فقدم أبو
مسلم الى خراسان عام ١٢٩ هـ فقوى شأنه وكثر أتباعه ، ولكن عامل بني أمية في فارس
نصر بن سيار تنبه للأمر ، فأرسل الى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية

يخبره بالأمر ولكن مروان لم يأبه لقوله اول الأمر ، ولكنه أخيراً ارسل من يعتقل ابراهيم الأمام
الذى اوصى بالخلافة من بعده لأخيه ابي العباس السفاح ، وقد ظل ابراهيم سجيناً حتى مات -
اخذاً بمسلم يدعو اهل خراسان الى مهاجرة السفاح فيايعوه ثم يايعه اهل الكوفة ، وبعد ذلك
توجه ابو مسلم لمحاوية مروان فولى هاربا الى مصر ، فتابعته جيوش العباسيين حتى ظفرت به
وقتلته . ومقتل مروان بن محمد عام ١٢٢ هـ سقطت الدولة الأموية وقامت على انقاضها دولة بني
العباس التي صارت دولة جديدة في ريعان الشباب والقوة . ثم تولى المنصور الخلافة بعد
العباس واخذت تنتقل من قوى الى اقوى حتى آلت الى الأمين الذى عمل على نقل ولاية العهد
من اخيه المأمون الى ابنه موسى ، مما سبب قيام حروب بين الآخرين قتل في نهايتها وتولى المأمون
الخلافة وفي آخر خلافته شبت ثورات في بعض انحاء البلاد أثارها كل من انصار الأمين والعلويين
كما عاث السزط في الأرض فساداً ، واستطاع المأمون ان يخمد بعضها . وبعد تولى المعتصم
الخلافة قضى على البعض الآخر . ولكن المعتصم كان سبباً في ضعف سلطان الخلافة واضطراب -
امرها من بعده ، حيث استخدم الأتراك وقربهم واستكثر منهم . فعلاشأنهم وقويت شوكتهم
فآذوا الناس واعتدوا عليهم في بغداد ، وارتفعت الشكوى ضد هم الى الخليفة فاضطر الى أن أنشأ
لهم (سرم راي) وانتقل معهم اليها وقد اخذ الأتراك يجمعون السلطة في ايديهم ، ولما تولى
الواثق بن المعتصم الخلافة شبت اقدام الأتراك حيث استخدمهم للقضاء على ثورة الأعراب نفسى
المدينة ، ولكن ما لبث ان اصبح الأتراك مصدر خطر يهدد سلطان الخلافة كما ازداد امر الخلافة
سواءً وفساداً بسبب الخلافات القائمة بين الاسرة العباسية نفسها ، وعند ما وصل المتوكل الى -
الخلافة احسن بتوغل الأتراك وسيطرتهم ، فاراد ان يقلل من نفوذهم وقضى على بعضهم سهم
كأيتاخ فخافوا على سلطانهم منه خاصة بعد ما اراد ان ينقل الخلافة الى دمشق وجعلها عاصمة
الخلافة بدل سامراء ، وكان المتوكل قد اوصى بالخلافة من بعده الى اولاده الثلاثة المنتصر ثم
ثم المعتز ثم المؤيد ، وكان هيل الخليفة مع المعتز فخاف المنتصر ان ينقل ولاية العهد اليه فتوغل
الخلافة بعد المتوكل الى المعتز ، واستغل الأتراك ذلك فالتفوا حول المنتصر وزينوا له قتل ابيه
لتخلص له الخلافة من بعده . فتوطأ مع الأتراك واقدم على المشاركة في قتل ابيه فقتل المتوكل
وزيره الفتح بن خاقان في القصر الجعفرى وكان الشاعر البحترى حاضراً هذه الحادثة كما سوفياتى
تولى المنتصر الخلافة ولكن مدته لم تطل الاستة اشهر فمات على اختلاف في اسباب موته وقبل
موتهم على ابعاد اخويه عن الخلافة . وصار الامر بأيدي الأتراك يولون من ارادوا ويحزلون من
ارادوا . فولوا المستعين الخلافة وسلبوه كل سلطة وصلاحيه وصار الأمر كله لهم تماماً . فحاولوا
قتل الخليفة . فولى هاربا الى بغداد . وكان المعتز سجيناً فأطلقوا صراحه وهينوه خليفة وجعلوا
اخاه المؤيد ولياً للعهد . فلم يرع المستعين عن هذا التصرف وكادت الحروب ان تشتعل بينه

وبين المعتز ولكنه تنازل عن الخلافة ومطالبته بها بشرط ان تضمن له الحياة . ولكن المعتز قتله وخلع المؤيد عن ولاية العهد ولم يكتف بخلع بل قتله في السجن . هذا من جهة المعتز والمستعين والمؤيد . أما الجند من جهة اخرى فنثاروا على المعتز وطالبوه بالعطاء فلم يجدوا عنده مالا فخلعوه وهاموه اثناع معاملته فقد دخلوا في حجرته وجروه برجله وتناولوه ضربا واقاموه في الشمس في وقت شديد الحر . فجعل يرفع قدمه ساعة اترساعة من شدة الحرارة ، بل تطاول الجند فجعل بعضهم يلطمه على وجهه وأجبروه على خلع نفسه ، ثم ادخلوه في سرداب مجصص واغلقوا الباب عليه فمات .

وبعد المعتز جاء الى الخلافة المهدي وكان يتصف بصفات الخليفة الحادل من تقوى - وعدل وورع فحارب الظلم واخرج المغنين والمغنيات من سامراء ، ولكن ما لبث ان ثار عليه طوائف الجند حين اراد حملهم على الطريق المستقيم . فولى هاربا وطلب من الناس ان يعينوه فلم يجبه احد ثم خلع وقتل .

وبعد انتهاء خلافة المهدي اخرج المعتمد من السجن وبويج بالخلافة . وعهد الى اخيه الموفق بقيادة الجيوش للقضاء على الخلافات القائمة بين القواد . وكان المعتمد شغوفاً باللعب والطرب واللهم ، فاستبد الموفق بالأمر وكان رجلاً صلحاً ، وترك اخاه في لصبه ولهموه وقد انتقل المعتمد الى بغداد وجعلها عاصمة الخلافة وترك سامراء . وقد عمل الموفق بجد ونشاط على اعادة الهيبة الى الخلافة ، ولكنه لم يستطع الوقوف امام الولاة الذين اخذوا باقتطاع اجزاء من الدولة والاستقلال بها لما رأوا من سيطرة الأتراك على الخليفة واستبدادهم بالأمر ، فأحمد ابن طولون حاول الاستقلال بمصر والشام ، اما فيما وراء النهر فأسس السامانيون دولتهم كما عمل الصفاريون على الاستيلاء على فارس وغيرها ، اما ثورة الزنج فقد شغلت جانباً كبيراً من عصر المعتمد . ولكن الموفق استطاع ان ينضى على ثورتهم بعد حروب طاحنة كما استطاع ان يكف طغيان الأتراك وبعد ذلك بويج المعتمد بالخلافة فسكنت الفتن وطلحت احوال البلاد وخلف اموالاً عظيمة . اما شاعرنا البحتري فقد توفي في خلافة هذا الخليفة . وبعد المعتمد اتى الى الخلافة ابنه المكتفي وقد اتصف عهده بالحزم . واستطاع ان يكبح من جماح الأتراك والأخذ على ايديهم وبعد وفات المكتفي ولى الاتراك اخاه المقتدر وكان صغير السن فكثرت بطشهم وتسلطهم . من هذا الاستعراص المختصر نرى كيف كانت الفوضى تخيم على الدولة العباسية في عصورها الأخيرة في المشرق اعتداً وقتلاً ونفوذ الموالى وخاصة الاتراك الذين دخلوا الدولة العباسية وخلفاءها فأصبحوا اهل الحل والعقد يزلون الخلفاء ويقتلونهم ويولون الخلافة من يريدون . فتجمعت السلطة في ايديهم واجروا الامور حسب ارادتهم واهوائهم وكثيراً ما اخافوا الناس . في دورهم وتعرضوا لهم واعتدوا عليهم وعلى حرمانهم في بعض الاحيان كما كان من اسباب هذه الفوضى وهذا الاضطراب استقلال كثير من البلاد عن الخلافة العباسية فالدولة الطولونية

والأخشيديّة والطاهرية والسامانية والصفارية وغيرها .
كما شهد العصر العباسي الثاني ثورات العلويين وخرجهم على الخلافة لأضطهاد الشيعة
على يد الخلفاء كما لمتوكل وتشريده لهم وقد كان ييغى من يوالونهم ويقرّبونهم . وهكذا وجد
الأضطراب والفوضى والانحلال سبيلها في هذا العصر من الدولة على خلاف ما كانت عليه
في عصرها الأول من القوة وسيطرة الخلفاء التامة على سلطان الخلافة .
ومن المعروف ان خلافة المتوكل تعتبر نقطة تحول من عهد القوة والسيطرة على الامور -
الى عهد الضعف والتفقر .

أما عصر الدولة الثالث فيبدأ بقيام الدولة البويهية عام ٣٣٥ هـ وينتهي بسقوط بغداد
بأيدي السلاجقة عام ٤٤٧ هـ فلقد سيطر بنو بويه على الحكم في بغداد بدل الأتراك ولكنهم
لا يقلون عن الأتراك من حيث اضطراب أمور الدولة والتكليف بالخلفاء والسيطرة عليهم والاستهانة
بهم وقد بلغ الأمر بالبويهيين ان ضربوا أسماءهم على العملة وخطب لهم على المنابر ، وقصد
استقلت بعض الدويلات عن الخلافة في هذا العصر ومالبث ان دالت دولة البويهيين على
أيدي السلاجقة الذين دخلوا بغداد ٤٤٧ هـ وقد دام حكم السلاجقة ما عدا مصر والشام -
حتى اغار هولاكو القترى على بغداد واستولى عليها عام ٦٥٦ هـ وقتل التتار من وجدوا في
بغداد من العباسيين ولكن بعض الخلفاء فر الى مصر واحتتموا بالملك المظفر بيبرس .
هذا عرض موجز عن الحياة السياسية لما كانت عليه الدولة العباسية منذ قيامها حتى القضاء
عليها في المشرق . ولعل هذا العرض المختصر اوضح لنا حالات الاضطراب والقلق والفوضى
التي عمت الخلافة منذ بداية العصر الثاني ٢٣٢ هـ مما جعل المؤرخين يذهبون الى ان العصر
العباسي اتسم بميزات اهمها :

- ١ - التنازس والتناحر بين العناصر العرقية على السياسة .
- ٢ - وهن الخلافة وضعفها مما ادى الى تجزئتها الى امارات مستقلة .
- ٣ - الحركات والاضطرابات الداخلية .
- ٤ - الغارات على اطرافها من قبل الروم والأفرنج .

٢- الحياة الاجتماعية

اتسعت الفتوحات الإسلامية في الدولة الأموية ، حيث شطت بلاد فارس وماوراها والعراق والشام ومصر وشمال أفريقيا وبلاد الأندلس .

وكان من نتيجة هذا التوسع في الفتوح ان اختلط العرب بالأمم المختلفة في هذه البلدان وتم اتصالهم بأعظم مدنيّتين موجودتين آنذاك وهما مدنيّتا الفرس والروم وقد اتى هذا الاتصال أكله وتأثيره معا في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ، حيث وجدت حياة اجتماعية في هذا العصر تخالف العصر الأموي ، ذلك ان العنصر العربي في العصر الأموي كان - يترفع عن مخالطة العنصر المعجم ، نشأ هذا من اعتزاز العرب بجنسهم وعروبتهم وأنهم أصحاب الأمر في الدولة . فلم يكن للمعجم منزلة لاستبداد الأمويين .

ولما جاء العصر العباسي ارتفع شأن الفرس ومنزلتهم لانهم اصحاب الفضل في تأسيس الدولة الجديدة وانتقلوا الى عاصمة الخلافة وانطلقت سنتهم واصواتهم المكبوتة واخذوا يجهرون بماآثرهم وأمجادهم وتاريخهم فأحسوا بالحرية بعد ما ألم بهم في دولة بني أمية من الضيق ولكن ما كاد العصر العباسي الأول ينتهي حتى اقصاهم الأتراك وقضوا على نفوذهم ونوذ العرب ايضا واستأنروا بالمناصب الحكومية في الدولة وسيروها كما يريدون - كما تقدم في الحياة السياسية . وبجانب العناصر الثلاثة العرب والفرس والأتراك يوجد في بغداد الروم والزنوج اجتمعت هذه الأجناس المختلفة والتقت وصارت بغداد ملتقى عناصر شتى واجناس متعددة - تتنافس على السيادة والرزق ، وتعط كل مافي وسعها للتقرب الى الخلفاء وكان لهذا التنافس أثره في الحالة الاجتماعية في العصر العباسي . هذا من ناحية المجتمع في الدولة العباسية وهذا المجتمع يكون من طبقتين خاصة وعامة ، أما الخاصة فهي الخليفة وحاشيته والأغنياء من الشعب وأما العامة فهي ما عدا هؤلاء من تجار وصناع وعمال وفقراء وغيرهم .

أما من ناحية الموارد فلقد تضخمت واردات الدولة تضخما كبيرا لاتساع رقعتها وقد ذهبت كتب التاريخ تحصى هذه الواردات من الأموال النقدية . وذكرت الأعداد الهائلة فذكر ابن خلدون ان الواردات في عهد المأمون الى بيت المال بلغت اربعمائة مليون درهم كما يذكر قدامة بن جعفر انها ايام المعتصم بلغت ثلاثمائة وثلاثين مليون درهم . كما يقال ان المنصور خلف لأبنة المهدي ما يزيد عن ستمائة مليون درهم واربعة عشر مليون دينار وهذا قليل من كثير سقته كمال .

وكما كانت الأموال في ايدي الخلفاء فلقد كانت النساء يملكن الاموال الطائلة . ولقد كان من جراء ذلك الترف والبذخ المتناهى في جميع جوانب الحياة العباسية ، فقد استأثرت الطبقة

الخاصة بالأموال تنفقها على ملذاتها حيناً وتدخرها حيناً آخر . فمن حيث اللباس
فلقد لبسوا ارق وانعم وابهى انواع الحرير والديباج وتفننوا في ذلك فجعلوا لحياة الممهل
لباساً ولحياة اللهمول لباساً آخر وقد اشتهر الخليفتان الموفق والمكتفى من هذه الناحية
وعد عندهما آلاف الملابس حتى عدوا للموفق ستة آلاف ثوب من جنس واحد . وللمكتفى ما يبلغ
قاربة عشرة آلاف . كما اقتنى الناس الجواهر والدرر واليواقيت وصاروا يتباهون بذلك . وأما
المأكل والمشرب فلقد اكلوا ما لذ وطاب من الوان الطعام واشكاله وشربوا ماشف وذاق مسخن
انواع الشراب . وكان من نتائج المال والترف اقتناء الجوارى والغلمان فلقد شاع التسرى
بالجوارى في هذا العصر ومن المعروف ان خلفاء بني العباس انفسهم منذ الهادي ابناء
سرارى يستثنى من ذلك الأمين فأمه حرة هي زبيدة بنت المنصور . وكانت الاسواق مكظفة
بيح الرقيق من اماه وعبيد ، وقد اخذ الخلفاء والأغنياء يتباهون في امتلاك الجوارى والغلمان
ذكروا انه كان لهارون الرشيد قرابة الفى جارية ولجعفر المتوكل اربعة آلاف جارية . وذكر
ابن خلكان ان ام جعفر اليرمكى كانت في ايام عزها تمشى ووراها اربعمائة وصيفة .
ان هذا يدل على بذخ عظيم وغنى وافر ، ولم تكن الجوارى مقتصرة على الخلفاء وحدهم
بل كانت منازل الخاصة وارباب اليسار لها النصيب الوافر . ومجالس الشراب والخناء كانت
وافرة في الحواضر ولا سيما بين الخاصة في بغداد ، فلم تكن تخلو منها قصور الخلفاء والأغنياء
بل اتخذ الخلفاء ندماً دائمين وسرى ما يجرى بين شاعرنا البحترى وبين المتوكل وغيره من
الخلفاء الذين اتصل بهم الشاعر ومن المميزات التي اتسمت بها الحياة الاجتماعية في هذا
العصر ، التأنق في الفنون وتشيد المنازل ونسج المفروشات . فقد حشدوا في قصورهم
ومنازلهم افخر واجود الوان الاثاث وزينوا الحيطان والسقوف بصور ورسوم من الذهب والفضة
وقد بذلوا الاموال العظيمة في بناء وتشيد هذه القصور ، فهناك الخليفة المعتصم الذي
انفسق على بناء سامراء اموالاً طائلة كما انفق المتوكل على المبانى والقصور قرابة خمسة
ملايين دينار . كما اعتنى الخلفاء بمواكبهم وتفننوا في ذلك . هذا الترف والبذخ العظيمان
قد ساء في نفوس الناس على اختلاف طبقاتهم حب المادة ، وأحبوا المال حباً شديداً لأنهم
رأوه السبيل الوحيد الى الترف والملاذات وراحوا يسيرون في كل طريق يؤدي اليه ، فكان من
اسباب ذلك انتشار الرشوة انتشاراً مخيفاً واصبح من بيدهم تصريف الأمور على حظ كبير
من الثراء كما كانت عاصمة الخلافة مقصد الكثيرين من مختلف الطبقات من شعراء وعلماء وغيرهم
فقد جاؤ واليشاركوا وأخذوا نصيبهم من هذه الثروات . بل نرى اكثرهم يقيم سنوات طويلة تاركا
بلده واهله كالبحترى الذي قضى زهاء اربعين سنة يتنقل بين الخلفاء يمدح ويهجو ويستعطف
فصار الشاعر الرسمي للدولة .

ولقد سببت هذه الاموال وهذا البذخ والترف شعب الجند وكثيرا ما يثورون اذا لم تحقق طلباتهم من قبل الخلفاء والوزراء .

هكذا انتشر الترف والثروة وتدفقت الاموال من طرق عدة فبخداد لم تكن مركزا للخلافة فقط بل كانت مركزا تجاريا كبيرا . والزراعة كانت ايام العباسيين على درجة عظيمة من الرقي وقد عرف عن العباسيين حفر الأنهار وانشاء الجسور والترع حتى جعلوا ما بين دجلة والكوفة سوادا مشتبكا تخترقه انهار الفرات فازدهرت الزراعة واعطت اكلها في هذا العصر وعرفنا حياة الخاصة من المجتمع ومدى الترف والبذخ التي استأثرت به . وبجانب الخاصة وجدت طبقة عامة الشعب التي كانت تكد وتكدح لتحصل قوتها وما يحفظ عليها الحياة . فأخذت تعمل جادة للبحث عن الرزق وكفاف الحال حتى ان بعض العامة وصلت به سوء الحال الى سؤال الناس بل اتخذ بعضهم تكفف الناس حرفة ومهنة على الرغم من الأموال والخيرات التي وجدت في هذا العصر .

هكذا كانت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي كان الترف والنعيم نصيب عدد قليل منهم وهم الخاصة حين كان الفقر والشقاء والبؤس والحاجة الماسة من نصيب العامة التي تشكل العدد الأكبر من المجتمع .

٣ - الحياة العقلية والأدبية

لقد ازدهرت الحياة العقلية ازدهارا كبيرا في دولة بني عباس، حيث وجدت في البلاد الإسلامية شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة والمتقدمة في العلم والثقافة . لأن بعض الخلفاء وجهوا همهم نحو العلوم والمعارف ، وشغفوا بعلم الأمم الأجنبية ذات المدنية والحضارة ، مما دفع العلماء إلى التسابق في ميدان الترجمة والتأليف في جميع العلوم . وكان الخليفة أبو جعفر المنصور من الذين اعتنوا بجمع الحديث والفقه وغيرهما . ولم ييخل بالمال في هذا السبيل ، بل بذل أموالا جزية للعلماء ولم يقتصر هذا الخليفة على العلوم الإسلامية بل كلف العلماء والمترجمين من الفرس وغيرهم أن ينقلوا إلى العربية من اليونانية والفارسية / فنون الطب والحكمة والسياسة والمنطق وغيرها . وقد بحث المسي امبراطور الرومان يسأله عما لديه من كتب الفلاسفة وكلف احد المترجمين بترجمتها ، ويعتبر المنصور اول خليفة قرب المنجمين .

أما المأمون فقد اوفد كذلك إلى ملوك الروم للحصول على علم الرومان ، ونقلها إلى العربية . وقد اسس مدرسة في مدينة بغداد تعنى بتخريج المترجمين هي دار الحكمة . وكان لهذه الدار الفضل الأكبر في تهذيب الكتب المترجمة فأثمرت في هذا العصر الفنون الإسلامية وزهت الآداب العربية ونقلت العلوم الأجنبية ونضج العقل العربي فرجد سبيلا إلى البحث والدراسة ومجالا واسعا للتفكير ولم ينته عصر المأمون والوفاق حتى لم يبين علم ما صنف فيه الفرس واليونان والهنود والسريان الا وترجم المسي العربية منه ، ولقد انقسمت العلوم إلى قسمين : علوم إسلامية وعلوم دخيلة والعلوم الإسلامية تشمل علوما شرعية وأخرى لسانية غالبا شرعية كتفسير القرآن الكريم وجمع الحديث الشريف واستنباط احكام الدين والتدليل عليها وهذه العلوم درست في القرن الذي عاش فيه شاعرنا البحترى . واما اللسانية كالنحو والصرف فقد اعتنى بها وظهرت بعد الكتب . كتاب سيبويه في النحو وكتاب الحدود للفراء وقد تارنوع من الجدل والمناظرة في هذا العصر بين البصريين والكوفيين ، واما البلاغة فكانت في اول الطريق ولم تصل إلى اقسامها الثلاثة المعروفة البيان ، والمعانى ، والبديع ، ولقد شهد هذا العصر مبدأ تكوينها في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة المتوفى ٢٠٦ هـ بعد أن سئل عن معنى قوله تعالى (طلعتها كأنه رؤس الشياطين) وان الشياطين رؤسها لم تعرف ، فأجاب بأن هذا على حد قول امرئ القيس .

ايقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب اغوال .

كما أن الجاحظ تعرض لبعض علم البلاغة في كتابه (البيان والتبيين) اما بعض الشعراء المحدثين فقد اغرموا بالمحسنات البديعية ، الزخارف الصناعية ، مما حدا ببعض الأدباء في العصر العباسي إلى دراستها واستقصائها والتمثيل لها . فكان كتاب (البديع) لأبن المعتز .

أما جمع الشعر فلقد بلت العناية بجمعه منذ صدر الدولة وألفت الكتب في ذلك ، فإنا المفضليات - للفضل النضبي وكتاب الحماسة لأبي تمام وكذلك كتاب فحول الشعراء الذي جمع فيه طائفة كبيرة مسي

من شعراء الجاهلية والأسلام ، وله أيضا كتاب ((الأختيارات من شعر الشعراء)) أما شاعرنا
البحترى فله كتاب (الحماسة) وسوف يأتي الحديث عنه في آثار الشاعر . ولقد شهد عصر
البحترى أوائل الكتب التي الفت في نقد الشعر . ككتاب (طبقات الشعراء) لأبن سلام الجمحي
وكتاب (الشعر والشعراء) () لأبن قتيبة والى جانب دراسة الشعر ونقده في هذا العصر نجد
العلماء يجمعون النثر ويدرسونه أيضا ، فألفت الكتب المحتوية على الخطب والرسائل والمكاتبات
يشرحونها ويتولون التعليق عليها ويمرزون الأخبار المتعلقة برجالها وأول من سن هذه الطريقة
الجاحظ في كتبه واحمد بن ابي طاهر طيفور والمبرد ، كما درس التاريخ بجانب الأدب والف فيه
فمن تاريخ السير الى تاريخ الانساب والتراجم والفتوح وكان من نتائج ذلك ان وضع ابن جرير
الطبرى تاريخه المعروف ، ولقد اثرت ترجمة كتب اليونان . فدرست الجغرافية والفلك وغيرها .

ولكن التأليف في هذا العصر اتخذ سمة معينة فلقد نان المؤلفون الذين القوا في الأدب
لايبوبون، تبويبا منظما منسقا ، كما انهم لم يكونوا يستوفون المواضع التي يكتبونها فكانوا ينتقلون
من غير الى آخره ومن باب الى باب ، ومن فكرة الى فكرة ، ولولم يستكملوا البحث الأول . بل جرى
بعض الكتاب على ان يعود بالقارئ الى الموضوع السابق ويحللون سببا لذلك انهم يقصدون
الى دفع الملل والسآمة عن القارئ امثال الجاحظ وابن سلام الجمحي . وبجانب هذا الفريق
من المؤلفين نجد فريقا آخر وثره يفتى في تبويبه كما فعل ابوتام . ، اما البحترى فالناظر نفسى
حماسته يجده غالى مغالاة شديدة في كثرة الأبواب .

هكذا نشطت الدراسات الإسلامية في هذا العصر فنجد في مصر الدراسات الدينية واللغوية
وفي الشام دراسة الشعر والآداب واللغة واما العراق مقر الخلافة والخلفاء ومقصد العلماء وغيرهم
فاحتلت مكان الصدارة في العلم والأدب واصبحت اهم مراكز العلم والحضارة وصارت بغداد
تجذب اليها العلماء والشعراء والكتاب من جميع البلاد الإسلامية .

وكما ازدهرت العلوم الإسلامية - شرعية ولسانية في هذا العصر ازدهرت كذلك العلوم
الدخيلة التي ترجمت الى العربية وهي تنقسم الى اربعة اقسام : طبيعية وسياسية ورياضية
والهية ، فالطبيعية تشمل الطبيعة والكيمياء والصيدلة والطب وغيرها . والسياسية كتنظيم الملك
وتدبير المال . والرياضية الجبر والحساب والهندسة والفلك وغير ذلك . واما الأهلية فتشمل
ماوراء الطبيعة .

ولم تكن ترجمة هذه العلوم في اول الامر كما ينبغي لأن الذين يجيدون العربية والأعجمية
قلة ، ولكن لما جاء زمن المأمون اتسعت الترجمة فصحح ما ترجم من قبل وغير نهجها وكلف
المترجمين بتبويبها وتنظيمها من جديد واحضر كتب الفلسفة من القسطنطينية فترجمت مما
كان تأثيره في العصر العباسى على العلوم وظهر تأثيرها في العلم الشرعية كما تأثر بها الأدب كذلك

ووجد في هذا العصر من الشعراء من تعمق في الفلسفة والمنطق ووجد آخرين ثاروا عليهم هؤلاء الذين يريدون ان يخضعوا الشعر لقواعد المنطق .

أما الكتابة وخاصة الأنشائية في هذا العصر فقد بلغت شأوا رفيعا من الأزدهار ولاغرابة في هذا ما دامت الكتابة هي الطريق الى الوزارة فوزرا بعض الخلفاء من نوايح الكتاب ، اما الطريقة التي سارت عليها الكتابة معظم العصر فهي طريقة عبد الحميد الكاتب من الأعتناء بالمعنى وقلة السجع والبعد عن التكلف والميل الى الایجاز في أول العصر ، أما الجاحظ فأنت كتاباته حافلة بالتوازن الموسيقي مقسمة العبارات أقساما قريبة من التساوي .

وكان من آثار ترجمة العلوم الى العربية أن نتج طراز ممتاز في الكتابة العربية وما دامت الكتابة تستعمل لأغراض متعددة بين رسائل ديوانية تتعلق بأدارة الملك وتدبير شئون البلاد وبين رسائل اخوانية فلاغرابة ان تحتل مكانة رفيعة وعظيمة في هذا العصر . هولكننا نراها عندما ضعفت الخلافة وقام بالأمر غير أهله ضعفت وجهل أصحابها الغرض منها ومالوا الى زخرف القول والأكتار من البديع وأغلوا في ذلك حتى سمجت مبانهم وفسدت معانيهم .

أما الخطابة في صدر العصر فكان لها مكانة في النفوس وسلطان على القلوب لأعتماد القوم عليها في توطيد وتثبيت دعائم الملك واستقبال الوفود والهاب حماس الجنود وكان خلفاء بني عباس الأولون خطباء كما كان دعواتهم كالمنصور والمهدى والرشيد والمأمون ودارهم بن علي . وخالد بن صفوان وغيرهم . ولما وطد العباسيون الملك واستوثق الأمر لهم وتولى الأعماجم والموالي قيادة السياسة في الدولة والجيش ضعفت الخطابة بضعف القدرة عليها وقلة الداعي اليها ، على أن الخلفاء ما برحوا يخطبون الجماهير ويؤمنون الناس الى عهد الخليفة الراعي ولكن بعد سيطرة بني بويه على الخلافة والخلفاء عهد الخلفاء بالخطابة بالمساجد الى بعض العلماء الأكفاء هم ما لبثت الألسنة ان استعجمت فأخذ العلماء يرددون الخطب السابقة واقتصرت على الجمع والعيدين . ولكن الكتابة حلت محل الخطابة في جمع الأهواء ورد الأعداء والقضاء على الاضطرابات والفتن .

هكذا كانت الحياة الأدبية في هذا العصر فلقد كان عصر بني العباس وخاصة الثاني زاخرا بالعلوم والعلماء حيث كثرت العلوم المترجمة كثرة عظيمة لم يسبق لها مثيل وقد أغنى الخلفاء على العاملين اغداقا سخيا وبلاحدود . كما نال الشعراء نصيبهم في العصر فنرى الشعراء ذهروا وارتقى في كنف الخلفاء والوزراء بل ان بعضهم شارك في قرضه ، ولقد وجد من نبغ من الشعراء في عهد الاستقرار وقبل مقتل المتوكل ولكن الشعر عثر بعد استبداد الأتراك وتسلطهم ولم ينبغ في فترة الأتراك الا القليل وهذا دليل قطعي على غناية الخلفاء

بالشعر والشعراء فيما سبق أما في آخر العصر فإن الخلفاء اسقطوا أيديهم وصاروا يبحثون عن الطرق التي تثبت ملكهم وتقضى على أعدائهم .

أما أفراس الشعر في العصر العباسي فهي الأفراس المعروفة من قبل إلا أنه ازدهر فيه وصف مظاهر الحضارة الجديدة ووصف الطبيعة وسوف نلم بهذا الوصف في الحديث عن الوصف عند البحري كما لا يغيب عن البال أن بعض الخلفاء عمل على تشجيع المغنين وكان لهم نصيب وافر من جانب الخلفاء العباسيين . مما جعل الفناء يصل إلى الغاية ووجود إبراهيم المهدى وإبراهيم الموصلي وغيرهما شاهد على ذلك . فلقد شجع خلفاء بني العباس المغنين - معدا المهدى الذي ابعدهم - وأعطوهم عطايا جزيلة واصطفوا منهم الندما ، ولقد كان تسلط الأتراك واستبدادهم بشئون الخلافة سببا في انصراف الخلفاء وولعهم في سماع الفناء .

هذه هي الحياة العقلية باختصار في هذا العصر والتي استمدت من ثلاثة روافد كبيرة غنية اليونان والفرس والهند فآتت أكلها في العصر العباسي الثاني الذي امتزجت فيه الثقافات - وظهرت آثار حركة الترجمة وتشجيع الخلفاء والوزراء فكان هذا العصر ازدهى وارق العصور في حياته العقلية والأدبية .

٧٤٧



الشعر في العصر العباسي وخصائصه

ماكادت الدولة العباسية تقوم حتى انتقل الشعر من هدوء البادية الى ضوضاء المدينة ومن الصحارى المجردة الى القصور الشامخة في بغداد متحف بها البساتين والأشجار وانصرف الشعراء عن المواضيع الجاهلية الى معان جديدة مستمدة من رون العصر بواتسح خيالهم وادراكهم باتساع ألوان الحضارة ، فحدث تفسير واسع في تفكير الشعراء وعقولهم تمشياً مع ما يحيط بهم فجالوا في الشعر جولة واسعة لم تتوفر سابها لسابقهم فبلغ الشعر في هذا العصر غاية ومنزلة لم يبلغها الشعر فيما بعده .

ولقد اهتم الخلفاء العباسيون الاولون بالشعر والشعراء وصاروا يعقدون للشعراء مواسم سنوية ومجالس ادبية يستمعون فيها لشعرهم ، ويضخونهم العطايا والهبات حسب اجادتهم وتفوقهم ، أو لموافقة الشعراء لسياسة الخلفاء وشاركهم في هذا الأمر الوزراء والحمال ، فظل الشعر في هذا العصر يحتل المنزلة الرفيعة ، كما اتصف بالقوة والجزالة والتقدم الموجود - اربابه والمشجعين عليه ، وأصبحت بغداد قبلة الشعراء يؤمونها من كل حدب وصوب .

وقد تفنن الشعراء في الأغراض وابتدعوا في المعاني وحافظوا في جملتهم في انشياء القصيدة على الأنواع والتقاليد الموروثة عن العرب في بنائها على روي واحد ، ووزن واحد وفي ابتدائها في الغزل والنسيب وذكر الديار والأطلال ، ووصف الناقة والرحلة في القلوات وكانوا يقصدون بذلك التمهيد للانتقال الى الغرض المقصود من مدح أو هجاء أو فخر أو تمهنة على أن بعض الشعراء كأبي نواس لم يلتزم ذلك في شعره خرج عن التقاليد الموروثة في الشعر العربي فهو على شعراء الحاضرة الجديين الذين سلكوا مسالك الأعراب في أشعارهم ولم يتبدل بها الأبتداء بالخمرات والمجونيات ، ووصف القصور والبساتين وقد جراه في طريقته بعض الشعراء .

ومن المعروف أن الشعر ظل في بغداد حتى انفرط عقد الخلافة العباسية ، وتعددت حواضر الدولة وذلك باستقلال الولاة واقتطاعهم أجزاء من جسم الدولة ، فانتقل الشعر الى تلك الحواضر ووجد من يشجعه ويكافئ على اجادته كبنى بويه وآل حمدان فازداد انتشاراً ولما ذهب المعضدون للشعر وقل الراغبون فيه والمشجعون عليه ذهب معهم جمال الشعر وجودته وفقد تأثيره في النفوس ، وأصبح معاق معادة مكرورة ، بل صار مهلهلاً لأغراق الشعراء في المحسنات ، فلقد استبدت بهم الصناعة فكثر التكلف وظهر الأبتدال ولا سيما في تنسيق المتأخرين من أعلام هذا العصر الذين هياؤا عصر انحطاط الشعر . يقول الأستاذ السكندري ((كان الشعر في عصر بتي أمية ينبع من المعين الذي تنبع منه أئمة العرب وفحول الفصاحة - أعني جزيرة العرب والعراق والجزيرة الفراتية - فلما قرت دولة العرب والعراق وتوسطت

دار خلافتهم بين العراق والجزيرة صارت بغداد قبلة الشعراء ووجهة الأدباء ومن لم يقصدها للأقامة في ظلال الخلفاء والملوك ^{وأغنى} قصدها للنجعة والأشباح ولم يرض على بغداد قرن واحد من تأسيسها حتى صارت عشا للأدب فوميدانا لتسايق جياذ القول في كل فن ولا سيما الشعر فسعد كان له عند الخلفاء والقواد والزرا سوق نافقة حتى عند رؤساء الأعاجم من الديلم والترک وحتى تكلف بعضهم أن يعانیه وينظمه بل ينبخ فيه ، ودام كذلك الى انتهاء الدولة العباسية بعصرها وبهذه العناية العظيمة به وكثرة قائله ومنتحليه تغنن الناس وأدخلوا عليه فنونا لم تعهد فيه واستعملوه في كل غرض حتى التعمد به وتشكل أسلوبه وتنوع معانيه بما يطابق أغراض استعماله غير أن من مميزات الدولة الإسلامية وخصائص اللسان العربي مجاراة كل مستحدث جديد ضروري مع المحافظة والحنين الى الصبغة الأصلية في الجملة بحيث لا يتأتى نسخ الجديد للقديم بالمرّة فمن الأمور التي لم تنسخ أصول الوزن والقافية والتمهيد للمدح بالفضل والتشبيب بالنساء والنسيب بذكر الديار ودروسها والأطعمان وحدوها على أن النسيب يمثل هذه الأمور لم يعد ملتمزا في مطالع القصائد منذ صدق الدولة العباسية بل كثيرا ما كان يحمل محله ذكر القصور ونعيم العيش وصبحة اخوان الطرب وفناء القيان ونحو ذلك أو يستبدل به ذكر الخمر وأوصافها والحش على اصطباحها واغتهاقها . . . ويظن أن أول من خلق هذا التقليد أبو نواس في كثير من قصائده لاسيما الخمريات تطريا منه وتماجنا ثم صار ذلك متبعا كثيرا في شعر من بعده . . .

وبعد فسوف نلقى نظرة سريعة على خصائص الشعر العباسي من حيث :

- ١- الفاظه وأساليبه .
- ٢- معانيه وأخيلته .
- ٣- الموضوعات والأغراض التي طرقها شعراؤه وهي ما استجد من أغراض ثم الأسباب التي جعلته يبلغ هذه المنزلة العالية .

أما من حيث الألفاظ والأساليب:

فلقد كان للشعر العباسي النصب الوافر في انتقاء الألفاظ السهلة الرشيقة الدالة على المعنى أوضح دلالة . يوفى صوغ العبارات المحكمة والأساليب الرائعة ويمثل هذا في هجر الشعراء العباسيين للألفاظ الغربية والتراكيب الفاضحة حتى صار القاري لأشعارهم لا يحتاج الى المعاجم غالبا . ولا شك أن هذا من اثر الحضارة وسلامة الذوق . وكذلك أدخلوا بعض الألفاظ الأعجمية نظرا . وكانت أساليبهم رقيقة واضحة حسنة السبك وقد ضمنوها ذكر القصور وصبحة الاخوان وغير ذلك مما كان موجودا في بيئتهم . وقد أدخلوا عليها بعض المحسنات البدعية التي وشتها وحسنها بولم يستكثر الشعراء من المحسنات الا في آخر العصر .

كما استعمل الشعراء كثيرا من الألفاظ المعربة ولعل أكثرها كان من تعريبهم أنفسهم
كما استعملوا كثيرا من الفاظ العلوم والفنون .

أما في المعاني والأخلية : فلقد كان لامتراج الثقافات واختلاط العناصر تأثير جديد

في معاني الشعر وأخيلته في هذا العصر وهذا التأثير من حيث تماسك القصيدة وترابط
أجزائها وترتيب أفكارها وتسلسلها وأخذ المنطق يتغلغل في الصياغة الفنية . كما أحدثوا
معاني جديدة أوحى بها حياة اليسار والترق وانصرفوا عن المعاني البدوية الى معان حضرة
صرفة وقد تكاثرت المعاني بتكاثر الفنون عجزت في شهرهم آثار حرفتهم التي يحترفونها
والفن الذي يخلب عليهم . كما استخدموا الأدلة المنطقية . والآراء الفلسفية ، فقد كانت
ثقافة الشاعر قبل هذا العصر ضحلة .

أما في هذا العصر فالشاعر صاحب ثقافة علمية واسعة فانه نخرط الشعراء في زمرة العلماء
وتأثر شعرهم بذلك تأثرا كبيرا فصار ميدانا واسعا لأفكارهم العميقة وآرائهم الفلسفية
الرائعة فافترقوا من العلوم والفنون اغترافا غزيرا .

كما شاع الأبداع في الخيال والجمال في التصوير لامتلاء أذهان الشعراء بروائع الحسن
ورونق الحضارة فأستمدوا معانيهم من تلك الطبيعة المبتسمة والحياة المرححة اللالعة فصارت
ناحية الأبداع والتصوير أظهر النواحي في شعر العصر العباسي لأنه ورث حضارة فارسية -
ملئية بآثار الخيالات الواسعة والتصاوير الرائعة كما اتصفت أخيلتهم ومعانيهم بالمبالغة
والتهميل وقد يكون سبب ذلك أن أكثرهم من المولدين الذين يرجع نسبهم الى الفرس .
ومن المشهور للفرس ولعهم بالمبالغة والتهميل في وصفهم للأشياء . وتصويرهم للحقائق
وتحدد هم للمعاني كما كان من اسباب شيوع المبالغة بين طبقات الشعراء فتفتح ابواب
المعاني واتساع مناخى الفكر .

أما مطالع قصائد هم فقد اتسمت بعدم الأزعاج والفرق وهذا من أثر نضج ملكة الشعر فيهم
ونمو الذوق الأدبي عندهم واكتمال قوة النقد لديهم وخصوصية الأفكار والقرائح . فقد كانوا -
يمحصون أفكارهم عجزت عن عناصر شعرهم ثم يبرزونها في ثوب جميل جذاب . كما أن انتقالهم
من غرس الى غرس لا يدل على الفطرة ولا يبنى على المفاجأة كما كان انتهاؤهم لا يدل على ترقب
غير منتظر أو خاتمة غير حسنة . بل حسنت ابتداءاتهم وانتقالاتهم وانتهائهم .

يقول بعض الأدباء في الحديث عن معاني الشعراء في العصر ^{هذا} (يراد بها تلك المعاني
التي استقل المحدثون بابتداعها ولم يسبقهم اليها جاهلي ولا اسلامي وتلك لعمر الحق
كثيرة كثرة المشاهدات التي أحدثتها الحضارة ، متعددة تعدد العادات التي أوحى بها

وتأمل تأمل اليوناني الحكيم

المدنية ، مبتكرة بهذا الفكر المثقف الذي قرأ حكمة الهند ، وتأداب بادب الفرس ، وإذا استبد المتقدمون بمثانة التعبير وصحة الأداة ، وحازوا فضيلة السلامة من قصور الملكة وكان كلامهم حجة في العربية ومعجما للألفاظها وأساليبيها ، فإن للمحدثين مزية المعنى والتحليق في سماء الخيال واتساع الفكر ، ولقد قال أبو الفتح عثمان بن جني ((المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ)) .

أما من حيث الموضوعات والأغراض التي طرقتها فمنها القديم الذي سبقوا إليه والجديد

الذي استحدثوا . فلقد نظموا في الأغراض القديمة ولكنهم أكثرها منها وتفننوا فيها بسنن صبغوها بصبغة جعلتها تكاد تكون جديدة مبتكرة فنظموا في المديح والهجاء والرثاء - والوصف والفخر والحماة والأعتذار والاستمطاف والسياسة وغير ذلك ، ولكنهم خلعوا عليها من حضارتهم وأدواتهم ما جعلها ذات طابع خاص يميزها في هذا العصر عنها في العصور الأخرى .

ففي الوصف مثلا تناولوا كل ما وقع عليه نظرهم من قصور وساتين ومجالس أنس وشراب - ومن طبيعة خلافة وحضارة شاملة .

وعلاوة على الأغراض القديمة فقد أحدثوا أغراضا جديدة لم يسبقوا إليها ومنها الغزل - بالمذكور والولوع به . وسبب وجوده هو تفكك المجتمع وسريان الفوضى وشيوع الأنحلال الخلقى والاستهتار بالمقدسات وكثرة الترف ، والانصراف إلى اللهو والشراب وعدم قداة الوازع - الديني في النفوس ولقد كان الغزل بالمذكور من سيئات هذا العصر فلقد كان ويا ، عاما ومرضا عضالا وخاصة في العصر الثاني .

ومن الأغراض الجديدة المجون ووصف الخمر والتفنن في ذلك والقول في المصلوبين ، وهجاء المغنين والاتهام بالانحراف الخلقى والذم بالرشوة ونظم القصص والحكايات ، ووصف أنواع الأطعمة ، وضمبط قواعد العلوم والفنون على اختلاف أنواعها وتصور الطبيعة بما تحويه كما نظموا في الوعظ والترهيد في الدنيا وفي الفلسفة والتصوف والتهكم . كما استخذموا الشعر في التطرف وافتعال الحقائق ، واختلاق القضايا كما أنفوا الأستمرار على المعاني القديمة في افتتاح قصائدهم كما لوقوف على الديار وكاء الأطلال وذكر النياق والفلوات .

ولو بحثنا عن الأسباب التي جعلت الشعر العباسي يرقى ويزدهر ويتجلى المكانة العليا لوجدناها تكمن في : -

١- تذوق الخلفاء ورجال الدولة للأدب فقد كانوا أصحاب أدواق أدبية سليمة يفرقون بين الفسح والسمين . فأصبحت قصورهم مقصد الأدباء والشعراء .

٢ - عقد مجالس الشعر وقد كان الخلفاء يميلون الى هذه المجالس . وظهر ذلك جليا منذ خلافة أبي جعفر الضصور الذي كان يدعو الشعراء الى النزوع الى الجديد وترك القديم كما عقد المهدي كثيرا من المجالس الأدبية وكذلك الرشيد وحتى المعتصم على اميته كما يقال كان يطرب للادب ويعقد مجالس للشعر . أما مجالس المتوكل للشعراء ومكانة شاعرنا البحترى فيها فهي مضرب الأمثال .

٣ - أتابة المحسنين ^{من} الشعراء واجزال العطاء لهم فقد كان الخلفاء ورجال الدولة يهبون الاموال لشعرائهم ما دفع الشعراء الى التسابق في ميدان الشعر .

٤ - رقى الغناء وانتشار مجالسه وللغناء صلة وثيقة برقى الشعر واشتهار الشعراء ، فقد اختار المغنون الأصوات من روائع الأشعار فغنوها فدفعوا بالشعراء الى الإنتاج وتوخى سهولة والرشاقة في أساليبهم ، والجمال والرقّة في معانيهم ، وابتكار الجديد واللائق في أغراضهم ، وعندما يغنى المغنون شعر شاعر بحضرة خليفة أو وزير أو غيرهما يثير نفس الشاعر المشاعر الكامنة والوجدانات الخافية ، وأخذ الشعراء يتسابقون في ميادين الشعر رجا أن يحظى شعرهم بالغناء ، فأصبح للغناء فضل عظيم على الشعر وازدهاره .

٥ - أما تأثير البيئة وفتاها فهو من أهم الأسباب التي جعلت الشعر يزدهر في مسقط العصر فالشعراء أخذوا يستمدون مقومات اشعارهم من الحضارة الواسعة التي وجدت في عصرهم فصار الشاعر يلتفت يمنة ويسرة فيرى ما لم يره الشعراء من قبل من الحضارة والعمران والتقدم .

الفصل الثاني

حياة البحري :-

- نسبه ونشأته في منبج - رحلته الى حلب -
- صلته بأبي تمام - تأثيره به ، اعترافه له بالأستاذية .
- ارتحاله الى العراق واتصاله بالخلفاء ، ورجال الدولة .
- سبب خروجه من بغداد - وفاته .
- عقيدته - صفاته وأخلاقه - آثاره .

البحترى

نسبه ونشأته

البحترى هو الوليد بن عبيد (١) بن يحيى بن عبيد بن شمالل (٢) بن جابر (٣) بن سلمة (٤) ابن مسهر (٥) بن الحارث بن خيثم (٦) بن ابي حارثة بن جدى بن تدول (٧) بن بحر (٨) ابن عنين (٩) بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الفوث بن جلممة وهو طي بن أدد بن زيد (١٠) ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وكنيته أبوعبادة ويقال ابو الحسن مومن هذا يظهر أن له كنيتهن ولكن بعض الروايات ذهبت الى أنه كان يكنى ابا عبادة قبل دخوله العراق ، ولما دخلها اكنى بأبي الحسن تقربا للسبي الثابتين والكتاب من أهل الشيعة ، وانصاره يرون انه اكنى بأبي الحسن تشبها بمذهب الحضارة ولكنه حين اتصل بالمتوكل وهو يكره الشيعة أشير عليه أيكنى بكنيته الاولى وهى أبوعبادة ففعل ويقال انه اقتصر على ابي عبادة لشهرتها . يقول الخطيب فى كتابه تاريخ بغداد ((انه كان يكنى ابا الحسن و ابا عبادة فأشير عليه فى ايام المتوكل أن يقتصر على ابي عبادة فأنها اشهر ففعل)) اما الأسم الذى شهر به فى عالم الأدب فهو ((البحترى)) نسبة الى ((بحتر)) جده الثانى عشر . ولد البحتري فى خلافة المأمون عام ٢٠٦ هـ وقيل ٢٠٥ هـ وقيل ٢٠٤ هـ ولكن المشهور انه ولد فى عام ٢٠٦ هـ فى بلدة منبج فى الشام بين حلب والفرات التى بناها كسرى لما غلب على الشام وسماها ((منبسه)) فعربت فقيل ((منبج)) ، وقد ذهب بعض الكتاب الى انه ولد فى قرية صغيرة قريبة من منبج هى ((زردفنه)) .

-
- (١) فى الأغاني ومعجم الأدباء : عبيد الله
 - (٢) فى تاريخ بغداد ((شمالان)) بالنون وقد رأى الدكتور صالح الأشرى أخبار البحتري للوصول الى انه خطأ .
 - (٣) فى جمهرة أشعار العرب ((ثملان بن خالد))
 - (٤) فى معجم البلدان ((مسلمة))
 - (٥) فى الجمهرة سم (())
 - (٦) فى معجم الأدباء ((جنم))
 - (٧) فى وفيات الأعيان ومعجم الأدباء ((بدول)) والصواب كما أكده المعرى فى عبث الوليد أنها ((تدول)) وفى الجمهرة ((جرول)) وفى بعض المراجع ((نزول))
 - (٨) لم يرد ذكره فى الأغاني ومعجم الأدباء وتاريخ بغداد .
 - (٩) هكذا ورد فى تاريخ بغداد وفى الاشتقاق ، وورد فى نهاية الأدب ((عنيز)) كما ورد فى بعض المراجع ((عمير)) وبعضها ((عنبر)) وبعضها ((عنسه))
 - (١٠) يذ. ورد فى بعض المصادر : ابن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح .

ولكن المشهور انه ولد في منبج لأنسه يذكرها كثيرا في شعره ، ويحن اليها دائما
وكان لنشأة الشاعر في هذه البلدة اليد الطولى في شاعريته ، فلبلد الحبيب والهواء النقي
والماء العذب أكثر من أثر في عبقرية الشعراء كما يقال .

والبحتري فحطاني الأدب . لأنه ينتسب الى طيء الذي ينتهي نسبه بكهلان من قحطان -
وعد ناني من جهة أمه . التي تنتسب الى شيان وهي قبيلة ينتهي نسبها ببكر بن وائل
ابن ربيعة . وقد اشار البحتري الى ذلك في شعره فيقول مفتخرا بأبوته :

أن قومي قوم الشريف قديما وحديتنا أبوة وجـودنا
ذهبت طيء بسابقة المجد عد على العالمين بأسا وجودا
فهم قوم تبع خير قوم لهم الله بالفخار شهيدا

ويشير الى نسبه من جهة امه ان يقول :

أعمرو بن شيان وشيآنكهم ابي اذا نسبت أمي وعمركم عمري

هذه من جهة نسب أمه وأبيه ، والقارئ لأخبار الشاعر في كتب الأدب يرى أن اياه توفي قبل
أمه وذلك من الخبر القائل أن أباتام راسل أم البحتري في الترويح بها فأجابته وقالت له
اجمع الناس للاملاك . فقال : الله أجل أن يذكر بيننا ولكن نتصالح ونتصالح ((١)) .
وقد يكون لموت أبي الشاعر وهو صغير سبب في نشأته فقيرا حيث اعترف بذلك في شعره
ان يقول :

وعيرتني سجال العدم جاهلة والنبيح عريانها في فرعه ثمر

ولكنه لم يترك هذه النشأة تحول بينه وبين نيل الغنى والثراء حتى صار له كتاب وقهارسة فيما
بعد ، وامتلك قرية في منبج وضياعا غيرها . لما كان يتمتع به من عزيمة قوية وهمة عالية حيث ترك
بلاده وتحمل المشاق والأسفار يقول :

فأني وأن ازمع غدا ولطية أغلس وان اجمع رواحا اهجرا

ومع هذه العزيمة كان طموحا لا يرضى بالواقع ، ولا يقنع بما لديه فكانت حياته دليلا على ذلك .
تثقف شاعرنا ثقافته الأولى في منبج . والغالب انه تثقف وترى كما كان يترى ويتثقف نشأه -

المسلمين حينئذ فهم يحفظون القرآن ثم تعلم أحكام الدين و سنة الرسول وحفظ شيء من الشعر
والنثر البليغين ثم اذا تعرضا لفتى اختلف الى علماء بلده ، فأخذ عنهم شيئا من علم اللغة
وأخبار الفتوح والمغازي بآيام العرب وأنسابهم . والبحتري لما لهذه البلدة من فضل عليه
فهو كثير الحنين اليها . ولذلك ظل بعد انتقاله الى الحرات كما سوف يأتي معلق القلب بها .
فهي علاوة على جمالها وحسن موقعها مقطن قومه طيء وقد اختلط بهم ونشأ بينهم ولنشأته
فيهم الأثر الواضح في فصاحته ولاغرو مادام اذا مد بصره شرقا رأى الفرات واذا غرب غربا

مرحلب وجوارها لبنان كما يقول السباعي بيوي . وهذه أماكن غنية بالجمال وآياتسه
فقد شب بها وهو المفظور على قوة الخيال المقدر له أن يكون في أول حياته شاعر تلك الديار
وهذا مدد حسي يمد شاعريته على أماكن له من مدد معنوي به يفخر ومنه يأخذ وهو عشائري
وأجداده لأبيه ، وكذلك عشائر تغلب أجداده لأمه الضاربة في تلك الأصقاع لها العز والسؤدد
لذا نشأ هذا الشاعر نشأة عربية ملهمة في روع منيع ، فقد كان موهوبا بطبعه مفظورا على قول -
الشعر مولى هذا غربيا مادام يختلف إلى تلك القبائل يأخذ عنها الفصيح ويرتشف أفويق
البلاغة فمن ثم غلبت على شعره الجزالة والرقّة وجمع بين فضيلتي البداوة والحضارة . ولهذا
النشأة أيضا ما لبث أن جرى الشعر على لسانه لا يرجع فيه إلا إلى طبعه كما يقول : ((كنت في
حدائتي أرم الشعر وكت أرجع فيه إلى طبعي)) .

وقد ورد أنه كان في أول نشأته في منيع يمدح أصحاب البصل والبان نجان . قال ابن خلكان
في وفيات الأعيان (قال صالح بن الأصبح التنوخي المنبجي : رأيت البحري ههنا عندنا -
قبل أن يخرج إلى العراق يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب وأوما إلى جنبتي المسجد
يلمح أصحاب البصل والبان نجان وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه) وقد ذهب كثير من الأدباء
والكتاب إلى عدم صحة هذا الخبر ولعلوا تعليقات كثيرة منها : أنهم يعرفون عن السابقين من
الشعراء والذين هم أقل من البحري لم يعرف عنهم أنهم عطوا مثل هذا العمل فقد حفظ
البحري كثيرا من أشعارهم ، كما أن الأولى بالشاعران يمدح الولاة والامراء وهذا أفضل
من مدح أصحاب البصل والبان نجان وأرجى منهم في العطية والمنحة . وذهب بعضهم أنه
لوفعل ذلك لعرض نفسه للسخرية والاستمراء .

وأرى أن مدحه أصحاب البصل والبان نجان في أول نشأته ليس بغريب ولا مستنكر بل هو ممكن
خاصة وأن الشاعر صغير السن يخيم الفقر عليه ثم هو لا يعرف ماذا سيؤول إليه من مجد
وتقريب من لدن الخلفاء . كما سيأتي - فلم يلمح نجمه في تلك الأيام فيضاف إلى هذا أنه لم
يجد من يوجهه ويأخذ بيده ويوصله إلى الولاة والامراء ليمدحهم ويترك أصحاب البصل
والبان نجان . ولذلك سوف ترى أنه لما اتصل بأبي تمام ووجهه ودره علاشأنه فصار له المنزلة
العالية والحظوظ في الدولة العباسية .

رحلته الى حلب والتقاؤه بعلوة :

رحل البحتري الى مدينة حلب أكثر من مرة ، ورحلاته الى هذه المدينة كثيرة وعديدة ولكن تاريخ هذه الرحلات مجهول . ويرجح أكثر الكتاب أن ارتحاله وتردده على حلب كان قبل اتصاله بأبي تمام في حمص وفي أثناء رحلات الشاعر التقى في حلب بفتاة فتن بها وهي : علوة بنت زريقة الحلبية ، وكتب الأدب لم تذكر شيئاً عن أبيها وقيمتها وعن قيمة أسرتها في الحياة الاجتماعية . ويذكر عبد العزيز سيد الأهل في عبقرية البحتري أنها كانت مغنية وبعض الكتاب يذكر أنها كانت غسالة أو ابنة غسالة ، ومهما يكن فان شاعرنا أغرم بهذه الفتاة وأكثر من تردده اسمها على لسانه والتغزل بها ووصفها اذا يقول :

هل دين علوة يقتطاع فيقتضى	أوظلم علوة يستغني فيقتصر ^١
بيضاء يعطيك القضب قوامها	ويريك عينيها الخزال الأحور
تمشى فتحك من القلوب بدلهما	وتميس في ظل الشباب وتخطر
وتميل من لبن الصبا فيقيمها	قد يؤزث تارة ويذكر

ويقول أيضاً :

بيضاء رود الشباب قد غمست	في خجل ذائب يعصرها ^٢
مجدولة هزها الصبا فشجا	قلبك مسموعها ومنظرها

والبحتري أحب علوة لأنه نعم معها في حلب بأيام سعيدة هائلة كان يجد اللذة في ذكرها ، ولذلك فهو يكرم الحنين الى علوة فلا ينسى تلك الايام التي قضاها بالقرب منها حتى وهو بعيد في أرض العراق يقول :

قل للسحاب اذا حدثه الشمال	وسرى بليل ركيه المتحمل ^٣
عرج على حلب فهي محلاة	مأنوسة فيها لعلوة منزل

ولقد أصيب شاعرنا بصدمة عنيفة كما جن جنونه عندما تزوجت علوة من رجل بينه وبين الشاعر صداقة ولكن البحتري لم يتمالك على هذا الحد فهبجا الذفاني زوج علوة :

أبلغ ذفانينا رسالة مشت	ساق أسر الشكوى وأعلنها ^٤
نُبئتها زوجت أخا خنث	أغن رطب البنان لئنها

الى آخر ما قاله الشاعر في الذفاني .

وللبحتري أشعار كثيرة يتغزل بها بعلوة ويذكرها ذكراً حسناً سوف يأتي ذكر لبعضها

عند الحد يش عن أغراض شعره ان شاء الله .

^١ الديوان ٢ : ١٠٧٠ ^٢ الديوان ٢ : ١٠٧٤ ^٣ الديوان ٣ : ١٥٩٩

^٤ الديوان ٤ : ٢٣٢٥

اتصال البحترى بأبى تمام

ظهر شاعرنا فى الشام حيث كان يوجد الشاعر المشهور أبو تمام ، يحتل المكانة الأولى فى الشعر بين شعراء عصره . وتردد البلاد بأجمعها صدى شعره ، وكان له اتصال وثيق بالخلفاء والوزراء فكانت قصور الخلافة مفتوحة الأبواب لأبى تمام ، كما كان اماما فى الشعر يقصده الشعراء بأشعارهم من كل مكان . ومن اتصال به شاعرنا البحترى وكان الاتصال الاول بينهما عند أبى سعيد الثغرى أمير الجزيرة عند مارحل البحترى بشعره اليه وهناك التقى بأبى تمام وهذا اول الاتصالات بين الـاعرين حيث يقول البحترى : (أول ما رأيت أبا تمام ، أنسى دخلت على الأمير أبى سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتى :

أأفاق صب من هوى فأيقنا أم خان عهدا أم أطاع شفيعا

فسربها أبو سعيد فقال : احسنت والله يافتى وأجدت . قال : وكان فى مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس فوق من حضره ، تكاد تسرركته ركبتك . فأقبل على ثم قال : يافتى أما تستحى منى ، وهذا شعرلى ، تنتحلته وتتشده بحضرتى ؟ فقال له أبو سعيد : احقيا تقول ؟ قال : نعم . وانها طلقه منى فسيقنى به اليك ، وزاد فيه . ثم اندفع فأنشد الكمر هذه القصيدة حتى شككنى علم الله فى نفسى ، وبقيت متحيرا .

فأقبل على أبو سعيد فقال : يافتى قد كان فى قرابتك لنا ، وودك ايانا ما يفنيك عن هذا فجعلت أحلف له بكل محرجة من الأيمان ان الشعرلى مما سبقنى اليه احد ولا سمعته منه ولا انتحلته . فلم يفتح ذلك شيئا . وأطرق أبو سعيد وفتح بي حتى تمنيت أنى سخت فى الأرض فقامت منكسر البال ، اجر رجلى فخرجت غما هو الا ان بلغت الباب حتى خرج القلمان فردونى فأقبل على الرجل ((أبو تمام)) فقال : الشعرلك يابنى والله ما قلت قط ولا سمعته الا منك و لكننى ظننت انك تهاونت موضعى ، فأقدمت على الأنشاد بحضرتى من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتى و مكاثرتى حتى عرفنى الأمير نسبك وموضعك ، ولوددت الاتلدا ايدا طائية الاملك . وجعل أبو سعيد يضحك . ودعانى أبو تمام وضمنى اليه فوعانقنى وأقبل يقرظنى ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه وأقتديت به))

ويسوق ابوالفتح الاصبهانى رواية اخرى لاتصال الشاعرين مفادها ان اباسعيد الثغرى قال للبحترى عندما طلب منه السماح له بالأنشاد بين يديه : ياغلام تشدنى بحضرة أبى تمام ا قال البحترى : تأذن ويسمع ، فأنشده القصيدة ((أأفاق صب ٠٠٠٠)) وأبوتمام يسمع ويهتر من فرقه الى قدمه استحسانا لها ، وطلب من ابى سعيد أن يعطى البحترى جائزته ويروى الآمدى فى الموازنة رواية ثالثة وهى : ((قد أخبرنى أنا رجل من اهل الجزيرة . - ويكنى أبا الوضاح وكان عالما بشعرا بى تمام والبحترى واخبارهما ان القصيدة التى سمعها

أبو تمام من البحترى عند محمد بن يوسف - وكان اجتماعهما وتعارفهما - القصيدة التي أولها .-

فيم ابتداركما الملام ولوها أبكيت الا دمنة وربوها

وازه لما بلغ الى قوله :

في منزل ضحك تخال به القنا بين الضلع اذا انحنين ضلوعا

نهدت اليه ابو تمام فقبل بين عينيه سرورا به ، وتحفيا بالطائية ثم قال : اي الله الا ان يكون -
الشعر يضيئا .

وقد ذهب الدكتور صالح الأشرى الى ان القبول من هذه الرويات الثلاث الروايات الأخيرتان وأن الأولى متماثلة .

وعلى كل فالروايات متفقة على ان البحترى بدأ اتصاله بأبي تمام عند أبي سعيد الثغرى فتوطدت^{بينها} وأصر الصلة والمحبة حيث يقول البحترى ايضا ((كان اول امر في الشعر ونباهتي فيه اني صرت الى أبي تمام وهو بحمص فعرضت عليه شعري . وكان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم فأقبل على وترك سائر الناس ، فلما تفرقوا قال : انت اشعر من انشدني فكيف حالك ؟ فشكوت اليه خلة . فكتب الى اهل معرة النعمان ، وشهد لي بالحدق في الشعر ، وشفع لي اليهم ، وقال : امتدحهم . فصرت اليهم بكتابه . فأكرموني ووظفوا لي اربعة آلاف درهم فكان اول مال اصبته من الشعر .))

ونص كتاب أبي تمام لاهل المعرة هو : ((يصل كتابي مع الوليد أبي عبادة الطائي وهو على هذا ذاته شاعر فأكرموه))

وقد ذهب بعض الكتاب الى ان اول اتصال بين الشاعرين كان في حمص اعتمادا على الخبر السابق . ولكن ما تقدم في النصوص السابقة لهذا النص تدل على ان الاتصال الاول بينهما كان عند الثغرى لأن البحترى لما دخل المجلس لم يكن يعرف ابا تمام حيث يقول : وكان في مجلسه رجل رفيع المجلس فوق من حضر عنده .)) . فلو كان شاعرنا التقى بأبي تمام في حمص لعرفه عندما رآه عند الثغرى ثم في نص التقائهما في حمص ما يعضد ذلك وهو اقبال أبي تمام على البحترى وترك سائر الناس . ثم كتابته لاهل المعرة للاكرام في نفس الوقت يدل على انه عرفه عند الثغرى .

وقد ذهب الدكتور أحمد البدوي في كتابه حياة البحترى وفنه ان الرواية موضوعا مقصد بها واضعوها ان يبينوا كيف راق ابا تمام شعر البحترى .

وصية أبي تمام للبحترى :

أشرت في الكلام السابق كيف التقى البحترى بأبي تمام حيث تأكدت بينهما المحبة وتوثبت بينهما

الأواصر . وأعجب البحترى بأبي تمام وود أن يصير صورته المكرورة كما ان ابا تمام سر بالبحترى لما وجد عنده من شاعر يسه شجاجة . فتوسم فيه النجابة كما يقول الدكتور شوقي صيف . وظل البحترى بعد ذلك على اتصال دائم بأبي تمام الذى لم يبخل عليه بالتوجيه والرعاية ، وشرح ما غص عليه من الوان القول كما أوصاه وصية عظيمة وما هو يسرد ما ان يقول :
لا كنت فى حدائتى أروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبيعى ولم اكن اقنع على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضاه حتى قصدت ابا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت فى تعريفه عليه . فكان اول ما قال لى ((يا ابا عبادة تخير الأوقات وانت قليل الهموم صفر من الضموم واعلم ان العادة جرت فى الأوقات ان يقصد الانسان لتأليف شئ او حفظه فى وقت السحر بوزنك ان النفس قد نالت حظها من الراحة وقسطها من النوم . وان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا هو أكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجه الكتابة وقلق الأشواق ولوعة الفراق . فأذا اخذت فى مدح سيد ذى ايسار فأشهر مناقبه واطهر مناسبه وابن معالمة وشرف مقامه . ونضد المعانى ، وأحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجساد واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل شعرك الا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك الى الشعر الذريعة الى حسن نظمه فأن الشهوة نعم المعين وجملة الاعمال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسن العلماء فأقصده وما تركوه فأجتنبه ترشدان شاء الله))

قال البحترى ((فأعملت نفسى فيما قال ، فوقفت على السياسة)) .

لقد كان من نتائج هذه الصلة ان اصبح البحترى تلميذا لابي تمام الذى تعهد به بالوصية . والنصيحة حتى تخن عليه وظل صنيعة لابي تمام يردد صداه ويترسم خطاه وحبيب يرشده ويعضده لأنه طائى مثله . حتى قال له يوما ((انت والله يا بنى امير الشعراء غدا بعدى)) فصدق الله نبوءته واصبح البحترى بعد وفاة ابي تمام سائرا لشعر طائر الذكر اماما فى الادب والقريض كما يقول الزيات ويقول صالح الأشرفى مقدمته لاخبار البحترى تأليف الصولى ((كان توجيه ابي تمام لتلميذه البحترى مخلصا ، فقد رعاه واعده اعدادا كاملا مليح محله ويصبح امير الشعراء من بعده ولا ريب ان البحترى يملك من المزايا ما جعله بعد فترة وجيزة من وفاة ابي تمام يزاحم مناكب فحول الشعراء فى سيفداد)) .

أبو تمام يرشح البحترى لأمانة الشعر من بعده : -

وهكذا حذب أبو تمام على البحترى وشجعه بكل الوان التشجيع الذى يرجع بعضه الى اعترافه بشاعرية البحترى قال الأصفهاني : حدثنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنى ابو الفوت ابن البحترى قال : حدثنى ابي قال : قال لى أبو تمام : بلغنى ان بنى حميد اعطوك مالا - جليلا فيما مدحتهم به ، فأشددنى شيئا . فأشددته بعض ما قلته فيهم . فقال لى : كم اعطوك ؟ فقلت كذا وكذا فقال : ظلموك ، والله ما فوقك حقك بولم استكثر ما دفعوه اليك هو الله لبيت منها

خير ما اخذت ثم قال : لعمري لقد استكثرت واستكثرك ، لمامات الناس ، وزهيب الكرام
وقاضت المكارم فكسدت سوق الادب . انت والله يا بني امير الشعراء غدا بعدى ، فقامت وقبلت
رأسه ويديه ورجليه وقلته والله لهذا القول اسر الى قلبي واقوى لنفسى مما وصل الى من القوم .
وروى صاحب الاغانى حديثا آخر قال : ((حدثني ابن يحيى عن الحسن بن علي الكاتب قال : قال
لى البحتري : انشدت ابا تمام يوما شيئا من شمرى فتمثل ببيت اوس بن حجر :

اذا مرقم منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مرقم

ثم قال له نعمت والله الى نفسى ، فقلت : اعيدك بالله من هذا القول فقال : ان عمري -
لن يطول وقد نشأنى طيء مثلك . أما علمت ان خالد بن صفوان رأى شبيب بن شيبه وهو من -
رهبه يتكلم فقال : يا بني لقد نعى الى نفسى احسانك فى كلامك لأننا اهل بيت مانشأ فينا
خطيب قط الامات من قبله . فقلت له : بل يبيك الله ، ويجعلنى فداك قال : ومات ابوتام بعد
سنة))

وبعض الأدباء والكتاب يشكون فى صحة هذه الروايات ويرون ان لا نصار الشاعرين يدا فى
اختلافها ووضعها .

تأثر البحترى بأبى تمام

سبق ان تحدثت عن اتصال شاعرنا بأستاذه ابى تمام وكيف ان اباتمام اعجب به وشعره بل وجعله اميرا للشعراء من بعده ، ووصاياه ومصاحته له . فقد جاء البحترى بعد ابى تمام فتعلمذ عليه وسار مقتفيا نصائحه وارشاداته . ولاشك ان لتوجيه البحترى ورعايته واعداده على يد ابى تمام اثرا كبيرا فى شاعريته ، ولاعجب ان يتأثر بأستاذه ومدربه وقد سبق لنا قوله :
(كنت فى حدائتى ارم الشعر ٠٠٠ ولم اكن اقف على تسهيل مأخذه ووجوده اقتضابه حتى قديت اباتمام وانقطعت فيه اليه واتكلت فى تعريفه عليه ٠٠٠) والواقع ان البحترى وان اتبع طريقة ابى تمام فعلى قدر من الطبع فهو وان كانت طريقة فى الشعر امتدادا لطريقة استاذه الا انها كانت بعيدة عما كان يقع فيه ابوتمام احيانا من تكلف وغلو ، ودليل ذلك راجع الى نشأة البحترى نشأة عربية خالصة فى قبيلة طيء ، والى معرفة الشاعر ان منهج العرب الخالص سهولة الاسلوب وتخير اللفظ ووضوح المعنى . ومع هذا فبعد الكتاب يذهب الى ان البحترى كم كان بوده ان يقلد اباتمام فى تكلفه ولكن لم يستطع ذلك لقلته ثقافته ، بعد انتشار العلوم الجديدة فى عصره بينما ان اباتمام اطلع عليها كما عدا ذلك عينا من العيوب التى اخذت على شاعرنا البحترى .

وأكثر الكتاب والأدباء يرون ان البحترى حذا حذو أبى تمام وذهب مذهبه فقد جاء فى معاهد التنصيص وغيره : (وكان البحترى يتشبه بأبى تمام فى شعره ويحذو حذو مذهبه ويحذو نحوه فى البدائع التى كان ابوتمام يستعملها ، ويراه صاحبها واماما ويقدمه على نفسه ويقول فى الفرق بينه وبينه قول منصف ان جيد ابى تمام خير من جيده ووسطه ورديته خير من وسط ابى تمام ورديته) .

ومن المسلم به ان التقليد او التأثير لا يلزم ان يكون تأثرا او تقليدا تامين فهذا من الأمور الصعبة ومع ان شاعرنا عاصر عدة شعراء كابن الرومى وابن المعتز ودعبل الخزاعي وعلى ابن الجهم وغيرهم ومع اتصاله بهم الا انه لم يتأثر بهم كما تأثر بأبى تمام ، فهو يرى انه الاستاذ والرئيس اما الأدلة على تأثره ماجرى بينهما حيث يقول البحترى : (لأنشدنى ابوتمام لنفسه :

على الجراء أمين غير خسوان

وسابح هطل التمداء هتان

فخل عينيك فى ظمآن ريسان

أظنى النصور ولم تظماقوائمه

بين السنايك من مثنى ووحدان

فلو تراه مشيحا والحصى زيم

من صخر تدمر أو من وجه عثمان

أيقنت ان لم تثبت ان حافره

ثم قال لى : ما هذا الشعر ؟ فقلت لا ادرى . قال : هذا هو الاستطراد نقلت : وما معنى -

الاستطراد قال : يرى انه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان () .

فما كان من ابي عبادة الا ان اظهر مدى تأثره بأستاذه وطبق هذا الدرس شعرا فقال -
من قصيدته التي مدح بها محمد بن علي القمي وقد نظمها في وصف الفرس :

وأغرني الزمن اليهيم محجل
قد رحمت منه على اغر محجل
كالهيكل المبني الا انسه
في الحسن جاء كصورة في هيكل

الى ان يقول

ما أن يعاف قذى ولو اوردته
يوما خلاثي حمد وبه الأحوال
وكان حمد وبه الاحول عدواً لمحمد بن علي القمي .

قال الصولي : حدثني عبد الله بن الحسين وقد اجتمعا بقرقساء . قال : قلت للبحثري :
احتذيت في شعرك هذا ما احتذاه ابوتام في قوله :

أيقنت ان لم تثبت ان حافره
من صخر تد مرا ومن وجه عثمان

وقد عيب هذا عليك . فقال : الأم على تبص لأبي تمام إما علفت بيتا قط حتى أخطر بما ليس
شعره . . وهذا يدلنا على مدى تأثر شاعرنا بأبي تمام مادام انه عندما يريد ان ينظم حتى
ولو بيتا واحدا يستعمر في ذهنه شعر استاذه ولا يرى ذلك مما يلام عليه والبحتري
سائر استاذه حتى في التأليف علاوة على الشعر فنراه يقلبه في تأليفه كتابه ((الحماسة))
فقد كان يضع اباتمام نصب عينيه كما يقولون - اما في الشعر فقالوا انه كان يستظهر قصائده -
وينقل معانيها الى اشعاره . وقد لاحظ القدماء ذلك وألقوا فيه الكتب وقد احصى ابوالضياء
بشر بن تميم سرقات البحتري من معاني ابي تمام ، وقد اتفق اكثر العلماء ان ابا الضياء
مغال وجاوز ومسرف فيما ذهب اليه لأنه يرى ان مجرد الاتفاق في المعنى او الالاتحاد في
اللفظ سرقة حتى ولو كان المعنى عاما مشتركا وكان اللفظ مباحا سائرا هو يرى العلماء ان هذا
هو وتعمل من ابي الضياء ، لان السرقة لا يكون الا في البديع المخترع الذي يختص به
الشاعر .

صحيح ان البحتري تأثر بأبي تمام واخذ بعض معانيه ولكن ليست بتلك الكثرة التي ادعاها
ابوالضياء . وكتاب الموازنة وكتاب اخبار ابي تمام حافلة بالأمثلة على ذلك ومنها قول البحتري
كما في الموازنة :

اطلبا ثالثا سوى فأنسى
رابع العيس والدجى والبيد
الذي اخذه من قول ابي تمام :

البيد والعيس والليل التمام معا
ثلاثة ابدأ يقرون في قرن
وقول البحتري :

ولن تستبين الدهر موضع نعمة
اذا انت لم تدلل عليها بحاسد

الذي اخذه من قول ابي تمام :

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود .

وقول البحرى :

وسألت من لا يستجيب وكنت فى استخباره كمجيب من لا يسأل

الذي اخذه من قول ابي تمام :

فصوا اجاهتى غير داع ودعائى بالفقر غير مجيب .

وغير هذا كثير مرجعه الى كتابى الموازنة واخبار ابي تمام وغيرهما ولعلنى فى نهاية هذا البحث اتب من هذه السرقات ان شاء الله تعالى .

يقول الباقلاوى فى اعجاز القرآن مصورا تتيح البحرى لأبى تمام وتأثره به واخذه منه (وكما يقولون ان البحرى يغير على ابي تمام اغارة ويأخذ منه صريحا واشارة ويستأنس بالاخذ منه بخلاف ما يستأنس بالاخذ من غيره ويألف اتباعه كما لا يالف اتباع سواه) .

ويقول الدكتور أحمد احمد البديوى ((وهذا الاخذ طبيعى لشاعر مثقف ثقافة واسعة فى الأدب ومطلع اطلاعا كبيرا على ميراث الشعراء السابقين والمعاصرين)) .

ومع ان شاعرنا تأثر بأستاذه فلم يكثر من الوان البديع الذى ينشأ عنه تعقيد المعانى

وغموضها كما فعل ابوتمام .

والنقاد يعدون هذا عيبا على ابنى تمام . وكذلك لم يورد البحرى فى شعره المعانى

الدقيقة التى تتطلب غوص الفكرة ولكنه أثر وضوح المعنى كما هو لم يجعل الحكمة من اغراض شعره ولأن ينحو نحو الفلسفة كما فعل ابوتمام لانه يؤثر السهولة والوضوح .

اعترافه لأبى تمام بالأستاذية .

تقدم لنا تأثر البحرى بأبى تمام ورأينا مدى هذا التأثير واتباعه لأبى تمام ، فالبحرى يرى ان اباتمام هو الاستاذ والرئيس ويعترف بفضله ولا ينكر أنه هو الذى أخذ بيده فى عالم الشعر وقرء له ابواب الخلافة حتى اصبح البحرى شاعر الدولة الصباسبية عشرات السنين وقد كانت له المفزلة العالمة والمكانة الرفيعة واذا اردنا ان نعرف مدى اعترافه لابي تمام بالرتاسسية والأستاذية فلنستمع اليه عند ما قيل له ان الناس يزعمون انك اشعر من ابي تمام فأجاب قائلا :
(والله ما ينغمنى هذا القول ولا يضر اباتمام ووالله ما أكلت الخبز الابى ولوددت ان الأمر كما قالوا ولكنى والله تابع له أخذ منه لائد به ، نسيى يركد عند هراجه وأرضى تنخفص عند سمائه))

(١) فى بعض المصادر الخير .

وقال ابو بكر الصولي في اخبار البحتري ((وسمعت ابا محمد عبد الله بن الحسن بن سعه القطريلي يقول للبحتري وقد اجتمعنا في دار عبد الله (١) بالخلد وعنده المبرد ر ذلك في سنة ست وسبعين ومائتين وقد انشد البحتري شعرا في معنى قد قال ابو تمام في مثله (انتفى هذا اشعر من ابي تمام) فقال : كلا والله ذاك الاستاذ الرئيس والله ما أكلت الخبز الا به فقال له المبرد: (لله درك يا أبا الحسن فأنتك تأبى الاشرافا من جميع جوانبك) .

ومن هذا نرى كيف يعترف البحتري بأستاذية ابي تمام وفضله وقد عد الكتاب هذا الاعتراف — بالجميل من حسنات البحتري ووفائه . وسوف نلم بهذه الميزة عند التحدث عن صفات وأخلاق شاعرنا .

(١) ابن المعتز .

ارتحاله الى العراق واتصاله بالخلفاء ورجالات الدولة :

في عام ٢٢٦ هـ في آخر خلافة المعتصم فكر البحترى في الارتحال والسفر الى العراق ، مفسر الخلافة والخلفاء وخاصة بغداد وسامراء . حيث كانت زاخرة بألوان الحضارة والتقدم .

وكان البحترى ذا آمال بعيدة ، ويعرف أن هناك صاحباً وصديقاً له سوف يحله مكاناً مناسباً وهو ابوتام أستاذة . وقد كان سفر شاعرنا عن طريق الجزيرة ، وفي طريقه وفد على واليها مالك بن طوق كبير بني تغلب فمدحه ، وكان نجم البحترى قد تألق في سماء الشعر منذ اتصاله بأبي تمام الذي مهد له طريق الشهرة بعد ان مهد له طريق الشعر ، وكان من الطبيعي والحال هذه ان يتطلع البحترى الى الاتصال بالخلفاء فضلاً عن الوزراء والولاة والقواد وكبار رجالات الدولة . فقصده بغداد واتصل بشعرائها وادباؤها والبارزين من الرجال ومنهم ابراهيم ابن وزير المأمون ، والحسن بن سهل وآل حميد الطوسي وخاصة أكبرهم وهو محمد بن حميد المعروف بأبي نهمشل الذي نشأت بينه وبين الشاعر صلة وثيقة ومحبة أكيدة . وقد أكثر الشاعر من مدحه ورعى هذه الصلة له ولاسرتة .

أما من الوزراء فقد اتصل بأبن الزيات وزير الواثق ومن المعروف انه كانت هناك صداقة وصلة تربط اباتام بأبن الزيات وكان البحترى يصحب اباتام في العراق وبخاصة في بغداد فتوطدت الصلة بين شاعرنا وابن الزيات وزير الواثق وكان البحترى يرغب الوصول الى الواثق ولكن الراجح ان أما لعلم تتحقق لموت الخليفة .

قضى الشاعر في بغداد سبع سنونو ثم يقرر خلال هذه على دور الكبراء والعلية من رجال الدولة ويغشى مجالسهم ومجالس الأدباء وهو بصحبة ابي تمام يعدح الكثيرين ممن التقى بهم وينال اعطياتهم ولكن لم يلبث ابوتام أن توفي . فبجاء البحترى وورثاه ، ولكن موت ابي تمام اتسع المجال للبحترى لا ينازعه في امارة الشعر شاعر ، وبعد ذلك اتصل بعلي بن يحيى ابن المنجم نديم المتوكل في البلاط السامرائي بعد انتقاله الى سامراء ، وكان ابن المنجم شاعراً وافية كما كان منزله كعبة الأدباء والشعراء فكان يقربهم ويقوم بايصالهم الى الأمراء والخلفاء ويستخرج لهم منهم الصلات والهبات ، وكعادته فقد وعد شاعرنا ان يوصله الى الفتح ابن خاقان وزير الخليفة المتوكل ، ولكن الانتظار طال على الشاعر حتى مل وسئم فأرسل الى علي بن المنجم بقصيدة يذكره بوعده ويطلب منه ايصاله الى الفتح منها قوله :

أعلى من يأملك بعد مودة

ضيعتها منى فأنى آيسس

أوعدتني يوم الخميس وقد مضى

من بعد موعدك الخميس الخامس

فتوسط له ابن المنجم ونجح في ايصاله الى الوزير الفتح بن خاقان ، ولما دخل البحترى عليه ألقى بين يديه قصيدة مطلعها :

مضى العام بالهجران منهم وبالنوى فهل مقبل بالوصل والقرب قابله ؟

وبعد اتصال شاعرنا بالوزير نال عنده حظوة ومكانة رفيعة وأكثر من مدحه كما أستأثر بعظاياه وأهدى الشاعر الوزير كتابه (لا الحماسة) كما سوف يأتي . على ان صلته بالوزير لم تكن كل امله فالبحترى يريد لها وسيلة للوصول الى الخليفة وقد تم له ذلك بفضل الفتح بعد سعى ابن المنجم وصار البحترى شاعر القصر ينشد في كل حفل ومناسبة ويسجل اعمال الخليفة ، ولعل موت استاذة ابن تمام وخلو الجوله وحاجة الملك الى شاعر يوطد اركانه ، وينافح عنه ويرفع من شأنه ، ويدون اعمال الخليفة فضلا على ما يتمتع به الشاعر من شاعرية قوية خلاقة ، لعل ذلك كله هو السدى مهد للبحترى الوصول الى الخليفة وما لبث ان صار جليسه وشاعره المقدم وتديمه ، وقد كان شاعرنا ماهرا لبقا استطاع ان يجلب الخليفة اليه وقد بلغ من ملاسته له ان الخليفة يفضى اليه ببعض اسراره ومنها أن المتوكل افضى الى الشاعر بما كان بينه وبين جاريتة التي تسمى (قبيحة) (١) وأمره ان يقول فيها شعرا على لسانه . وهكذا نرى الشاعر تقرب الى الخليفة ووزيره واصبح لسانهما الناطق يطرى مناقبهما ويصف ما يقومان به من اعمال وغيرهما .

جاء في اخبار البحترى للصولي : قال : حدثني يحيى بن البحترى قال : قال ابن :
أول ما مدحت به الفتح بن خاقان :

هب الدار ردت رجع ما أنت قائله وأبدي الجواب الربيع عما سائله

فأنشدته اياها في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، بعد ما قمت شهرا لأصل الى انشاده وهو مع ذلك يجري علي ويصلني ثم جلس جلوسا عاما وحضرت وحدي ، فرأيتة يهتر عند كل بيت جيد ، فعلمت انه يعرف الشعر ، وكان ذلك اعجب الى من جميع ما وصلني منه . وكان اول ما اهتر له حين بلغت الى قولسى :

وقد قلت للمعلى الى المجد طرفه دع المجد فالفتح بن خاقان شاغله

والى قولسى :

صفت مثلما تصفو المدام خلالسه وورقت كما رق النسيم شمائلسه

فلما فرغت سره ماسح وامرلى بخمسة آلاف درهم . وقال : أمير المؤمنين يخرج لصلاة الفطر ويخطب ، فاعمل شعرا تشده اياه اذا رجع ، فلما جاء الفطر وركب ورجع أوصلني اليه بعد ايام فدخلت وأنشدتسه :

أبرعلى الأنواء نائك الغمر وبتت بفخر ما يشاكله فخر

(١) تسمى قبيحة من فرط جمالها وحسنها .

فلما بلغت الى قولى :

بهرت قلوب السامعين بخطبة

هى الزهر المبتوث واللؤلؤ النثر

فقال المتوكل للفتح : هذا شاعرك ، فجهل بصفى له ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم أخذتها من وقتى وخصت بالفتح حتى كنت أشفق اليه فى الناصب ثم صيرنى من جلساء المتوكل .

وقد قضى البهترى لدى المتوكل وزيره قرابة خمس عشرة سنة فصارت أيامه فى تلك الفترة ، أعياداً كما يقال ، ولكن الفرج والسرور لا يدوم فى مسأ أحد الايام تأمر الأتراك والمنتصر ابن الخليفة على قتل أبيه المتوكل ، وسبب ذلك ان المنتصر خاف من نقل ولاية العهد الى أخيه المعتر بدلاً منه فقتلوا المتوكل ووزيره الفرج ، وكان البهترى حاضراً مشهد قتلها بنفسه ، وقيل إنه استطاع أن ينجو من القتلة حيث هرب من القصر (الجعفرى) ، وقيل إنه قد نال نصيبه ضربة فى ظهره بقيت آثارها طوال حياته حيث نال طابرى . فحزن البهترى حزناً شديداً على الخليفة ووزيره وقد رثاهما فى قصائد مبكية يقول فى مطلع احداها :

محل على القاطول أخلق دأثره

وعادت صرف الدهر جيشا تغاوره

وما كان من البهترى بعد مقتل الرجلين الا أن سافر الى الحج ، ولكنه ما لبث أن عاد لأنه لم يستطع أن يظل بعيداً عن قصر الخلافة ، وبالرغم من أنه ندد بالمنتصر فى رثاء المتوكل إلا أنه اتصل به وألقى بين يديه قصيدة يمدحه بها ، ويشيد فيها بعدله وجميل عفوّه وردّه المظالم لآل على . ثم اتصل بعد ذلك بالخليفة المستعين ولكن الصلة لم تكن بينهما وثيقة ، ويستدل بعض الكتاب على ذلك بأن مدحه له مدة السنوات الأربع التى قضاها المستعين بالخلافة لا يتجاوز أربع قصائد وبعد المستعين يتولى الخلافة المعتر فهجر الفرج الشاعر لأنه يحب المعتر ، ولم كان يرجو أن يتولى الخلافة . فقال الشاعر رفعة ومكانة عند الخليفة . وكذلك اتصل البهترى بالمتمدى وأشاد بوعده وتقاه . كما اتصل بالمعتمد . كما أشاد بالموفق وان عهد المعتمد وذكر بلاءه فى حرب صاحب الزنج ولكنه لم يتصل به بعد توليه الخلافة . وقد اتصل البهترى بالكثيرين على اختلاف طبقاتهم مثل الفتح بن سليمان بن وهب واسماعيل بن بلبك نوابى سعيد النخري وأحمد بن دينار وأحمد بن طولون ، وأبراهيم بن المدبر وغيرهم . وقد حصر كثير من الكتاب الذين اتصل بهم الشعراء فوجد وهم قرابة مائة رجل ما بين خليفة وأمير ووزير وقائد ، وغيرهم من أصحاب المراتب العالية . وبعض الكتاب يذهب الى أنهم أكثر من المائة بكثير . وعلى كل فقد ظل البهترى أكثر من أربعين سنة الشاعر الرسمى للخلافة العباسية يدون أعمال الخلفاء ووزرائهم وولاتهم وما يشيد ونه من قصور ومنشآت كما يسجل حروبهم ومعاركهم التى خاضتها جيوشهم مع أعدائهم

وهذه الديلة المستمرة والطويلة مع الخلفاء والوزراء والموظفين وكبار القوم في العراق اكسبته
اموالا عظيمة وضياعا كثيرة حتى قيل عنه انه كان يسير في موكب من العبيد .
وفي خلافة المعتد عاد البحتری الى الشام عودته الاخيرة واستقر بمنبج حيث أدركته الوفاة
وهو نزيل في الثمانين . يقول ابن خلكان في وفيات الاعيان ((كان البحتری مقيما بالعراق في خدمة
المتوكل والفتح بن خاقان ، وله الحرمة التامة قلما قيل كما هو مشهور في امرهما رجح الى منبج
وكان يحتاج للترداد الى الوالى بسبب مصالح أملاكه)) .

سبب خروجه من العراق ووفاته

في عام ٢٧٩ هـ وفي آخر أيام الخليفة المعتمد غادر شاعرنا البحرى العراق نهائياً متوجهاً الى بلده منبج ومسقط رأسه ليقتضى فيها أيامه الأخيرة وعندما خرج من العراق - كان ينوى العودة إليه مرة أخرى ولكنه في آخر أيام اقامته في العراق قال أبياتا في رثاء احد أصدقائه أبي عيسى بن صاعد . انتهزها أعداؤه ورأوها فرصة مواتية في التشنيع بالشاعرواتهم بالزندقة وقالوا إنه يذهب مذهب الفرس الذين يدعون بالثنوية ويرون ان هناك المهيمن لها للخير والها للشرك وكان للعادة كلمة في العراق فخاف البحرى على نفسه وأمر ابنه أبا الفوث أن يخرج معه حتى تهدأ الأمور ثم يعودا . أما أبياته فمنها :

أخسى متى خاصمت نفسك فاحتشد لها ومتى حدثت نفسك فاصدق
أرى على الأشياء شتى ولا أرى التـ جمع الاعلة للتفـرق -

الى أن يقول :

ولم أرَ كما لدنيا حليلة وامسـق محب متى تحسن بعينيه تطلق
تراها عيانا وهى صنعة واحد فتحسبها صنعى حكيم وأخرق

فهو وصف الدنيا بأن الذى يفكر فيها ويتأملها يراها وان كانت من صنع صانع واحد فإنه يخيل اليه ان ما فيها من خلق حكيم وخلق أخرق ، مع انه يعترف أن الدنيا من صنع صانع واحد هو الله سبحانه .

وعندما شاعت هذه الأبيات وشنع عليه أعداؤه خرج الى منبج حيث توفي هناك . يقول المرزبانى (حدثنى أحمد بن محمد بن زياد قال : سألت أبا الفوث عن السبب فى خروج أبيه عن بغداد فقال لى : كان أبى قد قال فى قصيدته التى رثى فيها أبا عيسى بن صاعد - أبياتا وجد بها بعض أعدائه مقالا ، فشنع عليه بأنه تنوى ودارت فى الناس وكانت العامة حينئذ غالبية ببغداد فخافهم على نفسه ، فقال لى : قم بنا يا بنى حتى نطفئ عنا هذه النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ونعود ، قال : فخرجنا وأقام فلم يعد) . وقد ذكر أيضا الشريف المرتضى فى أماليه سبب خروج البحرى من العراق فقال : (وقد قيل إن - السبب فى خروج البحرى عن بغداد فى آخر أيامه كان هذه الابيات لأن بعض أعدائه - شنع عليه بأنه تنوى من حيث قال :

تراها عيانا وهى صنعة واحد فتحسبها صنعى لطيف وأخرق

وكانت العامة حينئذ غالبية على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه أبى الفوث : قم يا بنى -

حتى نطفئ عنا هذه النائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا فخرج ولم يعد) .

ويرى الدكتور صالح الأشرى فى مقدمته لأخبار البحرى ان البحرى تكسب من الطولونيين

ولكن أخبار هذا التكسب لم تنتشر كما أن الديوان لا يتضمن مدحا لهم . وفي آخر أسبيلام
البحترى اعترل في منبج حيث توفي فيها بمرض السكته سنة ٢٨٦ هـ على الأرجح وهوينا هـز
الثمانين من العمر .

عقيدة الشاعر الدينية والسياسية :-

كان الشاعر البحترى قبل اتصاله بالخليفة المتوكل وعلى وجه التحديد في زمن الخليفة
الواثق يعتقد مذعب المعتزلة الذين ينسبون أفعال الانسان اليه ويقولون بالاختيار ، وخلق
القرآن ولكنه بعد أن اتصل بالخليفة المتوكل تراجع عن هذا المذهب واعتنق مذهب أهل السنة
الذين يؤمنون بالقضاء والقدر فغنى الشاعر بمدح الذين يحيون السنة إذ يقول في مدح المتوكل
اسلم أمير المؤمنين لسنة أحييتها والناس حيرى ضلل
جاء في الموشع للمزباني (حدثني ابراهيم بن عبدالله الكجى قال قلت للبحترى : ويحك
أقول في قصيدتك التى مدحت بها أبا سعيد :

يرمون خالقهم بأفبح فعلهم ويحرفون كلامه المخلوقا

أصرت قدريا معتزليا ؟ فقال لى : كان هذا دينى فى أيام الواثق ، ثم نزعته عنه فى أيام
المتوكل . نقلت له : يا أبا عبادة هذا دين سوء يدور مع الدول () .

وقد اتهم البحترى بالزندقة فى آخر أيامه بسبب العراق كما مر معنا فى سبب خروجه من
بغداد . وذلك حين قال أبياته من قصيدة يرثى بها أحد أصدقائه :

أخى متى خاومت نفسك فاحتشد لها ومتى حدثت نفسك فاصدق
الى أن يقول :

ولم أركا لدنيا حليلة وامسك محب متى تحسن بعينيه تطلق

تراها عيانا وهى صنعة واحد فتحسبها صنعى حكيم وأخرق

وقد سبق الكلام عن هذا فى موضعه السابق الذكر .

هذا من جهة عقيدته الدينية وأما السياسية فهووا مع بنى العباس يوالىهم ويتشيع لهم
ويرى أن خلافتهم حق لا ينازعهم فيه منازع ويغالى فى ذلك بحيث يذهب الى ان الذى لا يرى
أحقيتهم بالخلافة غير مسلم حتى ولو اتام الشعائر الدينية فخلافتهم وراثية . يقول فى مدح المتوكل

مخالف أ مركم لله عاص ومنكر حقكم لاق أئامنا

وليس بمسلم من لم يقدم ولا يتكم ولو صلس وصاما

ويقول كذلك :

وأرى الخلافة وهى أعظم رتبة حقالكم ووراثة صاتنزع

فالبحترى يخمره الفرح والسرور حينما يرى أن العباسيين ينوسون أمر الخلافة

وأن اسقاط الأ مويين من مستلزماتهما . ويرى أنها حق عاد الى نصابه وليس بخريب أن يذهب الشاعر هذا المذهب فللدولة العباسية كل الفضل عليه حيث نشأ في أحضانها واستقبله رجالها مرحبين كما لخلفاء وغيرهم كآل حميد . ومن المعروف لنا اتصال الشاعر بهؤلاء كما سبق .

أما من جهة العلويين فالشاعر وقف منهم موقف الحياد زمن المتوكل لأنه يكرههم والدليل على ذلك انه كان يجالس الناصبيين الذين يكرهون علياً وآله ويسبونهم ولكن شاعرنا لم يتورط فلم يعثر على شعر قاله في هذه الفترة . بل تذهب كتب الأدب الى أن البحترى لعله يحزن لما حل بالعلويين . ولهذا فهو يمدح المنتصر لا ينسرف عنهم المظالم ورد اليهم حقوقهم ويتوسل الى الخليفة ان يقربهم بقرابتهم منه كما سوف يأتي في قصيدته في المنتصر ففيها ما يدل على أن البحترى يرى أحقية علي بالخلافة من بعد الرسول .
والواقع أن عقيدة البحترى دينية أو سياسية فقلية وأن دينه يدور مع الدول كما سبق .

صفاته وأخلاقه :-

ذكر أبو الفتح في الأغاني عن صفات البحترى وأخلاقه قال : (ذكر أن البحترى كان من أوسخ خلق الله ثوبا وأبخلهم على كل شيء وكان له أخ ولام معه في داره فكان يقتلها جوعا . فإذا بلغ بهما الجوع أتياه بيكيان فيعرض اليهما بثمن أقواتهما مضيقا مقترا ، ويقول كلا أجاج الله أكبادكما ، وأعزى أجلاذكما ، وأطال اجهادكما) .

وروي أبو مسلم محمد بن الاصبهاني الكاتب قال : دخلت على البحترى يوما ، فأحتبسني عنده ودعا بطعام له ، ودعاني اليه ، فامتعت من أكله وكان عنده شيخ شامي لأعرفه فدعا الى الطعام فلقدم ، وأكل معه اكلًا عثيفا ، فغاضه ذلك ، والتفت الي ، فقال لسي أتعرف هذا الشرخ ؟ فقلت : لا . قال : هذا الشيخ من بني المهجم الذين يقول فيهم الشاعر :

ونو المهجم قبيلة طعمونة
لويسمعون بأكلة أوشريسة
حمر اللحي متشابهو الألوان
يعمان أنحى جمعهم بعمان

قال : فجعل الشيخ يشتمه ، ونحن نضحك .

ونحن نرى أن أبا الفتح الاصبهاني يسوق هذين الخبرين اللذين يتضمنان صفتين - غير محمودتين يتصف بهما الشاعرهما عدم نظافة ملابسه وبخله .
اما المرزبانسي في الموشح فيقول : (انه لم ير أقل وفاء منه ، فقد هجا أربعمائة رئيسا ممن مدحهم بمدح بالقصيدة الواحدة أكثر من مدح) .
وذكرت بعض كتب الادب ان البحترى مفرور بنفسه وشعره وأنه من ابغض الشعراء انشادا فقد كان عند انشاده يتمايل يمينه ويسرة ، ويتقدم ويتراجع ويقول على الحاضرين يفرغ عليهم الأعجاب بشعره ويريد الثناء عليه . حتى أن الخليفة المتوكل ضاق من فعله وطلب من الصيمري التصدي له وهجاءه .

جاء في تجريد الأغاني وغيره من كتب الأدب الخير الآتي : (حكى ابو العنيس الصيمري

قال : كنت عند المتوكل والبحترى ينشده :

عن أي شغري يتسم
وبأي طرف يحتكم

حتى بلغ الي قوله :

قل للخليفة جعفر ال

المجتدي بن المجتدي

اسلم لدين محمد

متوكل بن المعتصم

والمصم ابن المنتقم

فأذا سلمت فقد سلم

وكان البحترى من أبغض الناس انشادا ميتشادق ، ويمشى تارة جانبا وتارة القهقري
ويهن رأسه مرة وينكبه أخرى مويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول : أحسنت والله . ثم يقبل
على المستعجمين فيقول : مالكم لا تقولون لى احسنت هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقبول
مثله الى آخر الخبر حيث غجر المتوكل وطلب من الصيمرى أن يهجو البحترى . حتى غضب
وخن . وذهبت بعض الكتب الى ان البحترى كان قبيح الوجه اسمر طويل اللحية . متقلب
الهوى محب للمال حتى انه جمع ثروة طائلة عينا وعقارا . .

اما من حيث كون الشاعر وسخ الثياب فأنى أوافق الدكتور أحمد أحمد البدوى حيث —
استبعد ذلك ، لان البحترى يجالس الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة وهو لاه بطبيعة
الحال ينفرون من الوساخة ، كما أن الشاعر نديم المتوكل وجليسه يضاف الى هذا ما عرف عنه
انه كان لا يسير الا بموكب من العبيد والقهارمة . وهذا ينفي فى الظاهر ان يكون الشاعر وسخ
الملابس . وأرى انه ربما كان وسخ الثياب قبل اتصاله بالخلفاء وغيرهم لاسيما ونحن نعرف ان
البحترى نشأ فقيرا . أما ان البحترى غير وفى كما ذهب اليه البعض فلا اعتقد صحة ذلك تماما
لأسباب منها : — وفاؤه لأستاذه أبى تمام ، واعترافه له بالجمل والفضل حين سئل عند ابن المعتز
أيهما أشعر هو أو أبوتام فقال : أبوتام هو الاستاذ الرئيس هو الله ما أكلت الخبر الا بسـ
ولا ينفمنى ان يقضى الناس عليه . فلو كان شاعرنا غير وفى لرأى انه افضل من أبى تمام اوعلى
الأقل ينكر جميله خاصة وأن هناك من يفضله على استاذه . ودليل آخر على وفائه ان المتوكل
قتل على مرأى منه فرثاه رثاء جميلا وكناه بكاء مراو لا شك ان شعره فى رثاء المتوكل يدل على —
الوفاء الخالص خاصة وانه هجا المنتصر الذى تواطع الا تراك على قتل أبيه وقد عرض نفسه
للهلاك بسبب هذا الهجاء .

أما كونه يمدح شخصا ثم يهجو فهذا العمل ليس غريبا ونحن نعرف ان البحترى يمدح
لالحب حقيقى وانما كان غرضه من المدح العطاء والاستجداء ، فإذ لما تأخر الشخص عن اعطائه
فأنه يهجو ليتنبه لذلك كما ان هذا الشئ قد عمله بعض الشعراء فما بالناس نلهم البحترى وهذه
عادة سار عليها شعراء التكب كما ان البحترى عاش فى عصر يختلف كل الأختلاف عن غيره من
حيث كثرة الأعطرابات والشقاق .

وأما انه يمدح فى القصيدة اكثر من مدح واحد فهذه صفة كان من المفروض على شاعرنا
ان يترفع عنها لاسيما وهو الشاعر المطبوع . يقول المرزبانى (ومما قبح فيه أيضا عدل عن طريق
الشعراء المحمودة فأنى وجدتة قد نقل نحو من عشرين قصيدة من مدائح لجماعة توفر حظـه
منهم عليها الى مدح غيرهم ، وامات اسما من مدحه اولا ، مع سعة ذرعة بقول الشعراء اقتداره
على التوسع فيه)

ويرى بعض الكتاب أن ما فشا في عصر البحتری من منازعات واضطرابات وفساد له دور كبير في ذلك فهو يرى أن مدد وحيه بعضهم عدو لبعضهم ، وأغلبهم لا يصلح للخلافة أو المنصب وأن أكثر الخلفاء في وقته قتل بسيف الأتراك أو مكيدة يديرها ولي العهد ، ولكن هذا لا ينفى الضعف عن نفس البحتری .

أما من حيث ما قيل أن البحتری قبيح الوجه فهذا ربما لا يكون صحيحا لأننا نعرف أن البحتری قد تعرض لهجاء ابن الرومي فلو كان به قبح لذكره ابن الرومي ولا سيما أن ابن الرومي قادر على إجادة الهجاء . ولكن بعض الكتاب يميل إلى أنه نحيف الجسم وأني لحيته ربما كانت طويلة . وقد نوه ابن الرومي عن طول لحيته في هجائه له .

وأما أن الشاعر بخيل فواقع شعره ينفي ذلك بل ويدل على أنه كريم جواد إذ يقول :

من شاكرني الخليفة في الذي	أولاه من طول ومن احسان
حتى لقد أفضلت من أفضله	ورأيت نهج الجود حيث أراني
ملا تيداه يدي وشره جوده	بخلي فأقترني كما أغفاني
وثقت بالخلق الجميل معجلا	منه فطيت الذي أعطاني

وغير ذلك كثير وربما يقول قائل ان البحتری يدعى ذلك ادعاءً كاذبا ، والجواب على ذلك أن ابن الرومي لم يهجه بالبخل ، ولو كان البحتری بخيلا لاستقل الهاجى هذه الصفة وعرض بها وأمر آخره وأن القاضي التنوخي يروي أن المصتر بعدما استتب له الخلافة يودخل عليه البحتری وأنشده اعطاه ستة آلاف دينار ، وقال له : وكأني بك وقد بادرت فاشترت غلاما وجارية وفرسا وفرشا فأتلقت المال لا تفعل . فأن لك فيما تستأنفه من أيامك معنا ومع وزيرائنا وأسبابنا إذا علموا موقعك منا غناء عن ذلك .

وأنا أرى أن كلام المصتر للشاعر من أكبر الأدلة على أن الشاعر لا يهيمه الاحتفاظ بالمال وأنه يصرفه لشراء ما يريد بحسبنا أن الشاعر جالس الخليفة المصتر عند المتوكل قبل مقتله وكلاهما يعرف صاحبه .

كما أن هذه الأدلة تنافي ما ذهب إليه أبو الفتح الاصفهاني في بخله وتفقيره على أخيه وغلامه ولربما أنهما عاطلان لاعمل لهما ويتصفان بالبطالة وكانا يطلبان ما لا يستحقان وأن الشاعر يرى أن عليهما أن يحملوا ويكسبا قوتهما فلا يصبحا عالة عليه .

أما ما روي عن عبود فهو من الذين يرون أن شاعرنا بخيل هو أن البخل رأس مزاياه ، ويستدل على ذلك حيث يقول في كتابه الرؤوس : (وهل أظلم على بخل هذا الذي يسمونه شاعر الطيف من تحسره على افلات الطيف منه ؟) . وأنا أرى أن تحسر الشاعر على افلات الطيف ليس دليلا على بخله فهو يعيش مع طيف أحبه في عالم آخر فيحس باللذة ، والفرحة بولقاء الحبيب ولو لم يكن في اليقظة غاذا ما انتبه لم ير حوله أحدا فيحق له أن يتحسر أشد الحسرة .

وإذا كان كذلك فهذا لا يدل على بخل وإنما يدل على وفائه لأحبته - وأما هجاء البحترى للشامى فقد يكون لشراسته أولسوء تناوله الطعام . ومن صفات البحترى الشجاعة ونحن نعرف اشتراكه في حروب العزى ضد الروم وله بعض الصولات والجولات . إذ يقول :

وأنا الشجاع وقد بدا لك موقسى
بمقرقس والمشرفية شهدى (١)

والبحترى يؤمن بأن الواجب هو الجهاد والعمل وعدم التوكل ولتجشم الانسان الصعاب . - كما انه متفائل لا يرى ان الشدائد تدوم وإنما انجلاؤها قريب .

ومن صفاته أيضا افتخاره بأبائه واجداده وبقبيلته والفخر بشعره . فقد كان معجبا به علاوة على اعجابه بنفسه الذي يصل الى حد الغرور في بعض الأحيان . -

يقول مفتخرا بشعره :

بزور من الأتوام مثلى ولا وفد (٢)

وأعلم ان السبيل ما لنا تكس

ويقول أيضا :

وأنا الذى اوضحت غير مدافع
نهج القواني وهى رسم دارس

وسوف يأتى الكلام عن شئ من فخر البحترى عند الحديث عن اغراض شعره ان شاء الله كما اتصف الشاعر بأفراطه في حب المال حيا عايما والسير اليه ولو كان بعيدا ، وهذا ولا ريب من العيوب التى اخذت على البحترى وان كان قد سبقه الى هذا الخلق كثير من الشعراء فقد كان من المفروض عليه عدم التهاوت الشديد على المال وان يرتفع بقيمة شعره عن ذلك .

قال ابن خلكان في وفيات الاعيان انه كان بحلب شخص يقال له طاهر بن محمد الهاشمى مات ابوه وخلفه مقدار مائة الف دينار فأنفقها على الشعراء والزوار في سبيل الله ، فقصده البحترى من العراق . فلما وصل الى حلب قيل له : انه قد قعد في بيته لهيون ركبته ، فاغتم البحترى لذلك غما شديدا وبعث المدحة اليه مع بعض مواليه . فلما وصلت ووقف عليها بكى ، ودعا بغلام له وقال له بيع دارى . فقال له : اتبيع دارك وتبقى على رؤوس الناس . فقال : لا بد من بيعها ، فباعها بثلاثمائة دينار واخذ صرة وربط فيها مائة دينار وانفذها الى البحترى وكتب اليه معها رقعة فيها هذه الأبيات :

ست لدينا به محل وأهل

قوت حتوا وكان ذاك يقل

راذا قصر الصديق المقل

لويكون الحباء حسب الذى انب

لحنت اللجين الدر واليا

والأريب الأديب يسمح بالعد

(١) عقرقس : واد في بلاد الروم .
(٢) الزور : السيد والرئيس

فلما وصلت الرقعة الى البحترى رد الدينير وكتب اليه :

بأبي أنت والله للبر أهل والمساعى بعد وسعيك قبل
والنوال قليل يكثر ان شا مرجيك والكثير يقل
غير أننى رددت برك اذكا ن ربا والربا لا يحسل
وانا ماجزيت شعرا بشعر قضى الحق والدينير فضل

فلما عادت الدينير اليه حل الصرة وضم اليها خمسين دينارا اخرى وحلف أنه لا يردها عليه
وسيرها . فلما وصلت الى البحترى أنشأ يقول :

شكرتك ان الشكر للعبد نعمة ومن يشكر المعروف فالله زائده
لكل زمان واحد يقتدى به وهذا زمان انت لاشك واحد

وهذا الخبر وان كان يدل على ان البحترى يقطع الفياني القفار طلبا للمال بالانه يدل —
أيضا على ما يتصف به البحترى من نفس كريمة .

آثار البحترى

ترك الشاعر لنا آثارا ثلاثة هـى :

١- الديوان : وهو ديوان شعر كبير ضم أشعارا جمّة فى أغراض شتى ولكن معظمه فى المديح يتخلله غزل كثير ، ووصف لشتى الأنواع ، والرثاء وغيرها من الأغراض ويسمى ديوانه (سلاسل الذهب) وبعضهم يأتى هذا الاسم على شعره لتناسبه . طبع الديوان عام ١٣٠٠ هـ فى القسطنطينية عن مخطوطة يرجع تاريخها الى عام ٤٢٤ هـ وهو مرتب حسب أسماء الأشخاص والأسر الذين قيل فىهم الشعر ثم طبع عام ١٣٢٩ هـ فى القاهرة . كما طبع ايضا فى بيروت وقد جمعه قديما ابوبكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٥ هـ ورتبه على الحروف وكان من قبل غير مرتب ، كما جمعه ايضا على بن حمزة الاعفمانى وقد رتبه على الأنواع والموضوعات اما ابو العلاء المعرى فقد شرحه ونقده وسماه (عبث الوليد) كما أن محمد بن اسحق النزوى المتوفى عام ٤٦٣ هـ قد قام بشرحه ايضا . وفى عام ١٩٦٣م قام الاستاذ حسن كامل الصيرفى بشرحه وتحقيقه والتعليق عليه .

٢- كتاب الحماسة : وقد ألف الشاعر هذا الكتاب وجمعه كما يقال نزولا على رغبة الفتح ابن خاقان وزير الخليفة المتوكل وقد ضمنه اشعار نحو ستمائة شاعر اكثرهم من الجاهليين والمخزوميين وقسمه الى اربعة وسبعين ومائة باب ترجع كلها الى ثلاثة ابواب هى : الأدب والحماسة والرثاء . وقد ذهب الادباء الى ان الأبواب السبعة والعشرين الاولى تدخل تحت الحماسة . والباب الأخير للرثاء . والباقي يدخل تحت باب الأدب . ولكن البحترى - فصل الابواب حتى بلغت العدد المذكور . وقيل ان البحترى الفاحماسة اقتداء وتأسرا بأستاذه ابي تمام والافقد كان من المفروض ان يسميها كتاب الادب لأنه الغالب عليها . بخلاف ابي تمام فقد سمى كتابه الحماسة لأن الاشعار الحماسية التى حواها هى الغالبة وقد ذهب البعض ان سبب التسمية بالحماسة يكمن فى ان اول باب من ابواب الكتاب هو باب الحماسة فناسب ان تسمى بهذا الاسم . ومهما يكن فحماسة شاعرنا البحترى تمتاز بكثرة الأبواب - وكثرة الأشعار التى تتعلق بالأدب والأخلاق فهى الغالبة عليها - كما تمتاز بغزارة المعانى وكثرة عدد الشعراء الذين ذكروا فيها والذين يبلغون ستمائة شاعر وتمتاز ايضا بخلوها مما تنبوهه الاسماع من الألفاظ البديئة . وما يدل على ذلك أن السهجا والغزل لم يذكر فيها . يقول بعض الكتاب (وكان البحترى الفها لشبية هذه الأيام) كما تمتاز بحسن الاختيار وسلامة الذوق وبالتقسيم الذى يعطينا صورا مختلفة من الأساليب وطريقة الأداء لمعنى واحد . كما يرى بعض الأدباء أن كثرة التقسيم من المآخذ على البحترى ذلك انه أذهب بهجة عرض القصيدة كاملة وأن حطمة أى تمام أشتهرت أكثر من حماسة البحترى لخلوها من هذه التقسيمات

الكثيرة فهي تعطينا القصيدة كاملة . وقد طبعها لويس شيخو في بيروت سنة ١٩١٠م
ونشرها عن مخطوطة عثر عليها في مكتبة ليدن وقد ذيلها بالفهارس .
٣- كتاب معانى الشعر : وهذا الكتاب الذى الفه شاعرنا لم يصل الينا والغالب انه
يضم ابياتا من عيون الشعر العربى التى عنى البحتري بشرح غامضا ، وهذا الحكم قياسا
على الكتب التى ونعت في معانى الشعر مثل كتاب معانى الشعر للأشنادانى .
هذه هى الآثار التى أثرت عن شاعرنا .

الفصل الثالث

- ١- شعر البحسرى ومميزاته
- ٢- شاعريته وآراء النقاد والأديباء فيها
- ٣- نظرة سريعة في الأغراض التي طرقها

الفصل الثالث

شعر البحتري ومميزاته

نشأ البحتري في منبج ، وقال الشعر في تلك البلدة ، ثم ارتحل الى العراق ، وأقام هناك سنوات طويلة كان خلالها شاعراً للدولة العباسية الرسمي ، ثم رحل الى منبج ، وأقام بها حتى وافاه الأجل . وبناءً على هذا يمكننا ان نقول ان شعره مرتبطة اطوار هي :

١- الطور الاول : وهو طور نشأته الادبية ، وأكثره في منبج على انه تجول في بعض المدن السورية كحمص وحلب ، وفي حمص التقى بأبي تمام كما سبق حيث عرض عليه شعره . ويذهب بعض الكتاب الى انه لا يوجد بين ايدينا شعري يصور هذه المرحلة ، الا ما علم من انه كان يمدح اصحاب البصل والباذنجان .

أما هو فيخبرنا عن أول شعر قاله ان يقول : (كنت أتمشق لئلا من اهل منبج يقال له شقران ، واتفق لي سفر فخرجت فيه ، واطارت الغيبة ، ثم عدت وقد التحى . فقلت فيه ، - وكان أول شعر قلته

نبتت لحيه شقرا

ن شقيق النفس بعدى

حلقت كيف اتته

قبل أن ينجز وعدى

٢- الطور الثاني : طور العراق . فقد انتقل اليه - كما تقدم - وذاع صيته بفضل لقاءه بأبي تمام ، وقد اتصل بالخلفاء والوزراء وكبار المسؤولين فمدحهم ونال اعطياتهم ، وقد خلا له الجولموت أبيض تمام . فصار شاعراً للخلفاء ، فقريبه ، وفي هذا الطور جادت شاعريته وبلغت الغاية فنظم اشعاره . ثم عاد بعد مقتل المتوكل الى بلدته منبج وفي هذه الفترة - أدى فريضة الحج . ولكنه مالبث ان رجع الى العراق وعاد الى سالف عهده مع الخلفاء حيث بقى الى آخر حكم المعتمد ، ثم شنع عليه بالثنوية فارتحل الى منبج على امل العودة التي لم تتحقق . -

٣- الطور الثالث : يبدأ من سنة ٢٧٩هـ عند ما عاد عودته النهاية الى ارض وطنه حيث اقام حتى أدركته الوفاة . وقد ذكرت بعض كتب الادب انه بعد عودته الى وطنه اتصل بالطولونيين ومدحهم ، ولكن أكثر اشعار هذه الفترة الاخيرة مجهولة . ويعمل الدكتور صالح الأشتر سبب ذلك قائلاً : (سبب جهلها لنا اما ان اخبار هذه الفترة لم تصل الى دمشق أو هي لم تصل العراق) ويقول (لعل الصولى - اذا قد رنا علمه بها - لم يكن قادراً على اذاعتها فدمشق آنذاك مزورة عن العراق ، والطولونيون فيها دعاة استقلال وانفصال عن الخلافة المركزية ، وكل تعجيد لخطاويه هو في حقيقته دعم لهذه الميول الانفصالية التي يتكرها العباسيون ويخونون الحروب من اجلها ، والمعتمد كان قبل الخلافة يقود الجيش العباسي

على خمارويه وأبيه ، ويرد الطولونيين عن الشام) يقول الأستر : (هذا فيما نحسب هو سر بقاء هذه المرحلة الاخيرة من حياة البحترى مجهولة كل الجهل) (١).

هذه هي المراحل الثلاث التي مر بها شعر البحترى ، والمرحلة الثانية بلاشك هي التي فاقت المرحلتين الاولى والثالثة من حيث كثرة الشعر وجودته .

وشعر الشاعر اقلبه قاله في المديح . كما سوف يأتي في الحديث عن اغراض شعره . وقد سار في اكثر اشعاره على طريقة الشعراء قبله في افتتاح القصائد بالغزل والنسيب ليتخلص مههما الى الغرض المقصود ، ويظهر هذا في قصائد المدح أكثر من غيرها . وقد كان شعره في اخر العصر العباسي الاول اشبه بالمطبخ في القصيدة ، حيث تكاملت له معاني الحسن من قوة الصياغة ، ووضوح الغرض ، وجمال الجرس ، وخفة المنطق ، ونصاعة البيان ، وروعة الموسيقى . تقل فيه الهفوات والكلمات النابية المستكرهه والتراكيب الهزيلة . وقد وصفه بعضهم فقال كان شعره ارق من النسيم واعذب من السلافة للندم متناقلته الرواة بالأكبار وكتبوه على العرار بمداد من النهار ، ليتهادى به المحبون ويرتوى بمائه الظامئون ، وقد خلد خلود الجمال - وبقي بقاء الحياة ، وسار مسير الشمس بزاد ديوها فتفتحت العيون عليه كما تفتتح على القمر يشق اطباق السحاب لينتشر نوره على اللون الهادئ الساكن ، فيبعث فيه الهوى والحب والطمح والامل والرغبة والشوق والسعادة والرضا وصفاء النفس ونشوة الفؤاد الخ (٢) .

جاء شعر البحترى فصيحاً جزلاً سلساً واضح الأسلوب لا غموض فيه ولا تعقيد . فقد اختار - الشعراء الالفاظ المستعملة ، وابتعد عن الالفاظ الحوشية المستكرهه ، واستعمل البديع بحكمة وتصرف ، فلم يجر الضمور الى معانيه ، كما ان شعره في اقلبه موجز غير مطول لأن شاعرنا يعرف ان الاطالة من مميزات الخطابة لا الشعر يقول :

والشعر لمع تكفى اشارته وليس بالهدر طولت خطبه

ولهذا صار للبحترى طريقة خاصة به في العذوبة والفصاحة مع الجزالة ، امتازيها عن غيره من الشعراء ، وسار عليها من جاء بعده منهم ، وسميت طريقة اهل الشام ، مما جعل نقاد الأدب يشهدون لأصحاب هذه الطريقة بالتبريز لقبهم من مذهب العرب في اشعارهم ، ويعدهم عن العجمة ، فسلمت سنتهم ، ولجمعهم بين فصاحة البداوة وجلالة الحضارة وقد روى ان صاحب ابن عباد كان يعجب بطريقة الشاميين التي هي طريقة البحترى ، الذي فتن معاصريه بسلاسة شعره وورنته وسهولته .

ومن مميزات شعره انه قريب المأخذ ، وان البحترى يضع الالفاظ في مواضعها . يقول الأمدى (وليس الشعر عند اهل العلم به الاحسن التأتى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الالفاظ في مواضعها ، وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثلـــــــــــــــــــــــــــــــــه

(١) أخبار البحترى (٢) تاريخ الأرب العربى لبراهيم ابراهيم

وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لاثقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه . فإن الذلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف ، وتلك طريقة البحترى (١) .
ويقول ايضا : (ان شعر البحترى صحيح السبك حسن الديباج مولى فيه سفاسف ولا ردى -
مطروح ولهذا صار مستويا يشبه بعضه بعضا (١)) .

والبحترى لا يجهل قيمة شعره العالية ولذا فهو يفتخر به وبأصالته وما اجتمع له^{من} التعقل والتجربة في فنه الحر الذي خلا من تكلف حدود المنطق فهو لم يسأل عن الشيء مانوعه وما سببه كأهل المنطق (٢) يقول

كلفتونا حدود منطقكم
والشعر يغني عن صدقه كذبه
لم يكن ذو القروح يلهج بال
منطق مانوعه وما سببه

وشعر شاعرنا يشتمل على الوان من البديع كالطباق والجناس ، ولكنه لم يبلغ فيهما مبلغ استاذه ابي تمام الذي غالى في هذه الصناعة واسرف ، حتى صار كثير مما اتى به من المعاني لا يعرف ولا يعام غرضه فيها الامح الكد والفكر وطول التأمل كما يقول الآمدي (٣) .

ولعل السرفني هذا كما يقول بعض الادباء ان البحترى لم يكن محتاجا الى ان يقوم بدور الرائد المكتشف كما فعل ابوتام ، فقد كفاه صاحبه كالشعراء الذين سبقوه امثال مسلم ابن الوليد او عاصروه امثال ديك الجن هذا العناء ، فلم يبق امامه الا التزيين والتحسين والتجويد وازالة الخشونة التي نجدها عند ابي تمام وهي التي سماها ابن رشيق (حزنونة) ويرى بعض الكتابان شعره ينقصه التنميق العقلي والتأني اللفظي ، وذلك لقلة ثقافته وممن ذهب هذا المذهب الدكتور شوقي ضيف فهو يرى ان البحترى يختلف عن ابي تمام من حيث صناعة الشعر وفهمه ، فقد جعله العلماء في صف بشار وابي نواس . بينما يقف ابوتام في صف مسلم واضرابه ، فبلغ مذهب التصنيع عند ابي تمام غاية من التنميق العقلي والتأني اللفظي بخلاف البحترى ولعل عدم ثقافة البحترى بالثقافات الفلسفية وغيرها لنشأته في بيئة عربية سليمة بين قبائل طيء هو السبب في ذلك مضاف الى ذلك كما يقول الدكتور شوقي - فهمه ان الشعر طبع وموهبة فهو على انه اتصل بأبي تمام لم يستطع ان يجاريه في صناعته ، لان اباتام نشأ في المدن فهو حضري تتقف بثقافة واسعة . اما شاعرنا فهو بدوي لا يستطيع ان ينتقل دفعة واحدة من القديم الى الجديد (٤) . على ان ابن رشيق اعتبره من المصنعين .
امثال مسلم وابي تمام حيث يقول عن ابي تمام : (وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها فأما حبيب فيذهب الى حزنونة اللفظ هو مائلا الاسماع منه مع التصنيع المحكم طوعا وكرها يأتي للاشياء من بعد ، ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة .
وأما البحترى فكان اطلع صنعة وأحسن مذهبها في الكلام عوسلك منه دماثة وسهولت مع احكام الصنعة وقرب المأخذ ولا يظهر عليه كلفة ولا مشقة .

والدارس لشعر الشاعرين يرى ان هناك فرقا بينهما من حيث الصنعة فمع ان البحترى تلميذ ابي تمام لم يصل الى تعقيد استاذه بوانما نجد عنده الوانا من الجمال الحضري الذي أخذه من ابي تمام وغيره من الشعراء كالجناح والطباقي يتولى :

منى وصل ومنك هجر
وفى ذل وفيك كبر

البحترى شاعر فصيح جميل الشعر قال عنه ابن الاثير (أراد ان يشعر ففى) فهناك الموسيقى الرنانة والمشاكلية بين الالفاظ والمعاني والتوافق الصوتى بين الحروف والحركات - والكلمات وشعره خال من التعقيد وقد اتفق العلماء على ان هذا ناشئ عن نشأته فى طنى بين قومه الذين كان يتقلب بينهم و يأخذ الفصاحة عنهم فلم تطغ عليه فلسفة ، ولم يغلب عليه عمق نظر او شك عقل او ذبذبة تفكير ، لان سذاجة الأعراب وصراحة فطرتهم وسلامة نواياهم ووضوح أهدافهم وبساطة عيشتهم وعدم التعقيد فى حياتهم من شأنه الا يجعل منهم غموضا أوزيفا فى تصويرها وتفاهة فى منطق (١) ولعل من اعظم الميزات ان شعر البحترى يسمى سلاسل الذهب لتناسبه . وهذا يدل على ان شعره يمتاز بصفات قل ان توجد عند الشعراء فهو كما قيل : موسيقى عليم بالنغم ، عنده لون مداولان التكرار يحمده له النقاد هو التكرار - النفسى ، الذى يعلن قدرته على ارافة التنعيم والترنم والاستمتاع بموسيقى التفعيلات واظهار الانسجام بينهما وبين لفظ البيت وكلماته المؤلفة ، ويرى بعض النقاد والأدباء أن أجسور شعره المديح وبعضهم يرى ان وصفه للقصور هو الأجود .

اما مذهبه فى الشعر فعلاوة على انه سار على طريقة القدماء من الشعراء بافتتاح قصائده بالغرل وغيره فقد ترسم طريقة ابي تمام ، وضفى على اثره ، ولكنه استعمل معانيه من وحى الخيال وجمال الطبيعة . فأعاد للشعر بهجته وروعته وطلاوته ، حيث صارت له طريقة خاصة نفسى الجزالة والعدوية والفصاحة والسلاسة ، امتاز بها عن غيره من الشعراء واصبح اماما لمن جاء بعده منهم يقول الآمدى : (البحترى اعراى الشعر مطبوع على مذهب الاوائل وما فارق عمود الشعر (٢) . ويقول الثعالبي : (ان شعره تنابة مقعدة القوافى (٣) . وفى الموضوع التالى - سنتناول شاعريته لنرى الى اى مدى خلق فى عالم الشعر ، وكيف حكم عليه النقاد والأدباء

(١) الأدب العربى / الفاخورى

(٢) الموازنة

(٣) بيتيمة الدهر .

شاعريته وآراء النقاد والأدباء فيها

ولد البحترى شاعرا موهوبا ونشأ في بيئة مساعدة على الشاعرية من حيث جمالها الحسى ومن حيث امتدادها بالقبائل العربية وأهمها طيء التي ينتسب اليها الشاعر كما كان لنشأته في منبج وباديتها يد طولى على شاعريته وتصفية خياله فألف ما لأهل البداوة من حسن مرهف وتصوير صادق . وقد تتلمذ على أبي تمام الذي وجهه وأعانه على الشعر وسهل له رجوه اقتضابه وعمل على اشتهاره بين الناس فجعل النقاد يقفون مشدوهين أمام هذه العبقرية الشعرية التي جعلته يحتل منزلة رفيعة في عالم الشعر مما جعل اباتمام يشهد له بأمانة الشعر حيث قال : (أنت والله يا بني أمير الشعراء غدا بعدى) والبحترى جدير بهذه الامارة ان صح ما قاله الأمدى في الموازنة من أن البحترى أسقط في أيامه أكثر من خمسمائة شاعر وذو هيب وخبرهم وانفرد بأخذ جوائز الخلفاء دونهم ، وقال بعض الأدباء (لم يأت بعد أبي نواس - من هو أشعر من البحترى ولا يعد البحترى من هو أطبع على قول الشعر ولا أبدع منه في الخيال الشعري) - والبحترى شاعر مطبوع ذهاب في أكثر اشعاره مذهب القدماء الذين جدهم في المعاني وحافظوا في الألفاظ والأساليب ، وعبقرية البحترى في شعره تأتي من فطرته الموسيقية فقد استطاع ان يأتي بأعذب الألحان ما حدا ببعض الكتاب أن يقول إنه موسيقار الشعر العربي وصداحه الذي يشجى سامعيه بلغة وجدانية منقطعة النظير (١) وهذه الموهبة الشعرية عند البحترى تأتي من حيث دقة اختياره للكلمات وتأليفها فصاراتها خالية من التنبؤ والشذوذ بل تشتمل على التناسق والتوافق وفيها كما يقول بعض الكتاب روح البحترى الذي عاش حياة كلها رغد وهناءة وسكب ذلك في شعره فغدا أكثره مفرحا مشرقا كالشمس الطالعة في يوم صحو جميل فمافات البحترى من الفلسفة والدقة في استخدام وسائل البديع الحضارية عوضه بهذه الفطرة الموسيقية الرائعة التي تؤهله أن يكون صاحب سيك وصياغة في لغتنا العربية ولقدما يقولون (أراد أن يشعر فغنى) . كما قيل دياجة بحترية . ولعل هذه الموهبة الشعرية كامنة في البحترى منذ الصغر يقول شوقي ضيف (وفي اخباره - ما يدل على ان ملكته الادبية تفتحت في سن مبكرة) واذا عرفنا ان شاعرنا ظل الشاعر الرسمي للدولة العباسية عشرات السنين جزمنا انه لم ينل هذا المنصب الا لقوة شاعريته وبراعتهها ويفضل شاعريته الفذة فشعره يعتبر ديوانا لاعمال بني العباس وماشيدوا من قصور وما قاموا - به من حروب ، واذا كان شعراء القرن الثالث الهجرى يتصفون بالجودة فالبحترى اشعرهم . كما يدل على شاعرية شاعرنا ماورد في وفيات الأعيان (قال ميمون بن هارون رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذرى المؤرخ وحاله متماسكة فيألتة فقال : كنت من جلساء المستعين فقصدت الشعراء فقال : لست أقبل الامن قال مثل قول البحترى

(١) الفن ومذاهبه في الشعر

فى المتوكل :

فلوأن مشتاقا تكلف فوق ما فى وسعه لمضى اليك المنبر

يقول ابن خلكان معلقاً على هذا بقوله (هذا الشعر هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل الممتنع فله دره ما اسلست قياده واعذب الفاظه واحسن سبكه ، والطف مقاصده فليس فيه من الحشوشى بل جميعه نخب) . وشاعرية شاعرنا لم تقف عند هذا الحد .

فالقاضى الجرجانى يقول فى وساطته تحت عنوان السهل الممتنع من شعر البحرى ((ومتى اردت ان تعرف ذلك عيانا وتستثبته مواجهة فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفعل ما بين السج المنقاد والعص المستكره فاعمد الى شعر البحرى)) . ويقول معلقا على بعض اشعاره (انظر هل تجد معنى مبتدلا ولفظا مستهترا مستعملا ، وهل ترى صنعة وابداعا او تدقيقا او اغرابا ثم تأمل كيف تجد نفسك عند انشاده وتفقد ما يتداخلك من الارتفاع ويستخفك من الطرب اذا سمعته)) .

لا شك ان هذه شهادات من النقاد القدماء ومن الأدباء المحدثين على ان البحرى رزق شاعرية قوية لها منزلتها العالية التى يتطامن دونها كثير من الشعراء المعاصرين له وغيرهم ، ولهذا نرى بعضهم يفضله حتى على استاذه ابي تمام . قال عبد الله بن الحسن : (سألت المبرد عن ابي تمام والبحرئى أيهما اشعر ؟ فقال : لأبي تمام استخراجات لطيفة ومعان ظريفة - وشعر البحرئى احسن استواء من شعره لأن البحرئى يقول القصيدة كلها فتكون سليمة من طعن الطاعن (١)) . والرقه والسلاسة والالطف وعدم الاخلال بالمنهج الفصيح فى تعقيد الكلام من صفات شعر شاعرنا يقول صاحب المرشد الى فهم أشعار العربىة وصناعتها ((والبحرئى شاعر الالطف والرقه غير مدافع . . . وان صح أن يوصف عنتره بأنه رقيق أصحاب المعلقات فالبحرئى رقيق الشعراء المحدثين جميعهم وأطبعهم واسلسهم من غير خروج عن مذهب المتانة فى السبك واتباع المنهج الفصيح فى تعقيد الكلام وللامه زين قل أن تجد نظيره عند غيره من الشعراء ، نعم رنان تناب معه الالفاظ انسيابا فأذا عنت الصورة الجميلة أو الخاطر الشعرى الرائع وافانا ذلك كما لبرق الخاطف حتى تكاد تسأل نفسك أصدق هذا أم انا مسحور ؟ ولن نجد شاعرا يفتن كما يفتن البحرئى فى استقلال الثلاثيات من الكلمات واستعمال المصادر المنونة وألغات المد ، وحرور الأشباع كل ذلك فى سلاسة وخفة ورشاقة وما أبدع ما قال عنه ابن الأثير إنه أراد أن يشعر فغنى)) . وهكذا فتن البحرئى معاصريه وقارئى شعره برنته وسهولته وسلاسته ، وأعتقد ان شعره لم يسهم بسلاسل الذهب الا لما يتصف به من شاعرية خلاقة جعلته فى الطبقة العليا ، ولعل ما يؤيد هذا

أبو العلاء المصري عندما سئل عن الثلاثة أي تمام والبحترى والمنتبى أيهم أشعر حكيم بأن إتمام والمنتبى حكيمان وإنما الذي يتصف بالشاعرية هو البحترى وهذا يدل دلالة أكيدة أن بعده عن التعقيد والتعمق في الفلسفة جعل شعره فصيحاً كأنه سيل ينحدر إلى السماع لهذا حكم عليه بأنه الشاعر الحقيقي . قال بعضهم (ولنشأته البدوية ابتعد في شعره عن مذاهب الحضريين وتعقدهم وفلسفتهم فكان شعره كله بديع المعنى حسن الדיباجة صقيل اللفظ سلس الأسلوب كأنه سيل ينحدر إلى السماع) ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتغنى بها في زمنه من شعره) وابن رشيق يرى أن البحترى يصنع الابتداء سهلاً ويأتي به عفواً وكان كلما تبادى قوى كلامه (١) أما ابن الأثير فيقول (أن مكانه من الشعراء لا يجهل وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كما لشمس قريباً ضوءها بعيداً مكانها وكما لقناة لنا مسها خشناً سنانها . . . وهو على الحقيقة قينة الشعراء في الأقطاب وحقاً هم في الأغراب)
أن هذه الشاعرية المغنية هي التي جعلت النقاد يحكمون بأنه لم يأت بعد أبي نواس من هو أشعر من شاعرنا . فلقد أتى البحترى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء فس اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام مع قرينه إلى الأفهام كما يقول ابن الأثير في المثل السائر . وشاعرية البحترى ومزله بين الشعراء معروفة لكل أديب وناقـد فلقد أتى بقصائد فريدة قل أن يأتى بها أكثر الشعراء فاعتبرت من عيون الشعر العربي وهذا الصولي كاتب أخبار البحترى يقول : (سمعت عبد الله بن المعتز يقول لولم يكن للبحترى الإقصيد السينية في وصف أيوان كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في البركة ميلوا إلى الدار من ليلي نحيبها . واعتذاراته في قصائده إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة إلى النعمان مثلها وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها مالم يصفه أحد قبله ، أولها : ألم ترتغليس الريح المبكر . ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف إذا اغيف إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه)

لا شك أن هذه القصائد وغيرها كثير ، تتم عن شاعرية البحترى التي اعترف بها كل منصف والتي بسببها استطاع الشاعر أن يتسم قمة الإبداع في حسن التعبير عن معانيه بوضوح وجمال فبدت وكأنها كما يقول ابن الأثير نساء حسان عليهن غلائل مصفات وقد تحلين بأصناف الحلى) أما الأمدى في الموازنة فله أحكام كثيرة على هذا الشاعر وشاعريته . يقول :
(البحترى أعزبى الشعر مطبوع على مذهب الإوائل ما فارق عمود الشعر المعروف وإن يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشى الكلام) كما يقول عند المفاضلة بينه وبين أبي تمام : (فإن كنت ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلوا للفظ فالبحترى أشعر) .

أن من يرجع الى ديوان شاعرنا فيدرسه يجد فيه هذه الصفات والجزات التي ذكرها النقاد وذلك لما في شعره من الدماثة والسهولة وصوغ الالفاظ وطلاوة السبك ورشاقة الوصف وقلة الأعراب يقول ابوالفتح عنه : (شاعر فصيح حسن المذهب نقي اللام مطبوع كان مشايخنا رحمهم الله يهتمون به الشعراء) حقا لقد خلق البحترى شاعرا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فقد رزق نفسا شفافة كما يقولون فطرت على الاحساس المرهف الدقيق ، وامتاز بخيال صاف صقلته البادية واكسبته جلاء ثم صبغته الحضارة بألوانها واصباغها الزاهية وتوالت على ذوق سليم سلامته سليقية فأدرك اسرار الموسيقى الفنية ادراكا طبيعيا يميز الاصوات الناشئة من الاصوات - المتناغمة من غير عناء كما رزق التأليف بين الاصوات ، وان كان الشعر بنفوذ النظر ودقسة الملاحظة وصدق الحس . وتنبه الفكرة والمحافظة وروعة البيان فالبحترى هو الشاعر حقا (١) البحترى كما يقول حنا الفاخوري يمثل الشاعر الجاهلي الفطري في عهد الثقافة العربية فهو يأبى الا أن يظن نفسه على سجيتها لا ينحرف بها عن مجراها الطبيعي للتقيد بسنن اوقوانين ولا يكلفها التعمق لاني التفكير المنطقي الذي اتخذه بعض معاصريه مذهباً للشعر - ولا في تعقيدات البديع الذي جعل منه آخرون علما ذا اصول وانما يرى ان الشعر لرحم للاشياء خاطف والاشارة عنها ببيان بليغ . والحضارة التي عاشها الشاعر لا بد ان تترك اثرا فسيح البحترى الا ان ذلك الاثر قد عالجه في عينه دون عقله كما يقال - فكان كل ما اخذه الشاعر من عصره ميله الى الزخرف وشغفه بيها الالوان الزاهية ، ولا تصاف البحترى بهذه الشعارية النادرة تبوأ مكانة رفيعة بين شعراء العربية لأن مذهبه الشعري والنهج الذي اتبعه في نظم قريضه مذهب سديد هو اذا كان الشعر هو لسان العاطفة والمعبر عن الوجدان والمستخدم للخيال في تصوير ما يجير في النفس من انفعالات واحساسات فليس بغريب ان يعتبر من المطبوعين على مذهب الاوائل ولم يفارق عمود الشعر . يضاف الى ذلك انه يعتبر استناداً - للشعراء في تجنب التعقيد ومستكره الالفاظ ووحش الكلام وغريب الاستعارات (٢) .

ويكفينا دليل على شاعريته ما قاله الأمدى في موازنته (أن أبا عبادة أسقط في أيامه أكثر من خمسمائة شاعر وذهب بخبرهم وانقر بأخذ جوائز الخلفاء دونهم) . ولو بحثنا عن أسباب هذه الشعارية الفذة التي اتصف بها شاعرنا لوجدنا ما تمكن في أمور كثيرة اتفق عليها الكتاب منها :-

(١) انحداره من اصل عربي خالص فأعمامه واخوانه من العرب الخالص .

(٢) شبابه وترعرع في بيئة شاعرية ملهمة بين بدائع الطبيعة ومشاهد ها الخلابة كما جمع في نشأته بين مزايا البداوة والحضارة وخالط البدو والضاربيين على مشارف منج واعراب طبيعية

(١) تاريخ الادب العربي حنا الفاخوري

(٢) المرجع السابق .

الضارين على نجاف الفرات فأخذ وتلقن العربية من معينها الصافي .

(٣) يضاف الى هذا انه تلميذ ابي تمام فقد استفاد منه ودرج على منواله في الاساليب الواضحة

والمعاني التي لم يسبق اليها وابتعد عن أساليب المعقدة الغامضة والمطوية .

(٤) ابتعاده عن الفلسفة وعدم سيره على مذهب اهل الحضرة بعد شعره عن الفلسفة والتعقيد

وخلا منبها فجاء حسن الديباجة مصقول اللفظ سلس الأسلوب .

(٥) انفساح المجالات له واتساعها بعد وفاة أبي تمام وعدم وجود منافس له قرابة خمسين عاما .

(٦) وجوده سوفا نافقة لشعره كمجالس الخلقاء والامراء والوزراء الذين يكرمونه ويجزلون له العطايا

والمهيات .

(٧) انه رزق سلامة الطبع وصفاء النفس ودقة الحس والموهبة الفطرية التي نالت اعجاب معاصريه

ومن اتى بعدهم مما جعلهم يقرون له بالمكانة اللائقة والمنزلة العالية بين شعراء العربية ولقد

صدق من قال : (أبي تمام والبحترى من المحاسن ما لوقيس بأكثر شعر الاوائل ما وجد فيه مثله)

أغراض شعر

نظرة سريعة في الأغراض التي طرقها

لقد تطرقنا فيما سبق الى شاعرية البحترى وعرفنا براعته وجودة شعره ، فلقد ضم الديوان بين دفتيه اشعارا كثيرة وانتاجا ضخما يدل على شاعرية قوية نحتاجه وخيال واسع وشاعرنا من الشعراء الذين قالوا الشعر في جميع الاغراض تقريبا ، وبرزوا في اكثرها ، وليس هذا بغريب على شاعر كأبي عبادة ، فلقد جرى على النسق الذي جرى عليه اسلافه فقال الشعر في المدح والوصف والفخر والغزل والاستعطاف والعتاب والهجاء والاعتذار والرثاء وغيرها ، ولا غرابة ان يطرق البحترى كل هذه الاغراض وقد عاش في عصر توفرت له فيه دواعي الانشاد . فالعصر عصر العمران والحضارة والتقدم العلمي ، والشاعر شاعر الخلفاء المقرب . عاش في ظلال القصور يغدق عليه العطاء بدون حساب ومئة ، فوجد جواً مناسباً فانبتت شاعريته وجادت بالشعر الرجزل السلس الفصيح . تقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد في كتابها المرأة في شعر البحترى (كان البحترى ابن عصره في شعره فشعره من مزايا العصر المصقولة ففيه دور وقصور وجنات ، وفي شعره اخبار واحداث وفي شعره سياسة ، فهو يؤيد حيناً ويمدح ، ويعارض حيناً ويقدم مدح كثيراً وهجاً . وقام بمهمة الشاعر في عصره ، والبحترى ابن عصره في أسلوبه فقصيد مرقيق الحواشي اخضر الالفاظ وكأنه معرض لحضارة عصره بقصورها وخلاتها وريائنها والبركة المشهورة . شعره ابن عصره عصر تنقل الشعراء من ممدوح الى ممدوح ، ومن بلد الى بلد ، فقصيده ايضا وصاف رحلات ، وسجل امكنة وبلدان ، شاعر طرقت كل فنون الشعر المعروفة في عصره) .

نعم لقد جال شاعرنا في كل غرض وبرز في الكثير على الشعراء ، وان كان البعض يرى انه

لم يكثر في قليل من هذه الاغراض كالهجاء كما سوف يأتي .

وسنمر مرورا سريعا بهذه الاغراض لنفرغ الى الغرض المقصود من هذا البحث وهو الوصف .

١- المسدح

وهو من الأغراض التي خدمها الشعراء ، فجالوا وصلوا فيها ، وقد يندران يترك هذا
الغرض شاعر ولكن الشعراء يختلفون قوة وضعفا . فالمدح وسيلة الرزق عند بعضهم حيث اخذوا
يتكسبون بأشعارهم بل قد عرف كثير من شعراء التكسب سموا عبید المال ، كما ان الخلفاء -
واصحاب المناصب العالية اتخذوا لهم شعراء خاصين يمدحونهم ويسجلون اعمالهم نظير ما
يدفعونه للشعراء . وشاعرنا البحتري من الشعراء الذين طرّفوا هذا الباب واكثروا فيه بل ان -
المدح من حيث الكثرة يحتل المرتبة الاولى من شعره ودیوانه شاعداً بذلك ناطق به ، والمدح
وجد عند البحتري من اول نشأته حين بدأ يقرض الشعر حيث ذهبت كتب الأدب ^{الى} انه كان يمدح
اصحاب البصل والبانانجان ، وبعد سفره الى العراق وجد مكانا خصبا للمديح ، فاتصل اول
امره بالوزراء والقواد وعلية القوم ثم ارتفع الى الخلفاء فصار شاعرهم طوال سنوات طويلة ومن -
المعروف انه اتصل بستة اوسبعة خلفاء هو ما يقارب المائة رجل على اختلاف مناصبهم . فمدح
هؤلاء ورجع اموالا طائلة جعلته يسير في هذا الطريق وقد كان لبقا في مدحهم فقد كان يمدح
كل من يتصل به بصفاته الخاصة التي تميزه عن غيره كما انه لا يطلب في مدح الخلفاء خاصة -
لمعرفته انهم يسأمون ويملون من طول القصائد . والخليفة المتوكل من ومدوحى الشاعر حيث -
مدحه بقصائد كثيرة منها قصيدته الرائية المشهورة والتي مطلعها . . .

أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر
وألم في كمد عليك واعذر

ويقول منها :

الله مكن للخليفة جعفر	ملكنا يحسنه الخليفة جعفر
نعمى من الله اصطفاه بفضل	والله يرزق من يشاء ويقدر
فاسلم امير المؤمنين ولا تنزل	تعطى الزيادة في البقاء وتشكر
عمت فواظلك البرية فالتقى	فيها المقل على الغنى والمكسر
بالبرصم وأنت افضل صائم	وسنة الهادى الرضية تقطر

الى آخر هذه القصيدة التي تعتبر من القصائد الرائعة . . .

ولقد حظى المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان بالشرط الاكبر من مدائح الشاعر . قال يمدح
الفتح :

بلونا غرائب من قد نسرى	فما ان وجدنا لفتح ضريبا
هو المرء ابدت له الحادنا	تعزما وشيكا ورأيا صليبا
تنقل في خلقى سؤددك	سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكا لسيفان جثته صارخا	وكا لبحران جثته مستثيبا

فتى كرم الله اخلاقه وألبسه الحمد بردا قشينا

كما مدح البحترى المنتصر وكان الخليفة مغضبا على الشاعر قبل وصوله الى العرش ولكن
البحترى استطاع ان يتحاييل عليه ويرضيه واتخذ سبيلا الى ذلك ما كان للمنتصر من رد المظالم
المعلويين وغير ذلك . ومدح ايضا المستعين عندما قتل تاملش الوزير وشجاعا الكاتب وهما تركيان
كانا يظلمان الناس فمدحه واعتبره مخلصا للدولة من الاضطرابات والفتن . كما مدح المصترابن
المتوكل لتقواه وصلاحه وهجره الملاحى والمطذات وآخر من مدحهم الشاعر من الخلفاء...
المباسبين هو المعتمد الذى تولى الخلافة ثلاثا وعشرين سنة . ولكن البحترى بعد موت -
المعتمد سافر الى منبج وهما ثلاث سنوات لم يصرف انه مدح احدا الا ما تقدم من اتصاله
بالطولونيين وهذه الفترة التى التقى فيها الشاعر بالخلفاء مدح اثنا عشر خلقا كثيرا كآل حميد
الطوسى وآل وهب وبلغ ممدوحوه عددا كبيرا لا مجال للتحدث عن قصائده فيهم فى هذا المقام

٢ - الهجاء

ويقابل المدح الهجاء ، فلقد طرق شاعرنا الهجاء ، فذهب الاصبهانى الى ان هجاء ه
قليل يقول : (وله تصرف فى ضرب الشعر سوى الهجاء فان بضاعته فيه نزره وجيده فيه قليل)
كما يذهب ايضا الى ان اكثر هجائه ساقط ركيك لا يشاكل طبعه ولا يليق بمدحه ، ولا يعرف له
هجاء جيد الا قصيدتين احدهما فى ابن ابي رقاش والثانية فى يعقوب بن الفرج .

اما المرزبانى فى المرشح فينسب سوء العهد وخيب الطريقة فى الهجاء الى البحترى -
يقول : (وكثير من اهل الادب ينكر خيب لسان على بن العباس الرومى ويضربون عن اضافة
البحترى اليه والحاقه به مع احسان ابن الرومى فى اساءته وقصور البحترى عن مداه فيه " وانه
لم يبلغ فى دقة معانيه وجودة الفاظه وبدائع اختراعاته ما عنى الهجاء خاصة) .
ويقول ايضا ابوالفسر الاصبهانى فى ايراد خبر ينقله عن الاخفش عن ابي الغوث ابن الشاعر
ان اباة لما حبرته الوفاة دعا ابنه وقال له : اجمع كل شئ قلته فى الهجاء ففعل كما أمره -
بأحراقه ثم قال له : يا بنى هذا شئ قلته فى وقت نشفيت منه غيظى وكأفأت به قبيحا فعل بسى
وقد انقضى ارمى فى ذلك وان بقى روى ، وللناس اعقاب يورثونهم العداوة والمودة فأخشى ان
يعود عليك من هذا شئ فى نفسك او معاشك لافائدة لك فيه . قال : فعلت انه نصحتنى
واشفق على فأحرقته وقد ذكر بعضهم انه هجا نحو من اربعين ممن مدحهم ومن بينهم -
خليفتان واذا صح هذا فشاعرنا هجما ، ولكنه لا يصل فى الهجاء الى درجة ابن الرومى
ودعبل الخزاعى . ومن مميزات البحترى فى هجائه انه كان يجمع فى القصيدة الواحدة بين -
هجاء شخص ومدح آخر كما ورد فى قصيدته النونية التى مدح بها أبا عيسى بن صاعد

ومجا بها ابن البريدى أيضا والتي مطلعها :

ماجو خبت وان نأت ظمئه تاركنا أو تشوقنا دمنسه

كما كان يتقلب مع الشخص الواحد بين الهجاء والمدح كأشعاره في آل ثوابة . ويرى بعض الكتاب أن القارئ لشعر البحترى في الهجاء يلمس فيه ظاهرتين قويتين أحدهما : قصر نفسه فيه حيث أن أكثر أهاجيه مقطوعات قصيرة وأن المعاني التي تحتوى عليها قليلة . والثانية : صراحة هجائه فهو يدعو من يهجوهم كلبا حيناً ، وحمارا حيناً آخر ، ومن المعروف أن الهجاء الجيد هو الذى يسوعن هذه المعاني الى التهكم والسخرية والاستهزاء ، ولنستمع اليه يهجو عبد الرحيم بن أبي قماش وقد كان يتصايب ويتودد النساء على كبر سنه وتبع خلقه :

أزت قد علمت مضطرب الهي	من	أنة والتد ظاهر الجلف ،
والسن قد بينت قنناك فى		شدد على ما ضفيك منخسف
وجه لعين القسيين يقطعيه		أنف طويل محدد الطرف
ورنة تحت فنتنة قدرت		من هالك الرأ زامر الألف
كأن فى فيه لقمية علق		لسانه فالتوى على جلف
تناصير النوك والركاكة فى		مخبل الانحناء والحذف
وأعرضت ظلمة الخضاب على		عثنون تيس باللسوم منعقف
محرك رأسه توهمه		قد قام من عباة على شرف
سماجة فى العيون فاحشة		خلفت فى جلفها أبا خاف
تروى وصل المها وأزت كذا		هذا العمرى ضرب من الخسرف

ولا يخفى ما فى هذه الأبيات من السخرية والاستهزاء المقذعين .

والبحترى ينفذ مهاجاة الشعراء ، فهو يتعد عن ذلك بقدر ما يستطيع لخوفه . وهو يرى أن السبب فى ذلك أنه لا يريد أن يخلد لأسرته عارا يصمها به مدى الدهر ، ويعترف بذلك صراحة ان يقول :

وأجبن عن تعري عرض لجاهل وان كرت فى الإقدام أظعن فى الصف
وانى لثيم إن تركت لأسرتى أو ابد تيقى فى القراطيس والصحف

ويرى أيضا أن السبب فى محاولته الابتعاد عن الهجاء لأنه لا يريد أن يشتهر به ولا يجعله صناعة له ، ولعله وجد أن الشعراء الذين اشتهروا بالهجاء فى عصره كدعبل وابن الرواحى عاشوا بعيدين عن نيل السعادة والحظوظ ما هو فقد ظفروا شعره بالسعادة والمال فماله يعرض نفسه لحياة ملؤها الرغبة فى ايجاع الناس . كما يقول الدكتور البدوى .

فيقول البحتري

ولست منبرياً بالجهل أجعله صناعة ما وجدت الحلم يكفيني

ويقول ابن رشيقي في العمدة : (هجاء ابن الرومي البحتري - وابن الرومي من علمت - فأهدى اليه البحتري تخت متاع وكيس د راحم هو كتب اليه بيتين ليريه أن الهدية ليست تقية ولكن رافسة عليه وأنه لم يحمه على ما فعل الا الفقر والحسد المفرط) .

والقارئ لاخبار الشاعر يلح انه لا يستطيع الصمود امام من يهجوه ، بل يأخذه الخوف بسبب والذعر فلا يستطيع المقاومة والمقارعة ولعل ما يدل على ذلك القصة التي حصلت مع الصيمري في مجلس المتوكل حيث ان البحتري كان يتشادق ويتراور عند انشاده ويهز رأسه وغير ذلك - فسئم المتوكل منه وطلب من الصيمري ان يهجوه وعندما هجاه ما كان منه الا ان لاذ بالفرار من المجلس حتى ان الصيمري صار يجري خلفه . ومن شدة غضبه وخوفه فقد أراد أن يذهب الى الشام . هذه القصة تدل على ان البحتري لو كان يجيد الهجاء لما ترك الصيمري يهزأ به ويهجوه بحضرة المتوكل فلقد كان من السفورس على البحتري ان يكيل له الصاع صاعين خاصة وان الصيمري تعرض لأم البحتري وأخته واتهمهما باتهامات شائنة ، فأين شاعرنا الذي لا يريد ان يصم أسرته بعارفي الحياة ؟ .

يقول الصيمري

يا ابن المباحة في الوري أمن العفاف ام التهم
اذ رحل اختك للعجم وفراس امك في الظلم

وبعض الكتاب ينكر هذه القصة ويعتبرها مدسوسة .

وعلى كل فباع البحتري قصير في الهجاء ، ما ما من حيث كثرته فقصة احراق هجائه توحى بان هجاءه كثير والالما كان يؤبه له هو كذلك كثرة من هجا هـ .

٣ - الفخر

كان لنسب البحتري الخالص العروبة أثر كبير في فخره فهو يفتخر بأبوته وبقبيلته طي (كما يفخر بنسبه من جهة امه ، ولكنه كثيرا ما يتعصب لأبوته كما افتخر بنفسه وبشعره وله بضاعة جيدة في الفخر ، على ان انثر شعره في الفخر كان في مكارم قومه وشيرته يرفع من مكانتهم ويبرز صفاتهم ويعدد مناقبهم ويذكر شرف اليمين وعزها مقابلا ذلك بخشونة عرب الشمال وسوء حالهم ، على ان كثيرا من قصائد الشاعر في المدح لا تخلو من الفخر . وقد ذهب أشتر الأدباء الى ان اظهر قصائده في الفخر اثنتان . مطلع الاولى :

أحببني بطيف سعد الآتى وطروقه في أعجب الأوقات

أنى اهتديت لمخربين تصويوا لسفوح مكة من ريس عرفات

وفى هذه القصيدة يفاخر بما وصل اليه من رفعة وما احتل من مكانة ومجد وقد قالها بعد ان تجاوز الاربعين ويقول محقق الديوان حسن كامل الصيرفي انه نظمها اثناء حجه عام ١٢٤٧هـ بعد مصرع المتوكل .

والقصيدة الثانية مالمها :

انما الغى ان تكون رشيدا

فانقصا من ملامة او فزيدا

خلياه وجدة اللهو مسادا

م ردا الشبا بفضا جديدا

وقد ذهب محقق الديوان ان الشاعر نظمها سنة ١٢٢٠هـ . وقد تضمنت هذه القصيدة تمجيد طيء وهذا التمجيد يدور حول اربع صفات هي البأس وما يتبعه من شجاعة ونجدة ، وكذلك الكرم ورجاحة العقول ، وكثرة العدد ، وهذه الصفات الأربع هي الصفات التي يفتخر بها العربي منذ اقدم العصور . فالبحتري في القصيدة يرى ان طيء سبقت الى المجد والشرف ويفتخر بأفعال هذه القبيلة ويبالغ حتى يرى ان حليم قومه امسكت الارض من ان تميد بالناس ولم يقتصر على ذلك بل جعل اهل الحجاز عبيداً لقومه واما قومه فهم قوم الشريف وقد قارعوا العمالين من الأمم السابقة وهذا مما يدل على قوتهم وبأسهم في الحروب وانهم من قوتهم صاروا حجارة او حديدا . يقول :

ذهبت طيء بسابقة المجد

مد على العالمين بأسا وجودا

معشر امسكت حلومهم الأبر

غى وكادت من عزمهم أن تميدا

نزلوا كاهل الحجاز فأضحى

لهم ساكوه طرا عبيدا

منزلا قاروا عليه العمسالي

حق وهادا من عزها وشمودا

ان قومي قوم الشريف قديما

وحدينا ابوة وجدودا

يحسن الذكر عنهم والأحادي

عنا اذا حدث الحديد الحديد

فهم قوم تبع خير قسوم

لهم الله بالفخار شهيدا

نحن ابناء يعرب أعرب النسا

سلسانا وانضر الناس عسودا

وكأن الأله قال لنا فى الحر

بكونوا حجارة او حديدا

كما أن البحتري يفتخر كثيرا بوطنه الاول (الشام) وان كان وطنه الثانى (العراق) أشر فيه من تلك الناحية حتى كاد ينسيه ايساه .

٤ - الغزل

لقد نظم شاعرنا في هذا الغزل، واتصف غزله بالجودة واللفظ والرقّة والحلاوة التي تجعله محبباً إلى نفوس السامعين ولقد اجاد البحترى في هذا الغرض وساعده على ذلك ما تصف به من صفاء الفطرة الذي سهل الفاظه وجعل اساليبه سلسلة ، ثم نشأته نشأة بدوية وسيسية ساعدته على ذلك . لقد احب البحترى علوة بنت زريقة الحلبية فكانت شغله الشاغل وحديثه المستمر وحبه الاول وكما يقال (الشعراء مناديق مخلقة مفاتيحها عند النساء) فتعلق قلب البحترى بها وهو في ميعة شبابه فتغزل بها ويمتاز غزله هذا بالصدق والشعور الحقيقي ففيه حرارة وعاطفة متوثبة مؤثرة غاية في الرقة ، وفيه جدال ساحر في الوصف . فوقف جزءاً من شعره يتغزل بهذه الغادة الفاتنة حتى بعد ان فارقتها الى العراق ولقد صور كثيراً من عواطف الحب في غزله . يقول :

كم ليلة بت فيك أسهرها	ولوعة من هواك أضمرها
وحرقة والدموع تطفئها	ثم يعود الجوى فيسعرها
يا علوعل الزمان يعقبنا	ايام وصل نظل نشكرها
بيضاء رود الشباب قد غمست	في خجل دائب يعصفرها
مجدولة هزها الصبا فشجا	قلبك مسموعها ومنظرها

ويقول :

بيضاء يعطيك القضيبي قوامها	ويريك عينيها العزال الأهور
تمشى فتحكم في القلوب بدلها	وتمير في ظل الشباب وتخطر

ويقول ايضاً :

ذات حسن لو استرادت من ال	حسن اليه لما أصابت مزيدا
فهى الشمس بهجة القضيبي الغرس	لينا والريم طرفا وجيدا

يقول بعضهم في غزل البحترى (أما الغزل فهو ذلك الغرض الذي رق فيه حتى ذاب وفتى فيه حتى اشرف على الفناء ، واجاد فيه حتى صار أوحد زمانه لأن علوة بنت زريقة الحلبية تفتح لها قلبه وطرب لها فؤاده وتعلق بها خاطره وسعدت بها نفسه . وصار وقتها عليها خاطره فلا يقوله تقليداً ولا ينظمه للتسلية انما يستجيب لوجدانه ويلبى احساسه ومشاعره) .

وقد جاء البحترى في غزله بأوصاف كثيرة لما يتعرس المحب من صد وهجران وفراق وألم النوى والرحيل والمشيبي الذي ينفر الغواني ويبعد هن وقد ضمن غزله كيف يتغاني المحب في حبيبه وكيف ان الحبيب في نظر من يحبه اجمل مخلوق يراه ، وكيف يتذلل المحب لحبيبه ويستعطفه

ويستهويه وصبره على ما يلاقيه من عدل ولوم الى غير ذلك من عواطف واحساسات ومن المعروف ان اكثر هذه المعاني سبقه اليها الشعراء ولكن الذي اشتهر به شاعرنا هو ذكر طيف الحبيب حتى نهرب به المثل بين الأدباء والنقاد وسمى شاعر الطيف كما سيأتى .
ومن المعروف ان الغزل بالمذكر من الأغراض التي استجدت فى هذا العصر ، ولقد جرى شاعرنا على هذه العادة القبيحة الشائعة بين الشعراء ولكنه لم يكثر منه كما أن غزله بالمذكر لم يصل الى حد من الفحش كما عرف عند بعض الشعراء ، وقد ذكر ابو الفرج فى الأغاني ان للبحترى غلاما اسمه نسيم جعله بابا من ابواب الحيل على الناس ، فأذا حصل فى ملك بعض اهل المروءات شبيب به وتشوقه ومدح مولاة حتى يهبه له ، وكان هذا دأبه حتى مات نسيم وكفى الناس سره ، وجاء فى تجريد الاغانى ان البحترى كتب الى محمد بن على بن القاسم يستهديه نبذاً فبعث اليه بنبيذ مع غلام أمره فحشمه البحترى فغضب الغلام غضبا شديدا علم منه البحترى انه سيخبر مولاة بما جرى فكتب اليه :

ابا جعفر كان تجشينا	غلامك احدى الهنات الدنية
بعثت الينا بشمس المدام	تضى لنا مع شمس البرية
فليت الهدية كان الرسو	ل وليت الرسول الينا الهدية

فبعث اليه محمد بن على بالغلام هدية :

ومما عيب على البحترى انه لا يحسن التخلص من الغزل والنسيب الذى يفتح به قصائده .
يقول ابن الأثير المثل السائر : (انه لم يوفق فى التخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضابا ولقد حفظت شعره فلم اجد له من ذلك شيئا مرضيا الا اليسير) .
ويقول الباقلانى فى اعجاز القرآن (الاترى ان كثيرا من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى الى غيره ، والخروج من باب الى سواه ، حتى ان اهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير البحترى - مع جودة نظمه وحسن وصفه - فى الخروج من النسيب الى المديح) .

٥- الرثاء

نظم البحترى شعرا جيدا في هذا الغرض اجاد فيه اجادة فائقة . فلقد رثى جماعة من كبار رجال الدولة العباسية كالمتوكل ووزيره الفتح علاوة على رثائه لقومه وعلامه كاودع هذه القصائد عاطفة حزينة وسكب الدموع على المرثى وقد ذهب بعض العلماء الى أن أجود غرض قال فيه البحترى بمدح هو الرثاء . وشاعرنا نفسه أجابنا عن السبب اذ يقول : إن من تمام الوفاء أن تفضل المرثى المدائح وعلى كل فأن شاعرنا شاعر مجيد عند ما يصور عواطفه الحزينة ومن اقوى قصائده في الرثاء ما قاله باكيا الخليفة المتوكل فقد بكى عليه بكاء مرا تظلم فيه عاطفته الصادقة فتجاه هذا الخليفة والاعتراف بفضله . فقد قرب الشاعر كما نعرف واتخذته مناد ما له بل وشاعرا رسميا كما ان البحترى شهد مقتل المتوكل ووزيره الفتح فرثاهما أبقى رثاء على ما كان يتعمرنه بذلك من عقاب يقول من قصيدة في رثائهما :

وعادت صفوف الدهر جيشا تغلده

محل على القاطول اخلسق دائره

الى ان يقول :

يجود بها والموت حمر اظافره

صریح تقاضاه السيوف حشاشة

دما بدم يجرى على الارض مائره

حرام على الراح بعدك اوارى

هزرقم وجنح الليل سود دياجره

لنعم الدم المسفوح ليلة جعفر

وقد وصف ابو العباس ثعلب هذه المرثية بقوله (ما لقيت هاشمية احسن مثلها ، وقد صرح بها تصريح من اذهلته المصائب عن تخوف العواقب)

والبحترى لم يخرج في رثائه عن الطريقة المألوفة ، كما انه اتخذ شعرا رسميا في بعض المرافق وجرى فيه على تعظيم الفاجعة بتعداد مناقب المرثى في اسلوب فخر جليل ، ومن بين الذين حظوا بمراثيه بنو حميد حيث بلغت قصائد رثائهم غاية الروعة الفنية . والبحترى عند ما يرثى يذرف الدموع على الميت ويسجل ما امتاز به من خلال انسانية رفيعة فيجمع في الرثاء بين البكاء والتسجيل كما يقول الدكتور البدوي .

والبحترى مع جودة رثائه لم يصل الى درجة ابي تمام ، فقد يسف احيانا الى درجة الفئاسة والاسفاف . كقصيدته التي قالها يعزى ابا نهشل محمد بن حميد الطوسي في فقد ابنته كما يقول المقدسي .

٦ - العتاب والأعتذار

لقد اشتهر البحتري في الارب العريى بحلاوة العتاب فله فيه اليد الطولى ، وقد ابدى فيه من الحدق والصاراة الشيء الكثير ، ولذلك لقبه ابن رشيق بشيخ الصناعة الشعرية وسيد الجماعة ، فهو يرى ان البحتري احسن الناس طريقة في العتاب ، وقد ذهب بعض الكتاب - المحدثين الى ان عتابه يتصف بنعومة حريرية ورقة ولطف يجعله مقبولا لدى النفوس، وقد وصف البحتري نفسه عتابه فقال :

عتاب بأطراف القوافى كأنه طعان بأطراف القنا المتكسر
فأجلوبه وجه الاخاء واجتلى - حياء كصبيح الأرجوان المعصر

فهو يقول ان عتابه كما لطعن بأطراف القنا المتكسر يؤلم ويميت .

ومن شعره في معاتبة الخليفة المتوكل قوله :

هل يجلبن الى عطفك موقف
مازال لى من حسن رأيك موئل
فعلام انكرت الصديق وأقبلت
وأقام يطمع فى تهمضم جانبى -
الا يكن ذنب فعذلك واسع
ثبت لديك اقول فيه وتسمع
أوى اليه من الخطوب ومضغ
نحوى ركاب الكا شحين تطلع
من لم يكن من قبل فيه يطمع
أو كان لى ذنب فعفوك اوسع

والبحتري يحتل منزلة عالية فى العصر العباسى خاصة عند الخلفاء وهذه المنزلة جعلت له هدفا للحسد من قبل المنافسين له . فقد كانوا يدسون له ويشون به عند من يتصل بهم وكثيرا ما يحدث هذا القطيعة بين الشاعر وبين من يقربه ، فيلجأ الى الشعر لأزالتهما وايضاح الأمر على حقيقته .

وانا كان البحتري اتخذ المدح فى اكثر الاحيان للتكسب فقد اتخذ بعض معاتباته لهذا السبب ايضا لينبه ممدوحيه الى تأخرهم فى العطاء او تقصيرهم فيه وقد اخرج هذا العتاب - مخزن السياسة التى قرن فيها الرقة واللطف الى المؤاخذة . والنعومة وخفة الروح الى التائب والتهديد . ولذا كان عتابه واهذاره للوزير الفتح لا يقل روعة وكثرة عما كان للنايعة فى النعمان ابن المنذر . يقول البحتري يعاتب الفتح ويستعطفه :

اكذب ظنى بأن قد سخطت
ولولم تكن ساخطا لم اكن
ولو كنت اعرف ذنبا لمسا
سأصبر حتى ألقى رضا
وما كنت اعهد ظنى كذوبا
اذم الزمان واشكو الخطوب
كان خا لجنى الشك فى ان اتوبا
لنا ما بعيدا واما قريبا

أراتب رأيك حتى يصح وانظر عقلك حتى يثوبيا
يقول عبد الله بن المعتز : (ولتذراته في قصائده الى الفتح بن خاقان ليس للعرب بعد
اعتذارات النابغة الى النعمان مثلها) .

٧ - الحكمة

عندما سئل الجثنبي عنه وعن أبي تمام وعن شاعرنا البحترى قال : (أنا وأبو تمام حكيمان
والشاعر البحترى) . والنقاد والادباء بدورهم يوافقون أبا الدايب في قوله هذا .
فالبحترى لم يشتهر بالحكمة كما اشتهر بأغراض الشعر الأخرى . ومع هذا فشهره لم يخل من
الحكمة يقتبسها من مشاهداته في الحياة ، وما يمر به من احداث او من معاني ماسمعه أو رواه
او حفظه ، فهو لم يأت في حكمة بأبداع ولم يكلف نفسه معالجة الفلسفة . والغوص على المعاني
بل اقتصر على المعاني القريبة الشائعة أكثر حكمة التي قالها قد سبقه اليها الأقدمون .
ومن حكمه قوله من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد حيث افتتحها بالنسيب وثنى
بالحكمة . -

بسجلك من شهد الخطوب وصايبها
وغول الأنعاس بلة من لعابها
وعمرانها مستأنف من خرابها
فكيف ارتضائها اوان نذا بها

اذا راح في فرط اعجاب به
ولافس نظافة اثوابه

للناس ما لم يأت في اياته

ان العلا حسن في مثلها الحسد

وبعد فهذه جولة سريعة في بعض الأغراض التي طرفها البحترى ، واننى معترف بأننى
اشرت اليها اشارات خاطفة وما ذلك الا لأن الوصف هو الغرض المقصود من هذا البحث
ولطوله فلا شك انه يحتاج الى وقفة طويلة . ارجو من الله العلى القدير ان يعينى لألقى
بعض الأضواء على هذا الجانب من شعر هذا الشاعر الذى اشتهر بهذا الغرض والذى
اصبح فى بعض جوانبه استاذنا لمن جاء بعده من شعراء الوصف .

مضى تسترد فضلا من العمر تغترف
تشذ بنا الدنيا بأحقر سعيها
يسر بعمران الديار مضللل
ولم ارتض الدنيا اوان مجيئها

ومن حكمه قوله في فضل الفتى

ابا جعفر ليس فضل الفتى
ولا في فراهة برد ونسه

ومن حكمه :

واعلم بأن الغيث ليس بنافع

ويقول :

واعذر حسودك فيما قد خصصت به

الباب الثاني

الوصف في شعر البحري

الفصل الأول:

- ١- تطور الوصف في الشعر العربي الى عصر الشاعر.
- ٢- وصف ايوان كسرى بالمدائن.

XXXXXXXXXXXX

الباب الثاني :
الوصفي شعر البحري
الفصل الأول

تمهيد : الوصف وتطوره في الشعر العربي الى عصر الشعراء

الوصف : تصوير خواص الأشياء الحسية والمعنوية . وقد فسر العرب الوصف بأنه الكشف والظهار ، فاذا قالوا وصف الثوب الجسم فقد أرادوا أنه تم عليه ، ولم يستتره فهو في عرفهم ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات وقد نظر النقاد الى ما قيل في الطبيعة فقرأوا أن الشعر يكشف عنها ويترسم حالها ويصور هيئتها فسموا هذا بشعر الطبيعة حيناً ، وبشعر الوصف حيناً آخر . والطبيعة ميدان خيال الشاعر ومثار تأملاته ومهوى تصوراته ، فمنذ قيام العبقرية في الدنيا سعى الفنان الى الطبيعة في أعجاب وحب فرأى جمالها وانتشى بحاسنها ، واتخذها مثلاً يحتذيه ، ويصوره بالألوان والصور ، ورسم هذه الطبيعة بخياله وفنه ، فلقد وصف الشعراء كل ما وقعت عليه أعينهم من شتى ألوان البيئة التي عاشوا فيها ، ومظاهر الحياة التي ألفوها في بيئتهم ، فراقق الوصف الانسان منذ اطلالته على الدنيا . ولكن الوصف في الشعر يختلف باختلاف العصور التي عاش فيها الشعراء .

ففي العصر الجاهلي لم يكن أمام أنظار الشعراء الا البيئة المحدودة الضيقة فوصفوها بما دلتها المحدودة ، ووصفوا الصحراء الواسعة المترامية الأطراف والحيوانات كالناقة والفرس ، والحمار الوحش والذئب ومظاهر الطبيعة من برق ورياح ومطر . كما وصفوا الاطلال والليل والنجوم وغير ذلك .

ولما كان من دعائم الوصف الاستقرار والتأمل ، فلقد كثرت الاضطرابات في عصر بني أمية ووجدت الأحزاب مما جعل الشعر ينزع نحو المنزع السياسي فضعفت الحالات الوجدانية في وصفهم لانصرافه الى النهج اللتزامي القائم على عقيدة أو سياسة ، والقائم على الحجج والبراهين لاعلى التصوير الخالص ، وأثر كبير في خمود الشعر الوصفي في العصر هو شيوع النقائض بين شعراء الأحزاب ، فبدلاً من أن ينعكس على شعر الامويين واقسع حضارتهم ، انعكس ماضي تاريخهم بما فيه من ألوان جاهلية ، فمع أن العصر الاموي عصر الفتح والغنى والامتزاج بين القبائل والشعوب والأديان ، فان الامويين لم يتمسكوا الحضارة ويكتسبوا فضائلها بل اقتبسوها وتمتعوا بتنعيمها الخارجي دون أن تؤثر تأثيراً جذرياً عميقاً في تطوير طبائع نفوسهم ، حيث كانوا أقرب الى الجاهليين في أوصافهم ولكن مظاهر التجديد التي نحتت حجارتها في عصر بني أمية ارتفع بناؤها في العصر العباسي ، حيث انصرف الشعراء عن القديم الى أحضان الحضارة الفارسية الجديدة فأجاد الشعراء العباسيون في فن الوصف اجادة بالغة ، لأن منابعه الحسسية والمعنوية لم تكن محدودة كما كانت من قبل ، فقد تجلت في العصر العباسي مظاهر الطبيعة وآثار الحضارة والعمران ، والحياة الجديدة ، فمن قصور شما الى رياض فنا ومن ألحان المغنيات الى سجع البلايل والحمام ، ومن قياب تفضي اليه النجوم بالأسرار الى نوافير نارها في السماء ومن موكب الأزهار في بواكير الربيع الى موكب الخلفاء في المواسم والأعياد . وهذه المواسم والأعياد كانت من قبل هذا

العصر تعريذون احتفاءً بها واستعداد لها ، ولكنها أصبحت موضع الاحتفال والاجلال في هذا العصر ، وأصبح الخلفاء يعبدون لها العدة ، ويحتفلون بها احتفالات رسمية ، فينظمون المواكب والمسيرات التي تطوف في العواصم والأمصار ، فتعلم الزينات وترشق الطبول ، وتضهل الخيول . أما دور الشعراء في هذه المناسبات فهو دور المصورين في عصرنا الحاضر ، يسجلون ويصورون هذه المظاهر ، ولعل أقرب مثال على هذا وصف شاعرنا البحري لموكب المتوكل حين خرج الى المسجد للصلاة في أحد أعياد الفطر كما سوف يأتي .

وإذا كان هذا العصر يختلف عن العصرين السالفين لما بلغته الدولة العباسية من تقدم وحضارة ، فلقد كان لشعرائه الأسبقية في وصف ما لم يصفه من سبقهم من الشعراء ، حيث انفرد شعراء هذا العصر بالبكاء على الممالك الزائلة ، ووصف المعارك الحربية البحرية . كما سنرى عند شاعرنا .

وقد درج الأدباء والنقاد على تقسيم الوصف الى أقسام منها : الحسى والخيالى . فالحسى : هو الذى يتناول المحسوسات فيصورها بصور رائعة فالشاعر يأخذ المرثيات التى أمامه في رسمها كما يراها ويشاهدها ، فهم الشاعر اكتشاف التشابه التى تشخص بين مشهدين مختلفين ، وهذا النوع من الوصف هو المرحلة الأولى من مراحل الوصف ، وهو محاولة التجسيد الظاهرة كما تبدو للحواس . وهذا مثل وصف المدن والقصور والحيوانات وغيرها ، وقد أجاد العرب في هذا النوع من الوصف .

وأما الوصف الخيالى فهو النظرالى ما وراء المحسوسات والشاعر الذى يتصف بسمعة الخيال لا يقف عندما يراه بل يتعداه الى ايجاد أشياء يفتحها خياله أمامه بحيث يجعل المرثيات أساسا لغير المرثيات ، ويولد من المحسوسات صورا مجردة يرسمها للناس تأملات وذكريات . وهذا النوع من الوصف لم يهتم به الشعراء القدماء ، ولم يتركوا لنا من آثارهم فيه الا لغز اليسير . وسنرى هذا النوع فى وصف البحري لايوان كسرى .

ومن هذا العصر الموجز نرى كيف كان الوصف فى العصر الجاهلى والأموى والعباسى ، فمن بيت الشعر فى الجاهلى الى القصور الشامخة فى العباسى ، ومن الناقصة الى السفينة التى تمخر عباب البحر ، ومن الصحراء المجدبة الى الرياض الغناء والأزهار بورودها ورياحيتها وأشكالها المتعددة ، الى غير ذلك مما طرقة العباسيون ولم يطرقة من قبلهم . وان كنت لم أتعرض فى هذه العجالة للوصف فى العصر الاسلامى فما ذلك الا لأن الشعب فى هذا العصر له خصائصه التى تختلف عن غيره من العصور . وشاعرنا البحري طرقت فى أوصافه نوعى الوصف الحسى وخيالى وان كان الى الحسى أميل ، فلقب عرف بأوصفه البارعة ، واقتنانه فى هذا الغرض ، لذا اعتبر زعيم شعراء الوصف فى العصر العباسى وان نازعه فى ذلك ابن الرومى على خلاف فى المنزع كما يقال . كما اعتبر استاذنا لمن أتى بعده من الشعراء فى هذا الفن فقد

سحرته الطبيعة بجمالها والحضارة الجديدة بألوانها وأشكالها ، فوصف الحمائم الغناء والمرج الخضراء والسحب الماطرة والأزهار الناظرة ، والريبع الباسم وما أبدعته يد الانسان من قصور ودور وبرك ، فأبدع في وصفه ، ولم يقف عند المظاهر الحضرية بل صور البادية بذئابها وآسادها ، كما رسم وصفا لكثير من الحيوانات ، وأتى بما لم يسبق اليه فبكى الممالك الزائلة الدارسة ، ولا فرابسة أن يجيد شاعرنا في هذا الغرض مادام الوصف أوسع الفنون الأدبية ، بسلس مادام كثير من الأفراس يدخل تحت هذا الباب كما قال ابن رشيق : " ان الشعر الأقله راجع إلى باب الوصف " .

وبعد فلنراقب شاعرنا في شعره الوصفى ، لنرى أنواعه ، والمدى الذى بلغه في هذا الغرض . ولنبدأ في وصفه لايوان كبرى .

وصف ايوان كبرى بالمدائن

قال البحسرى " (١)

- ١- صنت نفسي عما يدن من نفسي
٢- وتماسكت حين زعزعتي الدهر
٣- بلغ من صباية العيش عندي
٤- ويعيد ما بين وارد رفته
٥- وكان الزمان أصبح محمو
٦- واشترائي العراق خطة فسين
٧- لاترزني مزاولا لا ختباري
٨- وقد يما عهد ثنى ذا هنتات
٩- ولقد رايتني بنو ابن عمي
١٠- واذا ماجيت كنت جسديرا
١١- حضرت رحلى الهموم فوجه
١٢- أتسل عن الحظوظ وآسي
١٣- أذكرتهم الخطوب التوالسي
١٤- وهم خافضون في ظل عال
١٥- مغلقت بابيه على جبل القب
- (٢) وترفعت عن جدا كل جيس
من التماسا لتعسى ونكسي
طقفتها الأيام تطقيف بخس
علل شره ووارد خمس
لا هواه مع الأخص الأخص
بعد بيعة الشام بيعة وكس
عند هذه البلوى فتتكر مسي
آبيات على الدنيا شمس
بعد لين من جانبه وأنس
أن أرى فير صبح حيث أمسي
تألى أبيض المدائن عنسي
لمحل من آل ساسان درس
ولقد تذكر الخطوب وتنسي
مشرف يحمر العيون ويخس
بق الى دارتي خلاط ومكس (٨)

" ١ " الديوان ١١٥٢ / ٢

" ٢ " الجيس : الجبان واللئيم والفاسق .

" ٣ " البلغ : جمع بلغة وهو ما يتبلغ به من العيش .

" ٤ " وارد رفته : الوارد : الذي يرد الماء متى شاء . والرفة من العيش : الطيب

اللين . العلل : ورود الماء ثانية . الخمس من أظماة الابل ، وهي أن ترعى ثلاثة

أيام وترد الماء في الرابع لتشرب في الخامس .

" ٥ " لاترزني : رازه ، جريه . مزاولا : محاولا .

" ٦ " الهنتات : جمع هناة أي داهية والمراد صعوبة ذات شماس ومراس آبيات متنعات

شمس : عنيدة لاتذل .

" ٧ " ابن عمي : يقصد به عبدون بن مخلد (الراهب) وقيل : الخليفة المتوكل .

" ٨ " القبق : جبل يسمى الآن جبال القوقاز . خلاط ومكس : مد ينتان .

- ١٦- حلال لم تكن كأطلال سعدى
 ١٧- ومساع لولا المتحابة مئني
 ١٨- نقل الدهر عهد هن عن الجد
 ١٩- فكأن الجوماز من عدم الأنـ
 ٢٠- لوتراه علمت أي الليالي
 ٢١- وهو ينيك عن عجائب قوم
 ٢٢- فاذا مارأيت صورة أنظما
 ٢٣- والضايا مائل وأنوشـر
 ٢٤- في اخضرار من اللباس على أصـ
 ٢٥- وعراك الرجال بين يديه
 ٢٦- من مشيح يهوى بعامل رمح
 ٢٧- تصيف العين أنهم جند أحيا
 ٢٨- يغتلى رتيابي حـسـتى
 ٢٩- قد سقاني ولم يصـر أبو الغو
 ٣٠- من مدام تقولها وهي نجم
 ٣١- وتراها اذا أجدت سرورا
 ٣٢- أفرقت في الزجاج من كل قلب
 ٣٣- وتوهمت أن كسرى أبرويـ
 ٣٤- حلم مطبق على الشك عيني
- في قفار من السابس ملس
 لم تطقها مسعاة عنس وعيس
 ة حتى فدون أنضاء لبس
 من واخلاقه بنية رمس (١)
 جعلت فيه مأتما بعد عرس
 لا يشاب البيان فيهم بلبس (٢)
 كية ارتعت بين روم وفرس
 وان يزجى الصفوف تحت الدرفس (٣)
 فخر يختال في صبيغة ورس
 في خفوت منهم واقماص جرس (٤)
 ومليح من السنان بـسـرس (٥)
 لهم بينهم اشارة خرس
 تتقراهم يداى يلمسس (٦)
 ث على العسكرين شرية خلس (٧)
 أضوا الليل أو مجاجة شمس (٨)
 وارتياحا للشارب المتحسى (٩)
 فهي محبوبة الى كل نفس
 زمعاطى والبلهيد أنسى (١٠)
 أم أمان فسيرن ظنى وحدسى (١١)

- "١" الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره وكان عظيما . اخلاقه : بلاه .
 "٢" لايشاب : لا يخلط . اللبس : الاختلاط والاشكال وعدم الوضوح .
 "٣" مائل : قائمات . يزجى : يسوق . الدرفس : راية الفرس .
 "٤" الخفوت : السكوت . الجرس : الصوت أو خفيه .
 "٥" المشيح : القبل بحذر وجد . عامل للمرح : صدره . الطليح : المحاذر خوفا .
 السنان : نصل الرمح .
 "٦" يغتلى : يتعاطم . تتقراهم : تتبعهم .
 "٧" لم يضرده : لم يقلل . أبو الغوث : ابن البحترى واسمه " يحيى " . خلس : اختلاس .
 "٨" مجاجة الشمس : شعاعها .
 "٩" أجدت : أحدثت وجددت . المتحسى : المتجرع جرعة بعد جرعة .
 "١٠" كسرى أبرويـ : حفيد كسرى نوشروان . معاطى : يعاطيه الشراب بمعنى يشاربه .
 البلهيد : من كبار المغنين عند الفرس .
 "١١" الحدس : التوهم .

- ٣٥ - وكان الايوان من عجب الصند
٣٦ - يتظنى من الكآبة أن ييبس
٣٧ - مزعجا بالفراق من أنس الف
٣٨ - عكست حظه الليالي ويات ال
٣٩ - فهو يبدى تجلدا وعليه
٤٠ - لم يعبه أن يمز من بسط الدير
٤١ - مشمخر تعلوه شسرفات
٤٢ - لابسات من البياض فما تبس
٤٣ - ليس يدري أصنع انس لجن
٤٤ - فيرأني أراه يشهد أن لم
٤٥ - فكأنني أرى المراتب والقوس
٤٦ - وكان القود ضاحين حسري
٤٧ - وكان القيان وسط المقاصب
٤٨ - وكان اللقاء أول من أم
٤٩ - وكان الذي يريد اتباعا
٥٠ - عمرت للسور دهرها فصارت
٥١ - فلها أن أعينهم سا بد موع
٥٢ - ذاك عندى وليست الدار دارى
٥٣ - فير نعمى لأهلها عند أهلى
٥٤ - أيدوا ملكنا وشدوا قسواه
٥٥ - وأغانوا على كئائب أريبا
٥٦ - وأراني من بعد أكلف بالأش
- (١) حة جوب فى جنب أرعلن جلس
عد ولعيني مصبح أو ممسنى
عز أو مرهقا بتطبيق عرس
مشتري فيه وهو كوكب نحس
(٢) كلكل من كلاكل الدهر مرسى
باج واستل من ستور القدس
رفعت فى رؤوس رضوى وقدم
صر منها الا فلائل برس
سكنوه أم صنع جين لا نس
يك بانیه فى الملوك بنكس
م اذا ما بلغت آخر حى
من وقوف خلف الزحام وخنس
ير يرجعن بين حى ولعس
من ووشك الفراق أول أمس
طامع فى لحوقهم صبح خمس
للتعزى رباعهم والتأسى
موقفات على الصباية حبس
ياقتراب منها ولا الجنس جنس
فرسوا من زكائها خير فرس
بكماة تحت السنور حمس
ط بطعن على النحور ودعس
حراف طرا من كل سفح وإس
(١٠)

"١" الجوب : الخرق . الارعن : الجبل . والرعن : وهو أنف يتقدم الجبل . المجلس : الجبل
العالى .

"٢" الكلكل : الصدر . مرسى : ثابت .

"٣" مشمخر : طويل عال . رضوى : جبل بالمدينة المنورة . قدم : جبل بنجد .

"٤" فلائل : جمغلالة : وهى الشعر المجتمع . البرس القطن .

"٥" النكس : المقصر عن فاية النجدة والكرم ، أو الرجل الضعيف .

"٦" ضاحين : **أحسن فى المعنى** : خنس : متأخرين .

"٧" يرجعن : يرددن الصوت بالفناء . حو : جمع حوا . وهى السمرة الشفه . لعس : جمع

لعسا . وهى الجارية التى بها لعس وهو سواد مستحسن فى الشفة .

"٨" السنور : كل سلاح من حديد . حمس : شجعان . "٩" أرياطة : القائد الحبشى الذى فزا اليمن .
الدعس : الدوسر والطعن . "١٠" السنخ : الأهل والمقبت . والاس : أصل كل شى . . .

ايوان كسرى :

ذكر ياقوت الحموي ايوان كسرى في مادة "الأبيض" وقال عنه انه : " قصر الأكاصرة بالمدائن ، كان من عجائب الدنيا ، ولم يزل قائما الى أيام المكتفى في حدود سنة " ٢٩٠ هـ " فانه تقص وبنى بشرفاته أساس التاج الذي بدار الخلافة " . كما ذكره في مادة "الايوان وقال : " ايوان كسرى الذي بالمدائن ، مدائن كسرى ، زعموا أنه تعاون على بنائه عدة ملوك " . كما ذكر ياقوت أنه رآه وقد بقى منه طاق الايوان حسب . وهو مبنى بأجر طول كل آجرة قرابة ذراع في عرس أقل من شبر . ويعرف في هذا الوقت باسم "طاق كسرى " كما تسمى الناحية الموجود بها " ناحية سلمان باك " باسم سلمان الفارسي الصحابي المشهور . وهي على مسافة ثلاثين كيلو متر من مدينة بغداد جنوبا . وكان ههنا الايوان مضرب الأمثال عند العرب .

سمع شاعرنا البحتري بهذا الايوان وماله من شهرة في ذلك الوقت فذهب اليه بصحبة ابنه أبي الفسوث ، وطاف بأركانه ، واستلم أحجاره ، ووصف قصور الفرس والدارسة وتاريخهم وعظمتهم . وقد اختلف في تاريخ نظم هذه القصيدة ، فذهب بعض المحققين الى أن البحتري نظمها بعد مقتل المتوكل مباشرة ، ومن المعروف أن المتوكل قتل عام ٢٤٧ هـ . ويرى محقق الديوان حسن كامل الصيرفي أن هذه القصيدة نظمت عام ٢٧٠ هـ ويطلق على ذلك بأن البحتري لم يتوجه الى ايوان كسرى عقب مقتل المتوكل بل توجه الى الحجاز للحج ، وعاد من حجه ليمدح الخليفة المنتصر .

مناسبة القصيدة وسبب نظمها :

لم يذكر الرواة سببا واضحا لنظم هذه القصيدة ولكن الشاعر ضمن قصيدته عليتين لذلك :

الأولى : في أول القصيدة وهي هربه وفراره من الهموم والاحزان ، لاستبداله العراق بالشام ، ولنبو ابن عمه وجفاه اياه مما جعله يلجأ الى بقرايا الايوان يتناسى الهموم ، ونلاحظ هذه العلة في الأبيات الأربعة الأولى .

والثانية : يذكرها في نهاية القصيدة حيث بكى الايوان وليست الدار داره بولا الجنس جنسه ، وما ذلك الا لأن لأهله نعمى عند أهله حين أيدوا أهل بلاده عندما أنهار الأحباش على اليمن حيث انتصر كسرى لها فهو يرثى دولة الفرس ، ومجدها الزائل ، وهذا في أبياته الستة الأخيرة

وبعض الرواة والنقاد يرى أن السبب الحقيقي لتشاؤم البحترى وسفره إنما يكمن في مقتل الخليفة المتوكل ، ووزيره الفتح بن خاقان ، وهذا بعيد لأننا لانجد أى تلميح الى ذلك في القصيدة .

تقسيم أبيات القصيدة :

هذه القصيدة تتكون من ستة وخمسين بيتا . عشرة في ذكر حال الشاعر وشكواه . وستة في السبب التاريخي لوثوفه على هذا الايوان . وستة في ذكر عظمة الفرس . وستة في ذكر أحوال خاصة . والباقي في وصف الايوان .

عرض القصيدة

مقدمتها : قصد الشاعر ايوان كسرى يرافقه ابنه أبو الفوث ، فوصفه متحسرا على أيام الفرس ، وكأنه يأسى لما صارت اليه الأمور ، حين أمسك الأتراك بزمام الحكم وأبعدوا الخلفاء وتكلموا بهم . وقد قدم لوصفه هذا الايوان بقدمه بدأهـا بالتبرم والشكوى وتصوير حاله أمام حوادث الزمن وقد راحت تضربه بعنف لترزعزعه ولكنه تماسك وتجلد على كثير من الألم والمرارة ، ودم الدهر الذي انقلبت عنده المقاييس فارتفع فيه اللئيم ، وانخفض الكريم . وصور حالة الضيم والفقر التي انتابتها وماحركته الأيام فيه من صيبابة ، ومالحقه من فبين حين باع الشام واشترى العراق . وكيف رابه نبوا بن عمه ، وجفوته اياه بعد أن كان لين الجانب . فيفزع شاعرنا الى طول الايوان ينسى في أكتافها حزنه وشبه ويستودعها أساه وشجاءه ان يقول :

صنت نفسى عما يدنع نفسى	وترفعت عن جدا كل جيس
وتماسكت حين زعزعتنى الدهـ	ر التماسا لته لتعسى ونكى
بلغ من صباة العيش عنسدى	طفقتها الأيام تطفيف بخس
وبعيد ما بين وارد رفيسه	علل شربه ووارد خمس
واشترائى العراق خطة فبين	بعد بيعى الشام بيعة وكس
ولقد رابنى نبوا بن عمسى	بعد لين من جانبيه وأنس

وصف الايوان

وبعد هذه المقدمة ينتقل الشاعر الى وصف الايوان فيرى أن الهموم لما حضرت رحله توجه الى أبيس المدائن متطيشا ظهر ناقته القويّة ، ليتسلى وينسى ما حمل به ، ففى عرس مصيبتته على مصائب كل ساسان ما يخفف عنه وطأة الحزن ، فهو يعرف كيف آلت حالهم بعد مجد وعنفوان • ويقف أمام هذا المكان الدارس الذى يحزن من يراه حين يتذكر بناته وساكنيه وينظر الى ارتفاعه فيراه لارتفاعه يضعف العيون اذا نظرت اليه تتبين ارتفاعه وعلوه ، وهو لاتساعه وكثرة ما فيه من جوار وخدم وحاشية كأنه مقل على جبال وبلاد اشتهرت بتعداد أممها وأجناسها :

حضرت رحلى الهموم فوجهـ	ست الى أبيس المدائن عنسى
أتسلى عن الحظوظ وآسى	لمحمل من آل ساسان درس
أذكر تنبيهم الخطوب التوالى	ولقد تذكر الخطوب وتنسى
وهم خافضون فى ظل عال	مشرف يحسر العيون ويخسى
مفلق بابيه على جبل القـ	ق الى دارتى خسلط ومكس

ثم يعرّس الشاعر بسكان القفار من الأعراب الذين يسكنون البساتين الخالية المقفرة ، ويذكر أن بناء هذا القصر اتصفوا بالكرم وأنه رفسم نبعته العربية مفتون ومغرم بحضارة الفرس وهو مع هذا لا يريد إثارة الأحقاد حيفمما يلمح الى الفوارق القائمة بين العرب والفرس ، ولكنه يظهر أثر الايوان فى نفسه :

حلل لم تكن كأطلال سعدى	فى قفار من البساتين ملس
ومساع لولا المحاباة منى	لم تطقها مسعاة عنس وعبس

ويتابع شاعرنا وصف القصر وما فيه وما حوله ، فيذكر "الجرماز" وهو بناء كان عند أبيس المدائن ثم تهدم وزال أثره ، فيرسمه وكأنه بات من عدم الأنس ومن البلى بنية رسم ، وأن الناظر اليه يراه خالياً من الناس ، متصدع البنيان وأن الليالى لصروفها وأحداتها قد صيرته مأتما قاتما بعد أن كان سكن الملوك ، وبعد أن كان يحيا فرحة أعراس دائمة • ويرى الباحثرى أن ما بقى من آثار الجرماز حقيق بأن يدلنا على عجائب القوم ، وما كانوا عليه من قوة ومجد :

فكان الجرماز من عدم الأند
لوتراه علمت أن الليالى
وهو ينبيك عن عجائب قوم
من واخلاقه بنية رمس
جمملت فيه مأتما بعد عرس
لايشاب البيان فيهم بلبس

معركة أنطاكية :

ينتقل الشاعر الى وصف مائى الايوان من النقوش والرسومات ، فاذا بنا أمام صورة أنطاكية ، فيذكر البحترى أنه شاهد فى الايوان صورة كسرى وهو يحاصر أنطاكية وأن الانسان لو نظر الى هذه الصورة لارتاع من حمة الفرس على الروم ، والذي يشاهد هذه الصورة يحسب أنه فى ميدان قتال ، وقل أن يخطر بباله أنه أمام صورة على حائطه . ويصور الشاعر المنايا بأعلام ترفرف فوق هذا الجمع الحاشد الهائل بينما انوشروان يسوق الصفوف تحت لوائه الكبير ، وقد لبس ثوبا أخضر واعتلى صهوة جواده الأصفر ، وهو يدفع بجنده بين تلك الصفوف المتراسة . ولم يفت الشاعر أن يصف ما يرتدى الجنود من أشكال وأنواع الثياب ، ومن تصوير حالتهم وماهم عليه من صمت وأصوات خافتة ، منهم من يهاجم بالرمح ومنهم من يقى صدره بالترس ، فهو يراهم جد أحياء ، وان لم يسمع لهم صوت وعراك ، لأن فى وضعهم ما يدل على اكتفائهم بالاشارة كالخرس لا ينطقون ، ولكنه لا يلبث أن يعود الى نفسه فيتذكر أنه أمام صورة مرسومة على حائطه ، ثم يقلب على حسه فيرتاب فيما يشاهده ، فيمد يده ليتحسس هذه الصورة للتأكد من حقيقتها أم هى ضرب من الخيال :

فاذا مارأيت صورة أنطسا	كينة ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل وانوشرو	وان يزجى الصفوف تحت الدرس
فى اخضرار من اللباس على أص	سفر يختال فى صبيغسة ورس
وعراك الرجال بين يد يسه	فى خفوت منهم وافماى جرس
من مشيح يهوى بعامل رمس	وملج من السفنان بترس
تصف العين أنهم جد أحياء	لهم بينهم اششارة خرس
يفتلى فيهم ارتياى حستى	تقراهم يداى بلمس

يرى بعض النقاد أن هذه الأبيات فى وصف صورة معركة أنطاكية من أدق

ما قيل فى الوصف لأنها تؤلف قطعة نموذجية فى الوصف .

شربة خمرة :

وينتقل الشاعر من وصف تلك المعركة الى الحديث عن تلك الكأس التي ناولها اياه ابنه أبو الفوث فأصطح بها في الايوان ، وهو ينظر الى العسكرين ، وقد شبه الخمر بالنجم أو مجاجة الشمس . وعندما دارت الخمرة برأس البحترى توهم أن كسرى نديمه ، وأبلهبيذ أنيسه ، لكنه ما لبث أن وساب الى رشده وأخذ يفكر هل هو في حلم أم هي آمان فيرن حدسه وظنه :

قد سقاني ولم يصر أبو الفو	ث على العسكرين شربة خلص
من مدام تقولها وهي نجم	أضوا الليل أو مجاجة شمس
وتوهمت أن كسرى أبرويـ	ز معاطي وأبلهبيذ أنسى
حلم مطبق على الشك عيني	أم آمان فيرن ظننى وحدسى

عود الى وصف الايوان :

ويعود البحترى للحديث عن الايوان بعد أن وصف لنا تلك المعركة وبعد أن تناول تلك الكأس المضيئة كالنجم أو مجاجة الشمس ، فيصور الايوان وثباته على الدهر حتى لكأنما قُدَّ أو نُحِست في جميل عال عظيم :

وكان الآيوان من عجب الصنـ سعة جوب في جنب أرعن جلس

ونرى الشاعر يصور الايوان شخصا حيا تفزقه الكتابة وكأنما هو أليف قاب عنه أنس أليفه ، فالتاع لفارقتة وفيابه ، أو زوج محزون لفراق عروسه فانعكست أيامه ولياليه ، بل لقد انعكست ليالي هذا الايوان فخربت عنه كواكب السعد وأطلت عليه كواكب النحس القيم ، ولكنه ظل شامخا قائما بيدي التجلس وقد أناخ الدهر عليه بكللته فرأى الذل بعد العز حين استلت منه سستور الدقس ، وبسط الديباج فهو كالغانية الحسناء التي لم يزد لها العرى الا بهساء وجمالا :

يتظنى من الكتابة أن يبيـ	دو لعيني مصبح أو ممسى
مزعجا بالفراق من أنس السف	عز أو مرهقا بتطبيق عرس
عكست حظه الليالي وبات الـ	مشتري فيه وهو كوكب نحس
فهو بيدي تجلسا وعليه	كلل من كلا كل الدهر مرسى
لم يعبه أن يزر من بسط الديـ	باج واستل من سستور الدقس

ويتراءى القصر للشاعر فى ابان مجده السابق ، فيراه مرتفعا على البناء تعلوه
الشرفات كأنها رؤوس جبال المدينة والقدس يكسوها البياني وكأنها أفلاكل من
القطن مجتمعا بعضها الى بعض ، وينال هذا المنظر اعجاب البحترى لأنه
لا يدري أو من صنع الانس للجن أم من صنع الجنس للانس ؛

مشخر تطلوه شرفات رفعت فى رؤوس رضوى وقدس
لايسات من البياني فما تبصر منها الأفلاكل برس
ليس يدري أصنع انس لجن سكونه أم صنع جن لانس

ويواصل شاعرنا وصفه للايوان ، فينتقل به خياله الى عالم غير منظور
فاذا الرسوم الهامدة فى الثراب تنفس الثراب عنها فتتحرك وتتبعث ، وتضج حولها
الحياة ، وينقله خياله الى ماضى هذه الايوان التليد فمجالس اللهو تعقد
من جديد ، واذا بالوفود مزدحمة بالأبواب متلهفة للمثول أمام صاحب التاج
والجواري من كل صنف تغص بهن الغرف والقاصير ، وكأنما فارقته ساكنه أمس
أو أول أمس كان اللقاء والفراق ؛

فكأننى أرى المراتب والقوس م اذا ما بلغت آخر حسى
وكان الوفود ضاحين حسى من وقوف خلف الزحام وخنس
وكان القيان وسط المقاصير م يرجعن بين حسو ولعس
وكان اللقاء أول من أمس م ووشك الفراق أول أمس

ثم يفصح شاعرنا بعد هذا عما ألم بهذه الديار من سرور دائم وفرح مستمر
ولكن الدهر ما لبث أن انقلب ، فأصبحت منازلهم وديارهم كأن لم تكن ، ويرى أن من
واجبه أن يعينها بسفح الدموع عليها ؛

عمرت للسرور دهرا فصارت للتعزى رباعهم والتأسسسى
فلمها أن أعينها بدموع موقوفات على الصباة حبسسى

ختم القصيدة ؛

ويختم ابو عبادة قصيدته بذكر السبب الثانى الذى دفعه الى البكاء على ملكة
الفرس وتاريخهم ، وهو مع هذا ليس منهم ، فالدار ليست بداره ، والجنس ليس
بجنسه ، وانما اعترافا بالفضل لأصحابه الذين أيدوا ملكهم وأعانوهم على

الأحباش الذين فزوا اليمن حين انتصر كسرى لها ، وساعد على اخراج الأحباش منها ، ثم ما كان من عون فر قيام الدولة العباسية وتشديد ها ، وماراقهها من ازدهار الحضارة العربية ، وأخيرا فالبحتري من الرجال الذين يحيون الماجدين ويقدرونهم بصرف النظر عن جنسهم وأصلهم :

ذاك عندي وليست الدار داري يا مترباب منها ولا الجنس جنسي
غير نعمى لأهلها عند أهلى فرسوا من زكائها خير فرس
أيدوا ملكا وشدوا قواه بحماة تحت السمنور حمس
وأمانوا على كتائب أريسا ط بطعن على النحور ودعس
وأراني من يعد أكلف بالأشرف راف طرا من كل سنخ ولس

نظرة في القصيدة

رأينا كيف صور البحتري حاله أمام حوادث الدهر وكوارثه ، وما حل به من تدم وجفوة ولهذا خرج منتظيا ناقته موجها شطر المدائن للتعزى بها وللطواف في أرجاء ما بقى من آثار الفرس ، فوصف الايوان ، ثم وصف أحد الأبنية التي بان يضمها وهو "الجرماز" ، وعرفنا على أنه متهدم يبعث الوحشة لأنه يشبه القبرة ، ولكونه يعيش في مأتم حزين بعد فرح وسرور ، والبحتري عندما يصور الجرماز لا يكتفى بنقل الظاهرة التي أمام عينيه ، بل يحاول أن يستقرئ المعنى الذي يختبئ وراءها ، فالجرماز لم يعد كما كان ، بل تغيرت أحواله وأصبح رمزا أو معنى ، فراه متهدما فأدرك معناه وفشيه بالشعور الانساني فتراه له أن ثمة مأتما غير شاهد ، ينبج من بين تلك الأعمسدة ويصور لنا مشهدنا شاخصا على جدران الجرماز ذلك هو مشهد معركة أنطاكية الذي هو جزء من الجرماز ، كما أن الجرماز كذلك جزء من قصر المدائن ، وهنا نلاحظ الربط والتسلسل في هذا الوصف . وقد نقل لنا الشاعر مشهد المعركة فذكر المقاتلين وكيفية عراكهم ، ودور اتوشروان في المعركة ، وفي وصف هذه المعركة تظهر الواقعية عند البحتري بخلاف وصف الجرماز ، فقد كان وصفه له خاليا ، ولكنه أتى لنا بوصف حي يمزج بالحياة والحركة ، ونلاحظ قوله " يزجي ، يهوى ، وشيح ومليح " . وهذا وصف رائع بارع جعل الشاعر يضع بين الواقع والخيال حيث توهم نفسه أنه أمام معركة معتمة حامية اللوطيس لا ينقصها غير الجلبة والأصوات ، ولكن الواقع

يمسك يده الى الشاعر فيجذبه بقسوة عند ما يمسك الشاعر يده فيلمس ما أمامه فيجده
جماداً .

وأمر آخر نراه في وصف الشاعر للايوان حيث يجعله انساناً أزعجه الفراق
والمضنى ، ويرى بعض الكتاب أن لفظة (يتظنى) تدل على أن البحترى لم يكن يعرف
الحلولية التامة والاتحاد بين ذاته وذات الأشياء ، والا لتجاوز عن هذه اللفظة
وتجاوز عن التخمين والحدس ونفذ الى رؤية القصر انساناً مهتماً مخمداً ولا ،
ولكن الشاعر لا يكفى بجعل الايوان انساناً بل ينيط به من البطولة ما يجعله مثلاً أعلى
للسبر والتحمل :

فهو يبدى تجلداً وعليه كل كل من كلاك الدهصر موسى

ويترك البحترى المبالغة ويعود الى الواقع ، فيتحدث عن ارتفاع الايوان وعلوه ويحدد
الأمكنة كقدس ورضوى . ولكن الشاعر مادام أتى الى هذا المكان ليخفف من آلامه وأحزانه
فعليه أن يضيئ بعض الوقت عن عالم الحس في عالم الخيال ، وهاهو مرة أخرى يخلق في
عالم الخيال والتصوير عند ما يتذكر عز الايوان يوم كان صاحبه كسرى مل عين الدهر
فيرى في خياله مجالس اللهو والطرب ، ويلتفت الى السقااة والندما ، ويفتح أذنيه
لسماع ضجيج الوفود المتراحة ، ويتابع بناظره الجوارى يتراكن في القاصير
ويتمايلن على الأراجيح وهن يرددن الألحان العذبة ، ويهيم الشاعر في عالم الخيال
حتى لم يسيرو نفسه موجودة مزهوة بين هؤلاء ، ولكن ما تلبث دنيا الحس والواقع
أن تشده اليها ، فلا يرى أمامه الا ألقاضاً وخراباً ، أكل عليها الزمان وشرب
والم يبق منها الا الرسوم البالية الخرساء ، فلا يملك الا الدموع يذرفها .

ومن هذا العرض السريع نرى أن هذه القصيدة تشكل وحدة مترابطة العناصر متصلة
الأجزاء فلقد وفق البحترى في وصف لعجابه بالايوان وبعثه من جديد ورسم شعوره وهو
أمام أطلاله الدارسة . كما أدت الشاعر معاصريه بهذا الوصف الخيالي الرائع الذي
لم يعهدوه من قبل ، وهو البكاء على الممالك الزائلة لأن عواطف الشعراء كانت عواطف
فردية . فكان الشاعر يبكي وجدده ونعيمه وهو يندب الرسوم ويتوجع للاطلال فلم
يهتم العرب ببكاء الممالك والتفجع لما يحل بالشعوب على أنهم لم يغفلوا عن ذكر ما
طوى الدهر من حضارتهم كما تغنوا بما كان لأسلافهم من مدنية وان خلطوا ذلك ،
بالتحسر على مدارس من معالم اللهبس والتحنن لما عفا من مآعب الشمس سباب

كالأسود بن يهفر النهشلى ، ومتم بن نويرة ، ولكنها لا تشمل الوقفات الفنية التي تشد اليها الرحال كوقفه البحترى عند رسوم الايوان ، فأتى بمالم يأت به غيره من الشعراء ، مما جعل النقاد يشهدون ويشيدون بعبقريته التي قامت على قوة الخيال ، ودقة التصوير ، وبراعة الوصف في أكثر قصائده .

ان هذه القصيدة في جملتها ترشد الى خصائص شعر البحترى ، وتدل على مكانته من البلاغة ومنزلته بين شعراء عصره . ويكفيه ذخرا أن تكون هذه السينية من نتاجه الخالد حيث لم يكن للعرب سينية مثلها كما يقول ابن المعتز . وهي فريدة في شعرنا العربي حيث سبق فيها الشاعر الى فن جديد ، جعله استادا لمن جاء بعده من الشعراء .

ولو بحثنا وأعدنا النظر ثانية في هذه التحفة الرائعة لرأينا الشاعر يعهد مقدمته للقصيدة وتحدثه عن الايوان ويناته يمهد تمهيدا مباشرا لوصف ما في الايوان من صور ونقوش وتهاويل وذلك عندما يقول :

وهو ينبيك عن عجائب رسوم لا يشاب البيان منهم بلبس
وأما قوله :

لو تراه علمت أن الليالى جعلت فيه مأتما بعد عرس
فهذا غاية الغايات في يكاء المفانى - كما يقول الدكتور زكي مبارك - يتحكم فيها البلى وتبطن بها أيدي العفاة . ونرى الدقة والخيال في قوله :

نقل الدهر عهد من عن الجودة حتى فدون أنضاء لبس
فكأن الجرماز من عدم الأنس وإخلاقه بنية رمس
ولنتأمل كيف صارت الحلل أنضاء لبس ، والجرماز بنية رمس .

وأما قوله :

أذكر تنهيم الخطوب التوالى ولقد تذكر الخطوب وتنسى
فعلاوة على جودة هذا البيت نرى المجاز العقلي في الاسناد ، وما يشتمل عليه من البديع ونرى الحكمة البالغة (ولقد تذكر الخطوب وتنسى) فكم اجتمع من المحسنات التي تضمنها هذا البيت ؟

ولانفس ما يشتمل عليه قوله (واشترائى العراق ، بيعى الشام) من الاستعارة التصريحية الأصلية .

الفصل الثاني

- ١- وصف القصور العباسية .
- ٢- ،، الطبيعة .
- ٣- ،، المدن والأقاليم " العراق والشام " .
- ٤- ،، الحيوانات .
- ٥- ،، المعسارك والسيف .
- ٦- ،، الطيف والشيب .
- ٧- ،، المواكب وفيرها .

١- وصف القصور العباسية

وصف (الجعفرى) قصر المتوكل :

عاصر شاعرنا خليفتين أولعا بتشبيد القصور وعمرانها ، هما : الخليفة المتوكل وابنه المعتز ، فكان طبيعيا أن يتغنى الشاعر الخلافة بجمالها وفخامتها ، وأن يثنى على البانى ويهنئه على انجازاته . والجعفرى قصر بناه المتوكل قرب سامراء حيث استحدث مدينة " المتوكلية " وانتقل اليها . وأقطع حاشيته وقواده الأراضى ، فصارت أكبر من سامراء . كما شق اليها نهرا من دجلة . وقد بنى الجعفرى عام ٢٤٥ هـ ، وقتل فيه عام ٢٤٧ هـ . وكان قد افتن فى زخرفته ، وشيده فوق ربوة عالية تجسرى تحته دجلة ، وجلب اليه وسائل الحضارة ، كما أحاطت به حديقة فسيحة تلاعب الريح أشجارها .

يقول فى وصف هذا القصر من قصيدة مدح بها المتوكل : " ١ "

ليتم الا بالخليفة جعفر	قد تم حسن الجعفرى ولم يكن
فى خير مبدى للأنام ومحضر (٢)	ملك تبوأ خير دار اقامة
وترابها مسك يشاب بعنبر	فى رأس مشرفة حصاها لؤلؤ
ومضيئة والليل ليس بقمر	مخضرة والفيث ليس بساكب
ظلل الغمام الصيب المستغزر (٣)	ظهرت لمخترق الشمال وجاورت
أعلام رضوى أو شواحق خيبر	فرفعت بنيانا كأن مناره
بنيان كسرى فى الزمان وقيصر	أزرى على هم الملوك وفض من
ينظرن منه الى بياض المشترى	عال على لحظ العيون كأنما
شرفاته قطع السحاب المطر	ملأت جوانبه الفضاء وعانقت
من لجة فم وروض أخضر	وتسير دجلة تحته ففناؤه
أعطافه فى سائح متفجر	شجر تلاعبه الريح فتننى

" ١ " الديوان ٢ / ١٠٤٠

" ٢ " المبدى ، مكان البدو . المحضر : مكان الحضر . الأرض المشرفة : المرتفعة .

" ٣ " ظهرت لمخترق الشمال : بدت مرة بشمال دجلة . الظلل : جمع ظلة وهى السحابة .

الصيب : المسكوب المنصب . المستغزر : الغزير .

معنى الأبيات :

الباعث للشاعر على نظم هذه الأبيات في وصف هذا القصر هو مدح الخليفة وتسجيل هذا العمل والحدث العمراني . فما كاد الجعفرى يتم عمرانه حتى التفت إليه البحترى فرآه كإطحات السحاب في عصرنا الحاضر ، وهذا الارتفاع والحسن ثما له بوجود الخليفة فهو بناء شاهق الارتفاع ، تملأ جنباته الفضاء وتعانق شرفاته قطع السحاب ، يخيل للناظر إليه أن نوره المنبعث من سامق شرفاته يختسلط بانبعث نور كوكب المشتري ، وهو لعظمته وفخامته وعلوه تقف هم الطوك دونه فلا يستطيعون إيجاد مثيل له ، لاسيما وأن رنيان الفرس والروم لم يعد شيئا يذكر بالنسبة له .

أما حديقة هذا القصر فتشغل بال الشاعر وتستحوذ على تفكيره بمظاهر النعمة ومونق العيش ، فيرى حصا القصر بما فيها هذه الحديقة كأنه اللؤلؤ المنثور ، ويرى ترابها مسكا يمزج بعنبر ، وهي متأقفة يشع النور من جنباتها وتعمها الخضرة فلا تستقطر فيث السماء مادامت دجلة تسير من رحت هذا القصر الواسع الفناء .

نظرة في الأبيات :

هذا القصر المشمخر أثار إعجاب شاعرنا عندما نظر إليه ، لأنه رأى ما لم يألفه من قبل ، سواء من حيث الضخامة والارتفاع ، أو من حيث الخضرة والضوء مومن المعروف أن الاخصرار لا ينتشر الا اذا سقط الغيث ، والضوء لا يبدو الا اذا أسفر القمر . ان هذا الواقع واقع الصحراء ، ولقد عجب البحترى أشد العجب أن يرى خضرة دون مطر ، وضوء بلا قمر ، لأنه يشاهد واقعا جديدا أدهشه .

ويذهب بعض الكتاب الى أن البحترى في ذلك الوقت لم يزل بدويا ، أما أوصاف القصر الأخرى فلا تتضاءل د عشة ورفعة ومبالغة وقلوا حين جعل القصر يدرك المشتري ويرد لحظ العيون وجعل التراب مسكا ، والحصا لؤلؤا . وقد زين البحترى أسلوبه بالبيان والبديع والمعاني الرائعة التي بينت فخامة هذا القصر ، فالفضاء لم يعد فيه مكان لأن جوانب القصر ملأته ، كما أن الشرفات والسحاب تحولت الى أشخاص يعانق بعضهم بعضا ، أما أشجاره في تشبهها فكأنها الغادات الحسان . وترى الطبايق بين (مبدى ومحضر) والجناس بين (تم ويتم) ولا يخفى ما للتشبيه من أثر في جمال الأبيات فالبنيان المرتفع كالجبال والحصا كاللؤلؤ والتراب مسك .

وبعد وفاة المتوكل وقتله في هذا القصر ، نظر البحترى الى الجعفرى فوجد حاله لم تكن على ماهى عليه ، بل تغيرت فقال في وصفها : (١)

تغير حسن الجعفرى وأنسه	وقوى يادى الجعفرى وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة	فعدت سواء دوره ومقابره
إذا نحن زرناء أجد لنا الأسى	وقد كان قبل اليوم يبهج ناظره
ولم أنس وحتر القصران ربح سربه	وإذ زعرت أطلاؤه وجأذره
وإذ صبح فيه بالرحيل وهتكت	على عجل أستاره وستائره
ووحشته حتى كأن لم يقم به	أنيس ولم تحسن لعين مناظره
كأن لم تكن فيه الخلافة طلقة	بشاشتها والملك يشرق زاهره

الى آخر ما قال البحترى في وصف ما وصلت اليه حال هذا القصر عندما فارقه صاحبه وما مدت أحدث عن الجعفرى ووصفه فاننى أرى اكمالا لهذا الوصف أن أستعجل الحديث عن بركته للربط بينهما ولاستكمال الصورة ، وان كان وصفها داخل في وصف الطبيعة .

قال البحترى في وصف بركة المتوكل : (٢)

يا من رأى البركة الحسناء رويتها	والآنسات إذا لاحت مغانيها (٣)
بحسبها أنها في فضل رتبتهما	تعد واحدة والبحر ثانيهما
ما بال دجلة كالغبرى تنافسها	في الحسن طورا وأطورا تباهاها
كأن جن سليمان الذين ولوا	أبداعها فأدقوا في معانيها
فلو تمر بها بلقيس عن عرعري	قالت هي الصرح تمثيلا وتشبيها (٤)
تنصب فيها وفود الماء معجلة	كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة	من السبائك تجرى في مجاريها
إذا علتها النصب أبدت لها حبكا	مثل الجواشن مصقولا حواشيهما (٥)
فدرونق الشمس أحيانا يضحكها	وريق الغيث أحيانا يباكيها (٦)
إذا النجوم تراءت في جوانبها	ليلا حسبت سماء ركبت فيها
لا يبلغ السمك المحصور فايتها	لبعد ما بين قاصيها ودانيها

" ١ " الديوان ٢ / ١٠٤٦ - ١٠٤٧

" ٢ " الديوان ٤ / ٢٤١٦

" ٣ " المغاني : جمع مغنى وهو المنزل .

" ٤ " بلقيس : ملكة سبأ . عن عرس : عن فرة الصرح : بلاط يتخذ من قوارير أو القصر .

" ٥ " حيك الماء : الجعد المتكسر ، ويقصد به التكسر الذي يبيد وعلى الماء إذا مرتبه الريح .

الجواشن : جمع جوشن وهو الدرع .

" ٦ " الريق : أن يصيبك من المطر شيء يسير وريق الغيث : أوله وأفضله .

يعمن فيها بأوساط مجنحة كالطير تنق في جو خوافيهما
لهن صحن رحيب في أسافلها إذا انحططن وبهوف أعلىها
صور الى صورة الدلفين يؤنسها منه انزواً بعينيه يوازيها (١)
تغنى بساتينها القصى بريتها عن السحاب منحلاً عزاليها (٢)
محفوفة برياس لا تزال تسرى ريش الطواويس تحكيه ويحكيها

عن الأبيات

هذه هي بركة القصر الجعفرى الذى مر معنا ، وهي تقع على مسافة زهاء ستة كيلوات من الامتار شرق مدينة سامرا الحالية كما يقول الدكتور أحمد سوسة ، ويقول كذلك : " وكانت البركة الجعفرية المشهورة التى وصفها البحترى ضمن حديقة واسعة ، كما كان أمامها قصر فخم " .

لقد بدأ البحترى الحديث عن البركة مبدياً إعجابه البالغ بها ، وأن رؤيتها تسر العيون ولا سيما اذا برزت الآنسات حولها ، وأنها واحدة فى الدنيا يليها البحر فى العظمة فهو يحتل المكانة الثانية بعدها ، حتى أن دجلة لتغار منها لحسنها ، وتحسب أن تباهيها فتأكل الغيرة قلبها ، لجميل مرآها ، وأين هى منها فى ميدان التسابق وهي تنطق بالرائع المعجز حتى كأنها صنعت بأيدى سرده الجن فافتتوا فى تحسينها وأدقوا فى معانيها ، حتى أن بلقيس لو مرت بها عرضاً لظنتها الصرح الممرد من القوارير ، لملاسة سطحها ، وشفاء مائها وصل حركتها ،

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها
بحسبها أنها فى فضل رتبها
ما بال دجلة كالغبرى تنافسها
كأن جن سليمان الذين ولوا
فلو تم بها بلقيس عن عرس
والآنسات اذا احت مغانيها
تعد واحدة والبحر ثانيها
فى الحسن طورا وأطورا تباهيها
ابداعها فأدقوا فى معانيها
قالت هى الصرح تشيلاً وتشبيها

ويستمر شاعرنا فى وصفه ، فبرينا كيف تتدفق المياه عليها من جهات مختلفة متعددة كأنها الخيل فى حلبة السباق تتدافع اليها سرعاً . ثم تطلعن فتسيل فى المجارى سبائك فضة مذابة ، لالتبث أن يتماسك حبيها من مداعة النسيم ، فيشكل

" ١ " صور : جمع أصور وهو المائل . الدلفين : دابة بحرية يعتقدون أنها تنجى الفريق .
الانزوا : الاتحراف . يوازيها : يجاريها ويواجهها ويقارنها . وأراد صورة الدلفين المنقوشة على جدران البركة .
" ٢ " تغنى : تكفى . العزالي : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من القرية .

درعا متعاقد الزرد • ويواصل الشاعر بين البركة ومظاهر الطبيعة الأخرى فإذا مرت
الريح بها تجعد وجهها ، ويدا على سطحها طرائق قدد ، بينما ظلت حواشى البركة
مصقولة كالمرآة تماحكها الشمس إذا أشرقت ، وأوائل الغيث تبكى فتبكي معها
وأما نجوم الليل وقمر السماء فحسبها التأرجح والتراقص على رحيق وجهها تأرجحا وتراقصا
يجعل منها سماء تباهى أخرى •

كالخيل خارجة من جبل مجريها	تنصب فيها وفود الماء معجلة
من السبائك تجرى فى مجاريها	كأنما الفضة البيضاء سائلة
مثل الجواشن مصقولا حواشيهـا	إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا
وريق الغيث أحيانا يباكيها	فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها
ليلا حسبت سماء ركبت فيها	إذا النجوم تراءت فى جوانبها

وينتقل البحرى بعد ذلك الى وصف سمكها فيراه ينفوس فيها ويغيب ، فالبركة
جنة السمك المحصور فيها ، والذي لا يبلغ مداها لسحتها ، فإذا هبط أسفلها وجد
صحنا رحيبا ، وإذا ارتفع رأى بهوا شاسعا يرح فيه سرورا ، وكأنه فى عومه وفوصه
مجنح الطير الذى فضاؤه تلك الأبهاء المحلاة بالنقوش ، والمجطة بالأشكال ، لاسيما
صورة الدلفين الذى تأنس بمنظره ، ناهيك عن رياضها وأشجارها وأزهارها التى تحف
بها حتى أنها لتحكى فى تعدد ألوانها ومناظرها ريش الطاووس :

لا يبلغ السمك المحصور فايتها	ليعد ما بين قاصيها ودانيها
يعمن فيها بأوساط مجنحة	كالطير تنفس فى جو خوافيها
لهن صحن رحيب فى أسفلها	إذا انحططن وبهوى أعاليها
صور الى صورة الدلفين يؤنسها	منه انزوا بعينيه يوازها
تغنى باتينها القصوى بريتها	عن السحاب منحلا عزاليها
مخفوفة برياء لاتزال ترى	ريش الطواويس تحكيه ويحكها

نظرة فى الابيات سريعة :

هكذا أجاد البحرى فى تصوير اعجابه بالبركة ، وتصوير الماء المنهمر فيها
وفى رسم ما يبدو على سطحها من تجعدات ، بينما الحواشى مصقولة ، وصور الشاعر
النجوم اللامعة فى أرجائها ليلا • فنرى قدرته على اختيار الألفاظ الملونة •

والبديع فسير المتكلف ، كالطبايق بين قاصيها ودانيها . يضحكها ويياكيها . أسافلها وأعاليتها . كما نلاحظ قدرة البحترى على تصوير الحركة في قوله :

تنصب فيها وفود الماء معجلة

ولقد أجاد وشخص ببراعة حيث جعل دجلة انسانا تحرقه الضيرة ، يضاف الى هذا ما في هذه الابيات من تشبيهات فريدة يليغة تدل على خيال واسع ، كتشبيه وفود الماء بالخيل ، أو بالفضة السائلة البيضاء . وتشبيه ما يعلوجه ماء البركة من تكسر بالدروع . وكذلك تشبيه السمك في هذه البركة بالطيور المجنحة . وتشبيه الزهور المتعددة الألوان بريس الطواويس الى غير ذلك من أوجه بلافية .

واختم الحديث عن وصف البركة بقول بعض الكتاب : " البركة عروس قصائد البحترى في وصف الطبيعة . وان هذه القصيدة لفوط رقتها وفيها موسيقاها ، وهامرعدوبة الفاظها واشراق اسلوبها ، ونقاء قوافيها ، مع ما انتظم عقدها من صور بهيجة ، قد أصبحت سمة لمدرسة البحترى في الشعر عامة ، وفي الطبيعة خاصة " (١)

" ١ " رحلة الشعر من الأموية الى العباسية للدكتور / مصطفى الشكعة .

وقال البحترى يصف " الكامل " قصر المعتر من قصيدة يدح بهاء (١)

لما كملت روية وعزيمة	أعلمت رأيك في ابتناء الكامل
ذعر الحمام وقد ترنم فوقه	من منظر خطر المزلّة هائل
رفعت لمنخرف الرّيح سموكه	وزهت عجائب حسنه المتخايل (٢)
وكأن حيطان الزجاج بجوه	لجج يمجس على جنوب سواحل
وكأن تفويف الرخام اذا التقى	تأليفه بالمنظر المتقابل (٣)
حبه الغمام وحفن بين ضمير	ومسير وقارب ومشسساكسل (٤)
لبست من الذهب الصقيل سقوفه	نورا يضيء على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن في ذى رونق	ملتهب العالى أنيق السافل
فكأنما نشرت على بستانه	سيرا ^٥ وشى اليمنة المتواصل (٥)
أفتنه دجلة اذ تلاحق فيضها	عن فيس منسجم السحاب الهائل
وتفتست فيه الصبا فتعطف	أشجاره من حيل وحوامل (٦)
مشى العذارى الغيد رحن هشية	من بين حالية اليدىن وحامل (٧)

" ١ " الديوان ١٦٤٨ / ٣

" ٢ " منخرف الرياح : مهبها • السموك : جمع سمك وهو السقف أو من أعلى البيت الى أسفله •

" ٣ " التفويف : ما يبدو في الرخام من خطوط بيض تشببها بالثياب ، يقال يرد مقوف أى ذو خطوط بيض ، ويقصد هنا الزخرفة والتوشية •

" ٤ " المنمر / أن يكون في السحابة بقعة بيضاء ، وبقعة أخرى على أى لون كان ، المنسجم : المتخبط القاربة الوسط ما بين المنمر والمسير • مشاكل : مشابه •

" ٥ " السيرا^٥ : برود مخططة ، أو برود يخالطها حرير الذهب الخالص : اليمنة : برد يمتنى •

" ٦ " الحيل : النخلة التي لاتحمل ثمارا ، يقال لها حائل والجمع حُولٌ وحُولٌ وحِيَالٌ ،

وحوائل • وكذلك كل انشى لاتحمل ، وليس في جمعها (حِيلٌ) •

" ٧ " الحالية : التي تلبس • وعدّها العاطل •

الكامل قصر بناء الخليفة المعتر بن المتوكل ، وصفه الشاعر في قصيدته التي مدح بها المعتر ومطلعها :

لو كان يعتب عاجر في واصل أو يستقاد لمخرم من ذاهل
 ذكر الصولى في أخبار البحترى قال : "حدثنى أبو العوث قال : حدثنى أبى قسال :
 لما بنى المعتر التامل دخلت عليه فأنشدته "لو كان يعتب . . ." حتى أتيت على آخرها
 فقال لى : يا وليد ما أنشدتنى قط الا أطربتنى . ولا رأيتك الا سررت للملك ببقائك ، فقبلت
 الأرس ، وقلت عبدكم الذى أعتقتموه ، وسائلكم الذى أفنيتموه " .
عرب القصيدة :

بدأ الشاعر قصيدته بمدح الخليفة المعتر ثم انتهى الى وصف قصره التاممـل
 فالبحترى يستوقفنا عند هذا البناء الشامخ ، مصورا الحمام وقد ذعر من منظره حين
 ترنم فوقه ، وحين رأى الهاوية السحيقة التى تشرف عليها ، فيخشى الانزلاق والسقوط ،
 ورسم لنا صورة عن جدرانه الزجاجية المتموجة تموج مياه البحار تحتضنهما
 السواحل ، كما أن تفويف الرخام وتزييناته اذا نظر اليها ظن أنها سحب متراكم رصفست
 فى ألوان متعددة ، ثم سقوفه الذهبية الساطعة تنير الطريق للسائر فى الظلام
 يقول :

ذعر الحمام وقد ترنم فوقه	من منظر خطر المزلة هائل
وكأن حيطان الزجاج بجوه	لجج يمجن على جنوب سواحل
وكأن تفويف الرخام اذا التقى	تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر	ومسير وقارب ومشاكل
لبست من الذهب الصقيل سقوفه	نورا يضىء على الظلام الحافل

ثم يعرج الشاعر على حديقة هذا القصر الفواحة بالزهور والورود والرياحين ، فهى
 شلالات من الحرير المتعدد الألوان فى قطع البرود اليمنية الزاهية الجميلة ، دبت فيها
 الحركة فتأودت زهورا وورودا واستغنت عن دموع السحاب بفيض دجلة ، فتنفست فيها الصبا
 تنفس المظمئن المواتح البال ، وتمايلت فيها الأشجار بين ثمرة وفير ثمرة تمايل الغيد
 المتبخرات فى ردهات القصر بعضهن قد اكتست بحليها ، والبعض الآخر نزعنت
 هذه الحلى اكتفاء بما حبتها الطبيعة من جمال :

وكأنما نشرت على بستانه	سيرا وشى اليمنة المتواصل
أفتته دجلة ان تلاحق فيضها	عن صوب منسجم الرياح الهاطل

وتنفتت فيه الصبا فتعظفت أشجاره من حويل وحوامل
مشى العذارى الخيدر حن عشية من بين حالية اليد ين وعاطل

نظرة في الأبيات :

لقد صور الشاعر لنا علو هذا القصر الهائل ، وتوسل بالحمام لظهار هذا العلو .
والبحترى يعتمد على خياله الحسى فى المقارنة بين المشاهد ، فهو خيال يقرب الأشياء
بعضها الى بعض ، انه خيال ناقل مصور يسدوفى تشبيه الانعكاس على الزجاج
باللجج المتوجة ، وفى تشبيه ألوان الزهور بريدة يمنية مزركشة . كما تظهر الحضارة
فى أبياته ، فالحيضان زجاج والسقوف مذهبة ، وتبدو براءة البحترى فى المزاجية
بين الألفاظ والمعانى مما يجعلنا نتأمل الصورة من خلال اللفظة ، فاستعمال أحرف المد
فى القافية يساعد على ابراز فكرة الارتفاع ، وتتابع أحرف الجيم فى قوله : " حيطان
الزجاج ، بجوه ، لجج ، يمجن " يبرز توج مياه على جنوب السواحل وكأننا نبصر
هذا التوج ونسمعه ، أما التشخيص فظاهر فى جعله الصبا انسانا يتنفس ، وفى جعله
الأشجار تتعطف وتتميل مختلفة كعذارى جميلات القود فى نزهة وقت الأصيل
بعضهن اكتسبن بحليهن والبعض الآخر عاطلات ، كما نشاهد الطبايق بين قوله : " العالى
والسافل . حيل وحوامل . حالية وعاطل " وقير ذلك .

قصرا المعشوق والمشوق :

مدح البحترى الخليفة المعتمد على الله فى قصيدة مطلعها :

أريتك الآن ألمع البروق أم شعل مرفضة عن حريق

وفى آخر هذه القصيدة وصف البحترى قصرى المعتمد " المعشوق والمشوق " وعن المعشوق يقول ياقوت : " انه قصر عظيم بالجانب الغربى من دجلة قبالة سامرا فى وسط البرية " ثم قال " وبينه وبين تكريت مرحلة • عمره المعتمد على الله • وعمر قصرا آخر يقال له الأحمدي " • ويقول محق الديون حسن كامل الصيرفى " ولعل الأحمدي هذا هو الذى يسميه شاعرنا المشوق " •

والشاعر يدعو للمعشوق أن لا تمر سحابة الا ويصيه منها قدر كبير من المطر لأن الشاعر منذ أن رأى هذا القصر لم يفقد الفرح المستمرة والأزمان الطيبة • ويصور القصر مرتفعا جميلا يلقى دجلة بوجهه بشور مشرق كضوء الشمس عند شروقها ثم يذكر المشوق وأنه لم يرت المعشوق الا هذا القصر الذى ترتفع اليه الانظار ، واذا كان المعشوق مبرزاً فى حسنه وبهائه فالمشوق مسرع فى اللحاق به •

وسرى أن البحترى فى أبياته الآتية يبعث الحياة والحركة فى الجماد ، فيرى أن المعشوق يطالع دجلة ويلقاها بوجهه طلق ، ويصور المشوق انسانا يجهد نفسه للحاق به • فأبيات الشاعر فنية بالصور البيانية من استعارات وتشبيهات تزيدها حسنا وبهاء • يقول فى وصف القصرين : (١)

من كل داني المزن وأهى الخسوق	لازال معشوقك يسقى الحيا
فتح جديد وزمان أنيسق	فما خلونا مذ رأيناها من
دجلة يلقاها بوجهه طليق	أشرف نظارا الى ملتقى
يشل ضوء الشمس عند الشروق	وطالع الشمس على موعد
لأعين الرائيين فى المشوق	لم أر كالمعشوق قصرا بدا
سابقا وهذا مسرع فى اللوق	هذاك قد برز فى حسنه

وصف قصر الصبيح والمطيح والبركة : (١)

قال البحرى يمدح المتوكل ويصف القصرين والبركة :

واستم الصبيح فى خير وقت
ناظر وجهة الطيح فلو ينـ
ألسا بهجة وقابل اذا
كالمحيين لو أطاقا التقاء
تنفذ الريح جريها بين قطريـ
مستمد بجدول من عباب الـ
فاذا ماتوسط البركة الخضـ
فتراه كأنه ماء بحر
والدواليب ان يدرن ولانا
ان خير القصور أصبح موهو
جاور الجعفرى وانحاز شينا
حلل من منازل الملك كالأنـ
مفحات تعيى العفات فما تد
فكأنا نحسها فى الأمانى
فرف من بناء دين ودنيا
شوقتنا الى الجنان فزدنا

فهو مغمى انس ودار مقام
حطق حياه معلنا بالسلام
ك فمن ضاحك ومن بسام
أفرطنا فى العناق والالترام
ه فتكبو من ونيسة وسام (٢)
ماء كالأبيس الصقيل الحسام (٣)
راء أقت عليه عسب الرخام
يخمدع العين وهو ماء فمام
ضح يسقى بهن فير النعام (٤)
با بكره العدى لخير الأنام
ز اليه كالسرافب المعتام (٥)
جم يلمعن فى سواد الظلام
رك الا بالظن والايهـ
أونراها فى طارق الاحلام
يوجب الله فيه أجر الامام
فى اجتناب الذنوب والآثام

ويقول من قصيدة أخرى : (٦)

أصبحت بهجة النعيم وأمست
فى البناء العجيب والمنزل الآ

"١" الديوان ٣ / ٢٠٠٥

"٢" الوئبة : الاعياء .

"٣" العباب : معظم السيل . الصقيل : المجلو .

"٤" الدواليب : الآلات التى تدور على محور . الناضح : مستخرج الماء ، البعير يستقى عليه

"٥" الجعفرى : قصر المتوكل السابق الذكر . شيداز : قصر عظيم من أبنية المتوكل بسامرا .

المعتام : هو الذى يختار الصيمة وهى خيار المال .

"٦" الديوان ٤ / ٢٤٥١

الصبيح والمليح قصران من القصور التي بناها المتوكل ، ويذكر ياقوت في معجمه أن المتوكل أنفق على بناء الصبيح خمسة آلاف الف درهم ، وأنفسن على بناء المليح مثلها ، وقد أنشأهما في سامرا .

عن معنى الأبيات :

يصف شاعرنا هذين القصرين مبتدئا بذكر الصبيح ^{وأبناه} بعد تمام عمرانها أصبح دار أنس ومقام ، وانه يواجه قصرا آخر هو المليح ، ولونطق مسلما لرد عليه السلام والتبعية ، وهذا القصران لجمالهما كالصتبهين المتسمين وكأنهما محبان ينظران الي بعضهما ويتوقان الى العنان والتقبيل الذي لو أتيح لهما لأفرطا فيه افراطا عظيما ولسعة الصبيح المتناهية فان الريح يعييبها السأم والاعياء عندما تبرى في أرجاءه فلا تستطيع أن تواصل جريها فتكبو معلنة عجزها وعدم استطاعتها في قطع هذه المسافات ، وهذا القصر يستهتم ماءه بواسطة جدول يجرى بيه أبيض كالسيف الثقيل اللامع فيخترق تلك البساتين لينحط في بركة عظيمة عميقة فيصبح لونه أخضر كما البحر لعقها ، واذ نظرت رأيت الدواليب في دوران مستمر .

أما موقع هذا القصر فيذكر الشاعر أنه مجاور للجعفرى وشباز ، وهذه القصور أصبحت منازل الخلفاء ، ومهما حاولت وصفها فلن تستطيع حتى في الأحلام . ثم يذكر الشاعر أن هذه القصور العالية الشامخة تتمايل في أفئيتها الأشجار ، وتذكرنا بالجنان في عالم الآخرة .

نظرة سريعة :

وصف البحترى هذين القصرين وهام في أغلب هذه الأبيات في عالم الخيال باعثا الحياة والمحبة في تلك الجمادات الهامدة ، منطقا ألسنتها الوسمية ، حيث جعل أحدهما يسلم على الآخر، وأنسح المجال لهما يتبادلان القبلات الحارة ، وجعل الريح تبرى كالحصان القوي ولكنها لسعة هذه القصور تكبو وتجنو من شدة الاعياء ويرسم لنا صورة رائعة للبركة التي تتوسط القصور فتشع منها الألوان الرخامية الجميلة والخضراء الزاهية ، حتى ليخيل للناظر اليها أنه أمام ماء بحر لا ماء فمام لعقها البعيد ، أما الدواليب فتدور بدون توقف .

وفي الختام يجعل هذه القصور الشامخة المتمتعة بعفات تفحم محصيتها ، لاتدرك الا بالأمانى ، أو بالأحلام ، وينقلنا البحترى الى دار القرار وكأنه يهيم في آذاننا

أنها المآل والمرجع .

والبحترى وصاف بارع ، يصور الأشياء بصور فريدة ، معتمدا على خياله . ويتقن هذا الوصف ويوشيه بأنواع البيان والبديع الستى تحلى أسلوبه وتجعله مقبولا .

ووصف البحترى قصر الساج الذى بناه الخليفة المعتر فقال : (١)

وكأن قصر الساج خلة عاشق
قصر تكامل حسنه فى قلعة
دانى المحل فلا المزار بشاسع
وإذا الرياح لعبن فيه بسطن من
برزت لواحقها بوجه مونس (٢)
بيضاء واسطة لبحر محقق
عن يزور ولا الفناء بضيق
موج عليه مدرج مترقرن

هكذا أبرز الشاعر جمال هذا القصر ، وجمال منظره ، يزيد فى ذلك وقوعه على قلعة بيضاء ، وأن هذا القصر مع علوه الشاهن دان لقاصده قريب لزاره ، مع سعته المتناهية ، لما يحتوى عليه من أفنية رحبة وأشجار تلاعبها الريح ، وتثنيها وتلامس ماء النهر الذى يسقى هذا القصر فتكون موجا هادئا مترقرا .

ومن قصر الساج ينتقل بنا البحترى الى ردهات قصر البرج الذى بناه

المتوكل اذ يقول : (٣)

إذا أشرف البرج المطل رمينه
بأبصار خوس قد أرثت قطوعها (٤)
يضى لها قصد السرى لمعانه
إذا اسود من ظلما ليل هزيعها (٥)

جاء فى كتاب الديارات للشابشتى : " كان البرج من أحسن أبنية المتوكل " . وقال :
" انه جلس فيه سنة ٢٣٩ هـ فمكث ثلاثة أيام فحتم فانتقل الى الهارونى بأمير
بعد ذلك بهدمه " .

" ١ " الديوان ٣ / ١٤٨٣

" ٢ " واقفها : محبها . المونق : المعجب . الخلة : الخصلة .

" ٣ " الديوان ٢ / ١٢٩٧

" ٤ " الخوس : الخائرة العيون . القطوع : جمع قطع : طنفسة يجعلها الراكب تحته

وتغضى كنفى البعير . أرثت : من الرثاثة ، أرث الثوب : بلى .

" ٥ " الهزيع : الطائفة من الليل ، أو نحو ثلثه أو ربعه . وقيل : ساعة منه .

ووصف البحترى قصر الزو فقال : (١)

تعجبت من فرعون ان ظن أنه
ولو شاهد الدنيا وجامع ملكها
ولو بصرت عيناه بالزو لازدرى
إذا لرأى قصرأعلى ظهر لجة

وقال يصفه أيضا فى قصيدة أخرى يمدح بها المتوكل : (٢)

أبى يومنا بالزو الا تحسنا
فنينا على قصر يسير بفتية
تظل البزاة البيس تخطف حولنا
تحدردبالدراج من كل شاهق
فلم أر كالفاطول يحمل مساؤه
ولا جبلا كالزو يوقف تارة
لنا بسماع طيب وممدام
قصور على أرجائه وقيام
جآجى ، طير فى السماء سوام (٣)
مخضبة أظفارهن دوام (٤)
تدفق بحر بالساحة ظام
وينقاد اما قدته بزمام

يقول ياقوت : " الزو نوع من السفن عظيم ، وكان المتوكل بنى فى كل واحدة قصرا
منيفا ، ونام فيه البحترى " . وعلى هذا تكون القصور التى بناها المتوكل تسمى الزو
وأن السفينة التى تحمل القصر تسمى باسمه .

والبحترى يصف فى أبياته الاربعة الاولى الزو متعجبا من أن فرعون يظن أنه الله
لاعتقاده أن ما وجد عنده لا يوجد عند غيره ، ولكنه لورأى هذه القصور العظيمة تدير بها
السفن فى البحار لاحترق كل ماله فيه ، ولعلم أن ما حصل عليه ليس بشئ يذكر بالنسبة
لهذا القصر الذى صار ما بين فدوة وروحة فون الأمواج .

وفى الابيات الستة الأخيرة أن يومهم الذى سموه بالزو أبى الا أن يقترن بالحسن
والأنس ، وأنهم استغنوا بهذا القصر الذى يخرع باب الماء ، والفتية فى جوانبه ما بين قيام
وقعود وحول رؤوسهم الصقور البيس تذهب على وجهها كيفما شاءت ، وهذه أيضا طيور
الدراج تتحدر من كل مرتفع ، وتحوم فوق هذا القصر مخضبة الأظفار الجميلة ، ويبسدى

" ١ " الديوان ٢ / ١٠٥٣

" ٢ " الديوان ٣ / ٢٠٠١ - ٢٠٠٢

" ٣ " البزاة : جمع البازى وهو نوع من الصقور . الجآجى : جمع الجوجج وهو الصدر من
من الطير أو السفينة . السوام : الداهية على وجهها حيث تشاء .

" ٤ " الدراج : طائر شبيه بالحجل وأكبر منه أرقط بسواد وسيا قصير المنقار .

الشاعر اعجابه بهذا الجبل على ظهر هذه السفينة فحينما يوقف ، وحينما آخر ينقاد بزمام كالبعير .

والبحتري في هذه الابيات استطاع أن يعطينا فكرة واضحة عن هذا القصر وعظمته ويصوره لنا في ذهابه ومجيئه ، والفتيان يلهمون ، ويصور الطيور بين روحة وجيئة وكان هذا الجبل قاعدة حربية في وقتنا الحاضر . ويشعر الشاعر الزو ويجعله بعيرا وضع رسنه في عنقه وصاحبه مسك به ان شاء قاده وان أراد أوقفه .
والأبيات على قلتها فنية بالصور البيانية والحصنات البديعية كالطياب بين يروح ويغدو . وتعود و تيام . ويوقف وينقاد .

والقصور العباسية التي وعفا الشاعر كثيرة ومنها قصر " الفرد أو الفرد " وهو من القصور التي شيدها الخليفة المتوكل .

فالشاعر يتعجب من حسن دجلة وما ذاك الا لأن الفرد نزل وأقام على جانبها فزاد حسنها حسنا ، وبهاءها بهاء . ويصف فناً هذا القصر بأنه مبتل ندى كأن المطر انهمر فيه انهمارا ، فدواليبه تعمل بلا تمهل ، واذا نظرت اليه من بعد رأيتك منيرا ساطعا حتى أن العين لتكل وتماب بالاجهاد عندما تنظر اليه لشدة صوته ، وكأنسسه الكوكب المضيء الثاقب . واذا نظرت الى القباب فوقه رأيتها تعلوه يمنة ويسرة تشد جوانبه ، وكأنه لمنظره الباهى المشع ولا ارتفاعه الشاخ الشاهق ملك الملوك: يقول (٥)

أحسن بدجلة منظرا ومخيما	والغرد في أكاف دجلة منزلا
خضل الفناء متى وطئت ترابيه	قلت الغمام أنهل فيه وأسبلا (٢)
حشدت له الأمواج فضل دافع	أعجلن دولابيه أن يتمهلا
تبيس نقبته ويسطح نسوره	حتى تكل العين فيه وتنكلا (٣)
كالكوكب الدرى أخلى ضوءه	حلك الدجى حتى تألق وانجلي
رفدت جوانبه القباب ميامنا	ومياسرا وسفلن عنه واعتلى
فتخاله وتخالهن ازاءه	ملكا تدين له الملوك مثلا

"١" الديوان ٣ / ١٦٥٢

"٢" خضل : ندى وابتل فهو خضل . الفناء : الساحة أمام البيت .

"٣" النقبة : اللون ، الوجه . تنكل : تنكس .

وقال البحرى يصف قصور الفتح بن خاقان : (١)

تلفت من عليا دمشق ودوننا	للبنان هضب كالغمام معلق
الى الحيرة البيضاء فالكرخ بعدما	ذمت قاصى بين بصرى وجلق (٢)
الى معقل عزي ودارى اقامتى	وقصد التفاتى فى الهوى وتشوقى
مقاصير ملك أقبلت بوجوهها	الى منظر من عرس دجلة مونسى
كأن الريا الحويكسين حولها	أفانين من أفواف وشى ملسق (٣)
اذا الريح هزت نورهن تضوعت	روائح من فأر مسك مفتسق (٤)
كأن القباب البيى والشمس طلقة	تضاحكها أنصاف بين ملسق
ومن شرفات فى السماء كأنها	قوادم بيضان الحمام المحلق
رباع من الفتح بن خاقان لم تزل	فنى لعديم أو فككا لمونسق

هكذا تحدث البحرى بشوق الى قصور الفتح وهو مقيم بالشام ، فيخبرنا أنه ألقى التفاتة من مرتفعات دمشق على بلاد العراق ، فرأى هضاب لبنان العالية فى ارتفاعها وأنها سحاب معلق بين السماء والارض ، ويذكر أن إقامة بين بصرى ودمشق فى بلاد قومه لم يعد مناسباً ففكر فى الذهاب الى ما يلتجئ بأكثافها ويعيش بين ردهاتها ، ولذلك فهو يتشوق اليها وما ألوهى تلك القصور العالية المقبلة بوجوهها على نهر دجلة . هذا النهر صاحب الفضل على تلك الاراضى التى كستها الريا والزهور بأنواعها العديدة التى تفرح منها روائح المسك عندما تهب بينها الرياح ، ويستوقفنا الشاعر عند تلك القباب البيضاء التى تشبه أنصاف البيى تعلو تلك القصور فى حين ترسل الشمس أشعتها الذهبية وكأنها تضاحكها وتداعبها . أما شرفات القصور فما أشبهها بقوادم الحمام الأبيض الذى يحلق عاليا سابحا فى الفضاء .

" ١ " الديوان ٣ / ١٥٠٩ - ١٥١٠

- " ٢ " الحيرة البيضاء : مدينة كانت على بعد ثلاثة أميال من الكوفة . الكرخ : اسم لعدة مواضع فى العراق . بصرى : اسم لموضعين أحدهما من أعمال دمشق ، والآخر من قرى بغداد . جلق : من أسماء دمشق .
- " ٣ " الحو : من النبات ما كان لونه أسود ضاربا الى الخضرة . أو أحمر ضاربا الى السواد . الأفانين : الضروب والأنواع . أفواف : يقال ثوب أفواف أى ذو خطوط بين على طول . الوشى : نقش الثوب وتحسينه بالألوان . ملسق : من لفظ الثوب ضم شقة منه الى أخرى فحاطها .
- " ٤ " تضوعت فاحت . فأر مسك : مفردها فأرة : وعاء المسك . المفتق : المسك خلط بخيره ، أو المستخرجة رائحته .

٢- وصف الطبيعة

وصف الربيع

وصف البحترى للربيع فنقله انسانا طلق المحيا مشرق للقطمات يختال ضاحكا من
حسنه يكاد يتكلم معبرا عن جماله ومحاسنه ، وأما النيروز وهو أوائل الربيع فقد نبه أوائل
الورد التي كانت نائمة في أكمامها وأيقظها في فسق الدجى لتتمتع بجمال الربيع يقول (١)

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز في فسق الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوما " ٢ "

أما برد الندى فيفتح هذه الأكام والبراعم وأنه نشر حديثا كان مكتما من قبل .
وفضل هذا الربيع لاتسائه تلك الاشجار التي كانت عارية لتساقط أوراقها حيث رد
أوراقها من جديد وصار لها سها موشى بمختلف الالوان بعد ان كان مطويا وأن هذه
الاشجار كانت محومة للحج فأحلت من احرامها وليست ثيابها ، وكان منظرها في ثياب
الاحرام قذى للعيون ، أما بعد أن أحلت فقد بدت هاشية باشية . وأما النسيم فقد
رق وبق شذاه بأريج الزهر حتى كأنه حمل أنفاس الأحياء الناعمة :

يفتقها برد الندى فكأنه بيت حد يشا كان أمس مكتما " ٣ "
ومن شجر رد الربيع لباسه عليه كما نشرت وشيا منظم " ٤ "
أحل فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين ان كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته يجن " بأنفاس الأحياء نعما

ان هذه الابيات تعتبر من عيون الشعر صور فيها البحترى احساسه لدى هذا
الفصل الساحر من فصول العام ، فالربيع بأزهاره ووروده المتفتحة يقبل على الناس كأنما
يضحك أو يكاد من الحسن يتكلم ، ثم يأتي عيد الطبيعة فينبه هذا الورد من سباته
فيصحو ويفيق ، أما برد الندى فيذيع أسرارا مكتومة ، ورأيتاه صور الربيع انسانا عطوفا
يعيد الى الاشجار اعتبارها بعد ان كانت متجهمة جدا " ، وبعد أن طوف الشاعر بخياله

" ١ " الديوان ٤ / ٢٠٩٠ - ٢٠٩١

" ٢ " النيروز : أكبر أعياد الفرس ، ومعناه بالفارسية " اليوم الجديد " وهو أول يوم
من السنة الشمسية .

" ٣ " بيت ، يذيع . يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوما فأنذبح .
" ٤ " الوش : نفس الثوب . منضم : محسن .

يعود الى صورة من الصور المحسوسة يستلها من احرام الحجيج حين يتجردون من هخيط الثياب ، أما هذا النسيم فقد أدخل على القلوب المسرة فقدا وكأنه أنفاس الأحباب ؛

واسلوب الشاعر مليء بالصورة البيانية .

وأشعار البحترى في هذا الجانب كثيرة فهو يصف الرياض وما فيها من أزهار وورود ، متعددة الالوان مبينا فضل الغيث على المغاني التي فارقتها أهلها حيث رد عليها الغيث جمالها وابتسامتها ، فأصبحت خضراء كاللؤلؤ المرزبان ، متنوعة الزهور والرياحين ، وكان أرضها قد تسمت سماء نجومها شقائق النعمان اذ يقول " ١ " :

ايكيا هذه المغاني التي أخذت لها بعد أهلها المرزبان " ٢ "
أسعدا الغيث اذ بكأها وان كما ن غليبا من كل ما تجسدان
جاء فيها بنفسه فاستجدت حطلائه جسمة الالوان
فهى تهتر بين افرنده الأخ حضر حسنا ووشيه الأرجواني " ٣ "
في سماء من خضرة الروى فيها أنجم من شقائق النعمان " ٤ "

وكما تبادى السائر في تلك الرياض يشاهد أصنافا متعددة الالوان من الزهور ، فمن أبيض الى أصفر كأنها الفضة والذهب اذا اجتمعا ، أما الحوذان والاقحوان فتصليهما الريح يمينه وسرة فيتعانقان كالمحبين عند التفتائهما بعد فراق ، هذا الى ما تحويسه هذه الرياض من المرجان والياقوت من الزهر ، والصبيا بنسيمها العليل تحسب الروائح الزكية أثناء مرورها بهذه الرياض :

واصفار من لونه وبيضاض
كاجتماع اللجين والعقيان " ٥ "
وتريك الأحباب يوم تلاق
باعتناق الحوذان والاقحوان
تكان الأشجار تطورباها
بنشير الياقوت والمرجان " ٦ "
وكان الصبا تردد فيها
بنسيم الكافور والزعفران

- " ١ " الديوان ٤ / ٢١٩٧ - ٢١٩٨
" ٢ " المغاني : جمع المغني وهو المنزل المرزبان ، نجم
" ٣ " الافرنده : جوهرة السيف ووشيه ، وقد استعاره لخضرة الارض الأرجواني ، وهو اللون الاحمر نسبة الى الأرجوان وهو صبغ احمر
" ٤ " شقائق النعمان : زهر احمر يقع بنقطة سود كبيرة
" ٥ " اللجين : الفضة ، العقيان : الذهب الخالص
" ٦ " المرجان : جنس حيوانات بحرية ثوابت ، له هيكل وكلس احمر ، ويحصد من الأحجار الكريمة .

ويصف المحترى رياضاً بالجزيرة أفرقتها السحب بالمياه حتى فدت فدرانها
المتفرقة تضاحك دجلة الداغمة ، تتحلل بنشور اليواقيت التي تتلألأ في نسور
الشمس وتتقل الطيور بين أفصانها وهي تترنم بأنغام جميلة رائحة يقول " ١ " ،

سرى البرق يلمع في مزنة	تمد الى الأرض أشطانها
فكم بالجزيرة من روضة	تضاحك دجلة نغيانها " ٢ "
ترك اليواقيت منشورة	وقد جلت النور ظهرانها " ٣ "
فرائب تخطف لحظ العيون	إذا جلت الشمس ألوانها
إذا فرد الطير فيها نتت	اليك الأفاني ألحانها " ٤ "

أما تأود الغصون ومداعبة الريح لها مرة تميلها وأخرى تقيمها فيشبه الغيبد
الحسان بقاماتهن الطويلة وتمايل أعناقهن ، ثم ينظر الشاعر الى تنقل أفياء
الاشجار عن أماكنها وتناولها نتيجة تنقل الشمس في السماء فيراها كالخيل تسحب
أعنتها ،

كان المذارى تمشى بها	إذا هزت الريح أفنانها " ٥ "
تعانق للقرب شجراؤها	عناق الأحيه أسكانها " ٦ "
فظورا تقوم منها الصبا	وظورا تميل أفصانها
جنوح تنقل أفياءها	كما جرت الخيل أرسانها " ٧ "

-
- | | |
|-------|--|
| " ١ " | الديوان ٢١٧٦ / ٤ |
| " ٢ " | الثغبان : جمع الثغب وهو الغدير . |
| " ٣ " | جلسل : هم وطبق ، فلم يدع شيئاً الا فطى عليه . الظهران : جمع
الظهر وهي خلاف البطن . |
| " ٤ " | ثنى الشيء : رد بعضه على بعض ، عطفه . |
| " ٥ " | المذارى : جمع العذراء ، وهي الفتاة الهكر . الأفنان : جمع الفنن
وهو الفصن المستقيم . |
| " ٦ " | الشجرا : الأرض ذات الشجر اللطيف كالأجمة . الاسكان : جمع
التكن وهو كل ما يسكن اليه ، وفيه ، ويستأنس به . |
| " ٧ " | جنوح : جنح : مال يريد الشمس والأفياء : جمع في وهو الظلل
الأرسان : جمع رسن ، وهو حبل الدابة . |

وقال يصف الرقعة البيضاء وما فيها من مناظر الطبيعة الخلابة : " ١ "

والمرج مروج العراض فسوف	ترهى خزاماه على الحوذان " ٢ "
والرقعة البيضاء كالخود التي	تختال بين نواعم أقصران " ٣ "
من أبيض يقق وأصفر فاقع	في أخضر بهج وأحمر قسان " ٤ "
ضحك البهار بأرضها وتشققت	فيها عيون شقائق النعمان " ٥ "
وتنفست أنفاس كل قرارة	وتغنت الأطياف في الأفتان " ٦ "
فكأننا قطر السحاب على الثرى	عظرا فأذكاه ذكاه بيسان
وزكت معالم " ديزكي " بعد أن	وسمت يد الوسى كل مكان " ٧ "
بمرائس خضر الغلائل ترتى	بنواظر نجل من العقيبان " ٨ "
وجفون كافر أعاد بها الصبا	ضعفا فهن مرائس الأجفان
فاذا العيون تأمنت أشخاصها	فكأنهن الى العيسون روان " ٩ "
يسعى النقا ما بينهن رسائل	فيملن بالتقبيل والرشفان " ١٠ "
فكان مثاهن عند هبوبها	رأد الضحى سكان معتقسان " ١١ "
وكأننا تلك القدود أوانس	كالعين لم يأنسن بالانسان
وتفجرت أنهارها بمياهها	موصولة بفواحق الغسدران " ١٢ "

الديوان ٤ / ٢٣٧٧ / ٢٣٧٨ / ٢٣٧٩

" ١ "	الديوان ٤ / ٢٣٧٧ / ٢٣٧٨ / ٢٣٧٩
" ٢ "	المرج : الأرض الواسعة فيها نبت كثير . العراض : جمع العرصة وهي ساحة الدار ، أوكل بقعة ليس فيها بناء .
" ٣ "	الخود : الشابة الناعمة الحسنة الخلق . الرقعة البيضاء : مدينة مشهورة على الفرات .
" ٤ "	اليقق : الشديد البياض .
" ٥ "	البهار : نبت طيب الرائحة ، ويقال له عين البقر وهو بهار البر .
" ٦ "	القرارة : القاع المستدير يجتمع فيه ماء المطر .
" ٧ "	ديزكي : دير بالرقعة . وسمت : تركت وسما أي علامة وأثرا ، ووسم الوسى الأرض : أصابها . الوسى : مطر الربيع الأول سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات .
" ٨ "	النواظر النجل : الواسعة الحسنة .
" ٩ "	العيون : واحدة منها يقصد بها عيون الماء ، والأخرى الباصرة . روانى : تديم النظر بسكون الطرف .
" ١٠ "	النقا : القطعة من الرمل التي تتقاد محدودبة ، ويريد أعجاز النساء .
" ١١ "	رأد الضحى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء في شياى النهار .
" ١٢ "	الفواحق : المملثة حتى صار ما فيها يتصبب .

مثل المرايا في تمارق سندس
أو فضة فاضت بأرغى زمسرد
فكأنما دينا للسما على الثرى
ظل السحاب سفيرها وسفيره
منحته وهي شجيرة بيكائها
متبسم عن لسؤلؤ متلالئ
شغف السحاب بها فروى زهرها
وحبا فداثرها بدر سسحه
فتتوجت بجنانها وزهت على
خضر يروى العيين بالمعنان " ١ "
أوما در دار في مرجان " ٢ "
سلفا قد يما حل في نيسان " ٣ "
ويقودها عينان ينسجمان " ٤ "
ووفى بضحك الموثق الجذلان
ونواعم مثل البدر حسان
ريقا فراح كرائع نشوان " ٥ "
وفرائد من لسؤلؤ ومشان " ٦ "
تلك الرياض ببهجة التيجان

عربى معانى الأبيات :

وصف البحترى مناظر الطبيعة الخلابة التي تحف بالركة حيث فدت الرقة كالشابة
الناعمة الحسناء تحيط بها المروج الخضراء ، والجنان الوارفة الظلال ، والزهور
المتعددة الألوان من أبيض وأصفر وأحمر تفوح من بينها روائح عطرية ، وكأن هذه
الرياض تنفست فعمت الأرجاء بروائحها الزكية ، ويزيد من حسن هذه الرياض ألحان
تلك الطيور التي تنتقل من فسن الى فسن متهجة بهذا النعيم .

أما المطر فعندما هطل على الثرى لم يكن بمطر وانما فدا عطرًا ، فيد الوسسى
كان لها دور كبير حيث روت هذه الرياض وغيرها ، فصارت الأشجار الخضراء تتمايل
وترتمى بنظراتها بعضها على بعض بعيون واسعة .

أما عيون الماء بين هذه الرياض فتجوى بمياهها وكأنها تنظر الى العيون التي
تبصرها . أما الأشجار التي تحف بهذه العيون فتتمايل أفصانها كما تتمايل الآنسات
في عنج ودلال وكأنهن يقر الوحش تنفر من الانسان . وأما الأنهار فتفجرت بالأمواه

- ١ " النمارق : جمع الثمرق والنمرقة وهي الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . السندس : ضرب
من نسج البز أو من رقيق الديباج .
٢ " الزمرد : حجر أخضر اللون شديد الخضرة شفاف .
٣ " نيسان : من شهور السنة الشمسية ، وهو ما يقابل شهر أبريل .
٤ " السفير : الرسول المصلح بين فريقين .
٥ " الريق : من كل شئ أوله وأفضله ، والريق : الماء للمعانه .
٦ " حبا : أعطى . الغدائر : جمع الغديرة وهي الذؤابة . السح : سيلان الماء من فوق الى
أسفل ، أو الانصباب بالمتتابع الكثير .

وأخذت الغدران المثلثة تعدها وتصلها بالماء ، حتى اذا نظر اليها الانسان تجرى بين الرياض الخضراء توههم أنه أمام المرايا المجلوة أو الفضة البيضاء فاضت بأرض زمرد . ولكثرة ما انهمر على تلك الرياض من أطوار يرى الشاعر وكأن هناك دينا للسماء عند الثرى ينتهى أجله فى شهر نيسان ، ولكن الثرى مماطل عن دفعه وعدم الوفاء به ، وحينئذ يتدخل السحاب للصلح بينهما ، ولكن السماء لا تتمالك فتنهمل دموعها الغزيرة على أرجائه ، فلم يكن منه الا أن وفى بدينها وقضاه بما ابتسم به عن زهور وورود ، فشغفت السماء بحب عذبة الرياض فروت زهرها بالريق المدرار وحولتها الى جنان تزهو بالأزهار على أوراقها كأنها التيجان . وهكذا يصف شاعر الطبيعة ، الطبيعة وصفاً رائعاً وديعاً بما فيها من أزهار وشقائق ورواقيت وروائح عطرية . ولاشك أن هذه الابيات تزخر بالصور البيانية والمحسنات البدعية .

وصف سحابة :

وصف البحترى سحابة تملأ الكون بصوت رعداها المدوى ، فتسد الأفق وتكاد أذ يالها تمس الأرض لكثرة ما تحمله من الماء ، ثم أخذت تصب أمطارها والنسيم ذو أريج كأريج السورد ، وهذه السحابة لا تكف عن الرعد الذى يشبه زئير الأسد ، والبرق اللامع كسيوف الهند . يقول : (" ١ ")

ذات ارتجاز بحنين الرعد	مجرورة الذيل صدوق الرعد " ٢ "
مسفوحة الدمع لغير وجد	لها نسيم كسليم السورد
ورنة مثل زئير الأسد	ولمع برق كسيوف الهند

هذه السحابة ساقتها ربح الصبا من بلاد نجد حيث أخذت تنشر قطرات مائها كما تنشر حبات العقد ، فابتهجت الأرض بهذا المطر وأخصبت بأنواع متعددة من الأزهار والسورد والرياحين .

أما النسيم فأخذ يحرك ما على وجه الغدران من ققاعات فصارت الغدران وكأنها تلعب بالسورد :

جاءت بها ربح الصبا من نجد	فانتشرت مثل انتشار القند
فراحت الأرض بعيش رعد	من وشى أنوار الربا فى سرد

" ١ " الديوان ١ / ٥٦٧ - ٥٦٨

" ٢ " ارتجاز : ارتجاز الرعد : سمع صوته متابعاً .

كأنما فدرانها في الوهد يلعبن من حبابها بالنرد " ١ "

هكذا صور الشاعر هذه السحابة ضخمة مجلجلة في السماء برعودها لامعة ببروقها
تشرق قطرات مائها لتسقى الأنوار وتترك في الوهاد فدرانا يلعب الحباب
فوق سطحها .

ويصف البحترى سحابا اشتد انصباب مائه حتى عم الأرض وغطاها ، أما
الريح فتسوقه وتنفعه حتى تجعله قريبا من الأرض ، وصوت الرعد لأنه ينجس
هذا السحاب تارة وينجيه أخرى إذ يقول : " ٢ "

أما ترى العارض المنهل دانيه قد طبق الأرض وانحلت عزاليه " ٣ "
فالريح ترجيه تارات وتحسدره والرعد ينجيه طورا أو ينجيه

وعندما يبكي هذا السحاب يبتسم وجه الأرض عن الزهور المتنوعة التي قل أن يرى
مثلها ، وما ذلك إلا لانسكاب هذا السحاب وفمه للبقاع

يبكي فيضك وجه الأرض عن زهر كالوشى بل لا ترى وشيا يدانيه
ما زال يسكب سحا مسبلا فدقا لا يستفيق ولي عين تباريه

ووصف الشاعر روضا تكثر فيه أنواع الرياض التي تنال اعجاب النفوس إذا انسكب الماء
فيه امتلأت وهاده بالمياه فتهب الريح ، وعندما تلامس سطح هذه المياه تكون
حبيبا متكسرة ، أما إذا هدأت الريح فيظنه الناظر اليه سيفا صقيلا مجردا
من فمده . أما الحمام فأخذ يتنقل من فصن الى فصن يترنم بأغذب الألحان حتى
أن سماعه من شدة انسجابه ينسى أئمة الغناء كالغريض ومعبد . يقول :

وروض كساه الظل وشيا مجددا فأضحى مقيما للنفوس وقعدا " ٤ "
إذا ما انسكاب الماء عاينت خلته وقد كسرت راحة الريح جردا
وان سكنت عنه حسبت صفاءه حساما عقيلا صافي المتن جردا

" ١ " الوهد : الأرض المنخفضة . الحباب : فقاقيع الماء . النرد : اللعبة المعروفة
باسم " الطاولة " .

" ٢ " الديوان ٤ / ٢٤٤٤

" ٣ " العارض : السحاب المعترض في الأفق . العزالي : جمع العزلاء وهي مصب الماء
من القرية أو نحوها . يقال : أرسلت السماء عزاليها إذا انهمرت بالمطر .

" ٤ " الديوان ٢ / ٨٤٠

وفنت به ورق الحمام حولنا فناء ينسيك الغريس ومعبدا " ١ "

ويتابع شاعرنا تجواله في وصف الطبيعة ورسمها فيصف الغيث والبرق ، ويجعل
البرق يذيب السحب ويقضى عليها ، فتطير به ريح الصبا وهي تعبق بالرائحة
الطيبة ، أما البرق فيلتمع في الماء فيشع ضوء كضوء القمر يقول : " ٢ "

فيث أذاب البرق شحمة مزنه فالريح تنظم فيه حب الجواهر
وكأنما طارت به ريح الصبا من بعد ما انغصمت به في العنبر " ٣ "

ويضء تحسب أن ماء فمامه تمر تقطع في اناء أخضر
من ذا رأى فيثما تأزر برقه في عارض مريان لم يتأزر " ٤ "

ويعطينا البحترى صورة للربيع والرياح ، فبعد أن انقضى فصل الشتاء
وانقضى فصل الربيع فأشرقت الآفاق وأضأت ، فمن زهور الحوذان والأقحوان
التي اتخذت أشكالاً جميلة كاللآلئ والجواهر المنظومة ، إلى رياح تفوح بروائح
السرور والرياحين الشذية وإلى ليل كساه الصيف بروداً رقيقة . يقول
من قصيدة مدح : " ٥ "

ذهبت جدة الشتاء وواقفا نا شبيها بك الربيع الجديد " ٦ "

أفق مشرق وجو أضأت في سنا نوره الليلي السود

وكان الحوذان والأقحوان الـ حفص نظامه لؤلؤ وفريد " ٧ "

قطرات من السحاب وروى نثرت وردها عليه الخدود

وليال كسين من رقعة الصيـ ف فخلين أنهن برود " ٨ "

-
- " ١ " الغريس : عبد الملك أبو زيد وهو من رجال الغناء البربرين في العصر الأموي .
معبدا : نابغة الغناء في العصر المذكور .
- " ٢ " الديوان ٩٥٠ / ٢
- " ٣ " العنبر : مادة صلبة إذا سحقت أو أحرقت انبعثت منها رائحة ذكية .
- " ٤ " تأزر : اتخذ أزارا يتستر به .
- " ٥ " الديوان : ٧٢٢ / ٢
- " ٦ " المخاطب : الفتح بن خاقان .
- " ٧ " اللؤلؤ : جسم صدف في يتكون داخل بعض أنواع المحار البحرية .
- " ٨ " البرود : الأثواب .

وفى البرق والمطر أيضا يقول : " ١ "

فاذا تحمل من تهامة بارق لجب تسير مع الجنوب زحوفه " ٢ "

صخب الرواح اذا تصوب مزنه ذعر الأجادل فى السماء حفيفه " ٣ "

فسقى اللوى لابل سقى عهد اللوى أيام ترتبع اللوى ونصيفسه " ٤ "

وقال واصفا المطر وما بين الدكتين من زهور وورود : " ٥ "

قد تهادى الولى فى هطلانه وأتانا الوسى فى ابانسه " ٦ "

وأرى الدكتين بينهما أفـ حواف روس كالوشى فى ألوانه

فى ضروب من حسن نرجسه الفص ومن آسه ومن زعفرانه " ٧ "

ويتابع شاعرنا وصف الرياح وما تحويه من زهور وورود ، فيرى أن الرياح أحسن

من ملاءة السندس ، تتخلله خيوط مذهبة لمطارف لم تعد للباس ، يعبى فى

جوانبها فوح الكافور ، ويبرق فى حواشيتها قاتم أملس الزمرد . يقول : " ٨ "

هذى الرياح يدا لطرفك نورها فأرتك أحسن من رباط السندس " ٩ "

ينشرن وثيا مذهبا ومد بججا ومطارفا نسجت لغير الطيس " ١٠ "

وأرتك كافورا وتبرا مشرقا فى قاتم مثل الزمر أملس " ١١ "

وإذا هص النسيم بين هذه الرياح تمايلت أعناقها كتمايل القادات المنعمات

النواعس يترنحن ترنحا من الدل والغنج . أما شذاه وعبقه فيقف دونه المسك :

" ١ " الديوان ٣ / ١٤٢٣

" ٢ " البارق : السحاب ذو البرق ، شبهه بالجيش اللجب أى أنه ذو جلبة وكرة .

الجنوب : ربح الجنوب . تهامة : أراضى السهل السا حلى الغربى الضيق

المتد من شبه جزيرة سيناء شطالا الى أطراف اليمن جنوبا .

" ٣ " الأجادل : جمع الأجدل وهو الصقر .

" ٤ " اللوى : منقطع الرمل واللوى : واد من أودية بنى سليم .

" ٥ " الديوان ٤ / ٢١٦٩

" ٦ " الولى : المطر يسقط بعد المطر أو المطر بعد الوسى . الوسى : مطر الربيع الأول

وسمى الوسى لأنه يسم الارض بالنبات . ابانه : حينه وأوله .

" ٧ " النرجس : نبت من الرياح تشبه به العيون . الآس : ضرب من الرياحين .

" ٨ " الديوان ٢ / ١١٧٩ - ١١٨٠

" ٩ " الرياط : جمع ريطة وهى ملاءة قطعة واحدة وكلها نسيج واحد .

" ١٠ " المديج : المنقوش . المطارف : جمع مطرف وهو رداء من حرير ذو رسوم .

" ١١ " الكافور : نبت طيب زهره كزهر الاقحوان . الزمرد : حجر كريم شفاف شدة بالخضرة

متمايل الأعناق في حركاته كسل النعيم وفترة المتعس
تحلياً من كل حسن موق متفلساً بالمسك أي تنفس

ويقول في وصف روضة مخررة بالنبات سقتها السحب فانتشر الحودان فسي
جوانبها مفتحة مشرقاً ، وإذا أجلت نظرك بها تتوهم أن دنانير الذهب من
محتوياتها . إذ يقول : " ١ "

لدى روضة جاد الربيع نباتها بفر الفوادى تستهل وتسكب
إذا أصبح الحودان في جنباتها يفتح وهمت الدنانير تضرب

كما وصف البحترى الروى فرآه يانعاً لاصقاً بالأرض ، ورسم صورة فريدة للندى
يملو الزهر الأحمر فجعله كدموع التصابي في حدود الحشاوات الأبيكار .
أما زهر الأتحوان فمنظم تنظيماً رائعاً كالجواهر والدر ، وشبه جنى
الحودان بدنانير الذهب اللامعة يقول : " ٢ "

ولا زال مخرراً من الروى يانع عليه بمحمر من النور جاسد " ٣ "
شقائق يحطن الندى فكأنه دموع التصابي في حدود الخرائد " ٤ "
ومن لؤلؤ في الأتحوان منظم على نكت صفرة كالفسرائد " ٥ "
كأن جنى الحودان في رونق الضحى دنانير تبر من تؤام وفسارد " ٦ "
رباع تردت بالرياض مجودة بكل جديد الماء عذب الموارد " ٧ "

وفي إحدى دعوات يونس بن بغا وصف الشاعر الرياض ، وما فيها من أزهار بعد
أن نزل عليها المطر يقول : " ٨ "

شاهدت أيام السرور فلم أجد يوماً يسر كيوم دعوة يونس " ٩ "
أدنى مزار وسط أحسن بقعة وأجل زوار لأبهى مجلس

" ١ " الديوان ١ / ١٣٥

" ٢ " الديوان ١ / ٦٢٣

" ٣ " الجاسد : اللاصق .

" ٤ " الخرائد : جمع الخريدة وهي البكروفي الأصل ، اللؤلؤة لم تثقب .

" ٥ " الأتحوان : من نبات الربيع مفرغ الورق ، دقيق العيدان ، له نور أبيض .

التكت : جمع نكتة وهي النقطة السوداء في الأبيض ، وقيل البيضاء في الأسود .

الفرائد : جمع الفريدة : الجوهرة النفيسة وقيل : الدر إذا نظم وفصل بغيره .

" ٦ " التؤام : التؤام . الفارد : الفرد . الحودان : من نبات السهل يرتفع قدر ذراع له

زهرة حمراء في أصلها صفرة ، وورقته مدورة ، حلو طيب الطعم .

" ٧ " الرباع : جمع الربيع وهو الموضع يتربعون فيه . مجودة : أصابها الجود وهو المطر الغزير .

" ٨ " الديوان ٢ / ١١٥٠ - ١١٥١ " ٩ " يونس بن بغا : من ندما الخليفة المعتز .

في روضة خضراء يشرق نورها تسقى مجاجات الغيوم البجس " ١ "
فخر الربيع على الشتاء بحسنها يوم تليق به كبار الأكسوس

ويتابع شاعرنا تجواله بين معالم الطبيعة فيصف يوما شاتيا عند دجلة تصفر
الرياح اذا مرت بأشجار الأثل فيه حتى تكاد ترعزه ثم تحمل اليه قطرات من المطر
تسرى ما حول دجلة من رياح وقد استدارت في ذلك الموضع كأنها الهلال أو السوار
فيقول من قصيدته التي يمدح بها الحسن بن وهب : " ٢ "

رضينا من مخارق وابن خير بصوت الأثل اذا متع النهار " ٣ "
ترعزه الشمال وقد توافى على أنفاسها قطر صفار " ٤ "
فداة دجنة للغيث فيها خلال الروس حج واعتمار " ٥ "
كأن الريح والقطر المناجس خواطرها عتاب واعتذار
كأن مدار دجلة حين جاءت بأجمعها هلال أو سوار

وهكذا يطيل شاعرنا في وصف الطبيعة من رياح وأمطار وبرق ورعود . ولكنه لا يلبث
أن يرتفع بناظريه الى السماء فيرى الثريا وسهلا فيصفهما بقوله : " ٦ "

كأن الثريا ساج متكبد لجريه ماء يستقل ويرجع
اذا ما أهابت عن تزاوير جانب بصيوقها مزهوة جاء يهرع
تأيا مع الامساء تتبع ضوءه وتسبقه فوت الصباح فيتبع
كأن سهيلا شخص ظمان جانح مع الأفق في نهس من الارض يكرع

وهكذا رافقنا البحترى في نغماته في الطبيعة فلترافقه في جانب آخر لنرى رسوما

أخرى للأقاليم والمدن ما بين الشام والعراق .

-
- " ١ " مجاجات الغيوم : الأمطار . البجس : المتفجرة الهائلة .
" ٢ " الديوان ٢ / ٩٦١
" ٣ " مخارق وابن خير من المشهورين بالفناء . الأثل : شجر عظيم صلب الخشب .
متع النهار : بلغ فايته وارتفاعه .
" ٤ " توافى : يقال توافى القوم : تآموا .
" ٥ " الدجنة : الظلمة . ويريد بالحج والاعتمار : الزيادة .
" ٦ " الديوان ٢ / ١٢٧٣

٣- وصف المدن والأقاليم

لم يغفل البحترى المدن والقرى التي كان يرتادها ، بل وصف أكرها
وصفا رائعا مجليا محاسنها ولاسيما اقليم الشام الذي يفتخر به ويحن اليه
دائما وكثيرا ما كان يخرج من العراق لزيارته والاقامة في ربوعه . كما أنه وصف
العراق ومدنه ، وسوف نعيش مع الشاعر ونراقبه في تجواله في بعض الأماكن
التي وصفها فمن دمشق الى بطيخس وفيها من اقليم الشام ومن بغداد الى
المتوكلية والمحمدية في العراق . وفي ذلك . . .

" ١ " وصف الشام

في فصل الصيف وعندما يطيب المقام في ربوع الشام وعندما يتذكر البحترى نهر
الساخور وما حوله من تلاع وبساتين ونسيم عليل ، يتجه نظره الى تلك الجنان الوارفة
ليصطاف هناك ونجده يحن اليها وهو في أرض العراق : " ١ "

حنت ركابي بالعراق وشاقها في ناجر برد الشام ويرفسه " ٢ "
ودافع الساخور حيث تقابلت في ضفتيه تلاع وكهوفه " ٣ "

ويصف دمشق عند قدوم المتوكل اليها وكأنها فانية تبدي محاسنها لناظرها ولاقراة
في هذا فكل شيء فيها حسن حتى زمانها يشبهها في الحسن والجمال ، وهذا السحاب
يتلبد على جبالها مع قدوم المساء فلا يلبث ان يحيى النبات في الصحارى فيعمها
فلا تبصر الا المطر المنهمر المدرار يبيلل النباتات التي تغرد الطيور في أرجائها
فينعم الناس بربيع يزورهم بعد فياب . ونراه يقول من قصيدة يمدح بها المتوكل : " ٤ "

أما دمشق فقد أبدت محاسنها وقد وفق لك مطربها بما وعدا " ٥ "
إذا أردت ملأت العين من رلد مستحسن وزمان يشبه البلادا
يمسى السحاب على أجبالها فرقا ويصبح النبات في صحرائها بددا
فلست تبصر الا واكها خضلا أو يانع اخضرا أو ظائرا فردا " ٦ "

" ١ " الديوان ٣ / ١٤٢٣ " ٢ " ناجر : كل شهر من شهر الصيف لأن الأبل تتجرفه

أي تعطش . " ٣ " المدافع : مجارى الماء والمسائل . الساخور : نهر منبج .

" ٤ " الديوان ٢ / ٧١٠ " ٥ " المطرى : المبالغ في المدح .

" ٦ " الواكف : المطر المنهل . الخضل : الندى المتبدل . اليناع : الطيب الذي يحان قطافه .

كأنما القبيظ ولي بعد جيئته أو الربيع دنا من بعد ما بعدا
ويصف الشاعر دمشق أيضا ويقول انها احدى جنان الدنيا أرضها طيبة وروضها
مخضر ، وجوها واسع ، وماؤها عذب ، والدهر فيها غير مقيد ، وعيشها ناعم ، متعدد
الأشكال والأصناف ، ويستفهم الشاعر في تعجب كيف لا يكون هواه معها مع أن صيفها
شبيه بشتاء العراق : " ١ "

ان دمشقاً أصبحت جنّة	مخضرة الروض عذاة السبراق " ٢ "
هواؤها الفضاض في الندى	وماؤها السلسال عذب المذاق " ٣ "
والدهر طلق بين أفيائها	والعيش فيها ذو حواش رقصاق " ٤ "
وكيف لا تؤثرها بالمهسوى	وصيفها مثل شتاء العراق

وعندما رحل الشاعر من العراق الى دمشق فرح بذلك فرحا شديدا لما سيلقاه
من بلد حسن ، ولهودائم ، ويندد بقبيظ العراق اذ يقول : " ٥ "

قد رحلنا عن العرا	ق وهن قيظها النكد
حبذا العيش في دمش	ق اذ ليلها برد
حيث يستقبل الزما	ن ويمتحنن البلد
سفر جددت لنا الـ	لهو أيامه الجدد

ويتابع شاعرنا وصف العراق والشام ، فيخبر أن العراق بلد طيب حسن الا أن هناك
ما ينغص عليه هذا الحسن ، وهو شدة حرها ، وقيظها ، ولذلك فهو يولي منها هاربا
في هذا الفصل . ولكنه يهواها ويولع بها عندما يطيب صيفها ، ويجعلها عشيقته
الأولى ، ومع كثرة تجواله الا أنه لم ير مثل الشام لمن أراد القيام ، فهي تبعث السرور
وتسر العيون لجوها الصحن المفيد ، علاوة على تقديسها ، لأن الربيع معها حتى دورها
تصبح رياضاً خضراء حيث يقول : " ٦ "

نصب الى طيب العراق وحسنها ويمنع منها قيظها وحرورها

" ١ "	الديوان ٣ / ١٥١٤
" ٢ "	العذاة : الأرض الطيبة التربة . البراق : واحدتها برقة وهي الأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورمل .
" ٣ "	هواؤها : جوها . الفضاض : الواسع . السلسال : العذب .
" ٤ "	الحواش : الجوانب .
" ٥ "	الديوان ٢ / ٧٠٨
" ٦ "	الديوان ٢ / ٩٤٣

هي الأرض نهواها اذا طاب فصلها
عشيقتنا الأولى وخلصنا التي
عنيت بشرق الأرض قدما ومغربا
فلم أر مثل الشام دار اقامة
مصحة أبدان ونزهة أعين
قدسة جاد الربيع بلادها
ونهرب منها حين يحس هجيرها
نحب وان أضحت دمشق تغيرها
أجوب في آفاقها وأسسيرها
لراح تغاديبها وكأس تديرها
ولهو نفوس دائم وسرورها
ففي كل دار روضة وقد يرها

ويصف البحتری "الصالحية" وهي قرية قريبة من الرقة وعندها بطياس كما ذكر ياقوت.
ويصف ما حولها من مناظر الطبيعة الخلابة ، حيث اكتست أرضها بالرياح والزهور ، وقد
أخذ الربيع ينسج أزهاره ووروده حولها بعد أن انسكبت دموع السماء بها ، فصارت
تختال وتبتسم في حلل صفر وخضر مزركشة الألوان ؛ " ١ "

أخذت ظهور الصالحية زينة
نسج الربيع لربيعها ديباجة
بكت السماء بها رذاذ دموعها
في حلة خضراء نضم وشيها
عجبا من الصفراء والحمراء
من جوهر الأنوار والأنسواء
فغدت تبسم عن نجوم سما
حوك الربيع وحلة صفراء

ويتابع ابو عبادة وصف اقليم الشام ومدنه ، ومنها بطياس عندما مر بها ، ورأى ما
فيها من مناظر الطبيعة ، ويطيأس قرية قرب حلب فلما نظر اليها رآها لكثرة ما فيها
من أشجار اللبلاب وفيه كأنها الطنائس المزركشة المتعددة الألوان ، فيعجب عندما
يرى انهمال المطر عليها وكأنه لؤلؤ ، وما نتج عن ذلك من نور أحمر وأخضر وفيه
وعندما يوافيه الندى يصبح كالسدر والجوهر على الأوراق فلو تقابله الشمس لرد
ضياءها لانعكاس أشعتها عليه ولنستمع اليه ان يقول ؛ " ٢ "

مرنا على بطياس وهي كأنها
كأن سقوط القطر فيها اذا انثى
وفي ارجواني من النور أحمر
سبائب عصب أو زراي عبقر " ٣ "

اليها سقوط اللؤلؤ الصحدر

يشاب بافرند من الروع أخضر " ٤ "

" ١ " الديوان ٦ / ١
" ٢ " الديوان ٩٨٠ / ٢
" ٣ " السبائب : جمع سبيبة وهي شقة من الثياب أي نوع كان . وقيل من الكتان .
العصب : شجر اللبلاب . والعصب أيضا نوع من البرود . الزراي : الطنائس
المخلة ، أي البسط . عبقر : زعموا انه موضع بالبادية كثير الجن ، وذكروا أنه
موضع بالجزيرة كان يعمل به الوشي . نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من جودة صنعة
" ٤ " الارجواني : صبغ أخضر . الافرنس : جوهر السيف ووشيه .

إذا ما التدى واقاه صبحا تطايلت أعالیه من در نشیر وجوهر
إذا قابلته الشمس رد ضیاءها علیها صقال الأتحوان المنور

ويعرج الشاعر الوصاف على رأي بطياس المرتفعة ورياضها المبسوطة ، فيصف
ما فيها من الأكم والنبات ، وطيب أرض تسقيها المزن ماءً نعيماً مداراً يحولها
الى جنان خضر ، ويفضل البحترى هذا المكان على وادي نعمان المعيسروف
بأشجاره ورياضه يقول : " ١ "

أحب الينا بدارة علوة من	بطياس والمشرفات من أكمه " ٢ "
بساط روس تجرى منابعه	في مرجحن الغمام ومنسجمه " ٣ "
يفضل في آسه ونرجسه	نعمان في طلحه وفي سلمه " ٤ "
أرض عذاة ومشرف أرج	وما مزن يفيض في شمسبه " ٥ "
هل أرد العذب من مناهله	أو أطرق النازلين في خيمه " ٦ "

هذا بعض ما قاله شاعرنا في بلاده " الشام " فقد رأينا أنه استوقفنا في مدنه وقراه
ويترك البحترى الشام متوجها الى وصف العراق فلنصحه في تجواله في وصفه .

" ١ " الديوان ٤ / ٢٠٦٣

" ٢ "	علوة : محبوبة الشاعر وهي " علوة بنت زريقة الحلبية " . الأكم : جمع أكمة وهي ما ارتفع من الأرض .
" ٣ "	ارجحن الشيء : مال واعتز . انسجم : انصب .
" ٤ "	الأس : الريحان . نعمان : واد بين مكة والطائف . الطلح : شجر ضخم له شوك . السلم : نوع من الشجر به شوك .
" ٥ "	أرض عذاة : طيبة . المشرف : المكان المرتفع . الأرج : ذو الرائحة الطيبة . الشيم : البرد .
" ٦ "	المناهل : جمع منهل وهو موضع الشرب .

(ب) وصف العراق

وكما وصف البحترى بلده الأول "الشام" فهو لا ينسى بلده الثاني "العراق" ذلك البلد الذي وجد فيه التكريم واحتل المنزلة الرفيعة بقدمه اليه ، ولما كان العراق مقر الخلافة فقد وجد الشاعر فيه ميدانا فسيحا لشعره الوصفى ، وقد سبق لنا وصفه للقصور العباسية .

يصف البحترى ربوة بالعراق ، ويذكر مرتبعا بين دير "العاقول" ودير "قنى" عامرا ببساتين الزيتون والنخل فيقول فيه : " ١ "

نزلوا ربوة العراق ارتيادا أى أرض أشد ذكرا وأسنى
بين دير العاقول مرتبعا حرف محته الى دير قنى " ٢ "

حيث بات الزيتون من فوقه النخل عليه ورق الحمام تغنى

ويصف بغداد وكيف استولت على ليه ، وجعلته ينسى الشام ، ويصف منزله عند دجلة ، ومياه النهر ، وما يعطوها من أمواج ، ويصف ما على جانبي النهر من نخيل وأطيار فيقول : " ٣ "

شغلت بغداد شوقى عن قرى عند ميثاء وعسرس وأرك " ٤ "

منزل لى بالعراق اخترته لم يشب حر يقينى فيه شك

وإذا دجلة مدت شأوها وجرت جرى اللجين المنسبك " ٥ "

عارضت ربيعى بغير مزيد بين أمواج تسامى وحبك

يتكها النخل فى حافاتهما بالقمارى تغنى أو تيك " ٦ "

حنيت تلك العراجين على لؤلؤ قنى وخوس كالشرك " ٧ "

- " ١ " الديوان ٤ : ٢١٤٧
- " ٢ " دير العاقول ، على شاطئ دجلة بالقرب من بغداد ، وبالقرب منه دير قنى .
- " ٣ " الديوان ٣ : ١٥٦٤
- " ٤ " الميثاء : الأرض اللينة ، ويقصد الشاعر ناحية "الشام" . عرس : بلد فى بريئة الشام من أعمال حلب . أرك : مدينة صغيرة فى طرف بريئة حلب ، قرب تدمر .
- " ٥ " اللجين : الفضة . المنسبك : المذاب ، المفرغ فى قالب . الشأو : الغاية يريد بلغ مدها فايته .
- " ٦ " يتكها : يمد ويتمايل . تيك : تيكى . القمارى : جمع القمري وهو نوع من الحمام .
- " ٧ " عراجين النخل : ما يبقى على النخل يا بسا بعد أن تقطعنه الشماريح .

المتوكلية :

المتوكلية مد ينقبنها الخليفة " المتوكل " قرب سامرا ، بنى بها عدة قصور
من بينها قصر الجعفرى - السابق الذكر - وقتل بها فى شهر شوال عام ٢٤٧ هـ
فتركها الناس الى سامراء .

والشاعر يصفها بالحسن والاكتمال ، وقد لعمرك قصورها كالكواكب تضىء للنارى
الطريق ، أما برها فهو كالبرود الموشاة ، فمن الخوذان الى الخزامى تعبق بالشذا
قد عصها الريح بفضل فوادى المزن التى تسوقها الرياح اللينة الرخيمسة
فتنبت أرضها كل قريب من الأزهار والثمار ترسل عليها الشمس أشعتها الذهبية
حينما ، وينهمر الغيث عليها حينما آخر فيقول : " ١ "

أرى المتوكلية قد تعالت	محاسنها وأكملت التماما
قصور الكواكب لامعات	يكسفن يضئ للنارى الظلاما
وبر مثل وشى البحر فيه	جنى الخوذان ينشر والخزامى " ٢ "
إذا برق الربيع له كسته	فوادى المزن والريح الرخامى " ٣ "
فرائب من فنون النبات فيها	جنى الزهر الفرادى والتؤامى " ٤ "
تضحكها الضحى طورا وطورا	عليها الغيث ينسجم انسجاما " ٥ "

ويصف هذه المدينة التى بنى المتوكل يصطاف بها ويرتبع ، فاذا هى فيحاء ،
شرقة تقوم على البر والبحر ، واسعة الأرجاء والأكفاف ، وما هو يقول : " ٦ "

يهنئك فى المتوكلية أنها	حسن المصيف بها وطاب المربع " ٧ "
فيحاء مشرقة يرن نسيمها	ميث تدرجها الرياح الأربع " ٨ "
وفسيحة الأكفاف ضاعفتسجها	بر لها مقضى وبحر مترع

-
- " ١ " الديوان ٣ : ٢٠١١
- " ٢ " الخزامى : نبات زهره أحمر فى أعلاه صفرة طيب الرائحة . الجنى : ما يجنى من ثمر أو غيره .
- " ٣ " الفوادى : جمع قادية وهى السحابة القادمة فى أول النهار . الرخامى : اللينة .
- " ٤ " التؤامى : المزدوجات .
- " ٥ " انسجم الغيث : انسكب . الضحى : يقصد شمس الضحى .
- " ٦ " الديوان ٢ : ١٣١١
- " ٧ " المربع : كالمربع الموضع الذى يقام فيه فى فصل الربيع .
- " ٨ " فيحاء : واسعة . الميث : الباردة . أو الأربع اللينة السهلة من فير رمل . الأجر : رمل مستولا ينبت .

المحمدية :

المحمدية قرية قرب سامراء سماها المتوكل "المحمدية" باسم
ابنه "محمد" المنتصر ، وكانت تعرف قبل ذلك بـ (دير أبي صفرة) ^١
وهم قوم من الخوارج .

وصف البحترى هذه القرية مبينا حسنها واشراقها في العيون
وتربتها تفوح منها رائحة طيبة اذا أمطرتها السماء ، واذا تطلع الناظر
الى أشجارها رآها خضراء مورقة شمرة لما يكتنفها من المياه . يقول : " ١ "

قد تم حسن المحمدية بالبد

ر الذي بالضياء يغمرها

مشرقة في العيون ضاحكة

مبدأها آتس ومحضرها

تبدي نسيم الكافور تربتها

اذا فدت والسماء تطورها " ٢ "

وفارساباد اذ تكنفها

مورق أشجارها وشمورها " ٣ "

جنة عدن متى حلت بها

شهدت أن القاطول كوثرها " ٤ "

وهكذا طفنا مع الشاعر هذ الديار ، حيث أعطانا صورا واضحة وجلية

عنها .

" ١ " الديوان ٢ : ١٠٧٥

" ٢ " الكافور : نبت له رائحة عطرية ، وطعمه مر .

" ٣ " فارساباد : لم تذكره معاجم البلدان ، وربما يكون جدولا أو مجرى ماء .

" ٤ " القاطول : نهر في موضع سامراء كأنه مقطوع من دجلة . عدن : اقامة .
حلت بها : أقمت بها .

٤- وصف الحيوانات

وصف الذئب :

قال البحرى يصف الذئب ولقاءه اياه : " ١ "

وليل كأن الصبح فى أخسرياته	وحاشاة نصل ضم افرنده غمد " ٢ "
تسريلته والذئب وسان هاجع	بميين ابن ليل ماله بالكرى عهد " ٣ "
أثير القطا الكدرى عن جثماته	وتألفنى فيه الثعالب والربسد " ٤ "
وأطلس مل العين يحمل زوره	وأضلاعه من جانبيه شوى نهد " ٥ "
له ذئب مثل الرشاء يجسره	ومتن كمتن القوس أعوج منأد " ٦ "
ظواه الطوى حتى استمر ميره	فما فيه الا العظم والروح والجلد " ٧ "
يقضى عصلا فى أسرتها الردى	كفضضة القورر أرعده البرد " ٨ "
سما لى وين من ردة الجوع مابه	بييدا لم تحسن بها عيشة رفسد " ٩ "
كلانلبها ذئب يحدث نفسه	بصاحبه والجد يتعمه الجدد " ١٠ "
عوى ثم أتعى فارتجزت فهجته	فأقبل مثل البرق يتبعسه الرعد " ١١ "

" ١ "	الديوان ٢ : ٧٤٢ - ٧٤٣
" ٢ "	حشاشة نصل : بقية سيف . افرنده السيف : جوهره ووشيه .
" ٣ "	تسريلته : لبيسته أو سرت فيه . وسان : ناعس . هاجع : نائم . ابن الليل : دائم السير فيه . أو اللسن الكرى : النوم الخفيف .
" ٤ "	أثير : أهيج . القطا : جمع قطاة وهى طائر فى حجم الحمام . الكدرى : ضرب من القطا يميل الى السواد والخبرة . جثماته : مراقده . الردى : جمع أريد وهو الأسد .
" ٥ "	الأطلس : الذئب فى لونه فبرة ضاربة الى سواد . مل العين : يملأ العين الناظر اليه لضخامته . الزور : أعلى وسط الصدر . الشوى : الأطراف . التهد : البارز .
" ٦ "	الرشاء : السيل . المتن : الظهر . منأد : معوج .
" ٧ "	الطوى : الجوع . استمر ميره : قوى بعد ضعف .
" ٨ "	الفضضة : صوت كسر العظام ، يريد أنه يحرك أنيابه ويحك بعضها ببعض .
" ٩ "	العصل : الأنياب المعوجة الواحد أعصل . أسرتها : خطوطها . الردى : الموت .
" ١٠ "	البرد : الذى أصابه البرد .
" ١١ "	سما لى : خرج لى وقصدنى . البيدا : الصحراء .
" ١٠ "	الجد : بالفتح الحظ وبالكسر : الاجتهاد . أتعمه : أشقاه .
" ١١ "	أتعى : جلس على مؤخرته . ارتجزت : رفعت صوتى .

فأوجرته خرقاً تحسب ريشها على كوكب ينقض والليل مسود " ١ "
 فما ازداد الأجرأة وصرامة وأيقنت أن الأمر منه هو الجد " ٢ "
 فأتبعتها أخرى فأضلت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد " ٣ "
 فخر وقد أوردته منهل الردى على ظمأ لو أنه عذب السورد
 وقمت فجمعت الحصى فاشتويته عليه وللرمضاً من تحته وقد
 ونلت خسيماً منه ثم تركته وأقلعت عنه وهو منعفر فرد " ٤ "

عزى معنى الأبيات :

لقى البحترى ذئبا فى بعض أسفاره ودارت بينهما معركة انتهت بانتصار الشاعر
 ابتداء وصفه بتصوير الجو الذى دارت فيه المعركة ، فقد كان شاعرا يسير فى أخريات
 الليل لا يهتدى الى مواقع أقدامه وهو يمشى ، فكان يثير القطا عن مراقده ، فى وقت
 مظلم لم يكن يمشى فيه الا الأسود والثعالب ، أما الذئب فلا عهد لها بالنوم حقها منه
 النعاس الخفيف كاللصوص ،

وليل كأن الصبح فى أخرياتنه حشاشة نصل ضم افرنده فمسد
 تسربلته والذئب وسانع حاجع بعين ابن ليل ما له بالكرى عهد
 أثير القطا الكدرى عن جثامته وتألفنى فيه الثالب والربيد

صورة الذئب :

ويصف الشاعر الذئب الذى لقيه بأنه مفبر طويل مهيب قوى الأعضاء بارزها
 له ذنب طويل كالحبل يجره وراءه ومثته قوس قد أمضه الجوع واشتد به فلم يعد
 الا جلد اعلى عظام تتردد فيه الريح ، وله أسنان وأنياب صلبة معوجة يسكن الموت
 فيها ، تصوت وتحتك كما يفعل القرور حين يبعده البرد القارس

وأطلس ملء العين يحمل زوره وأضلاعه من جانبه شوى نهد
 له ذنب مثل الرشاء يجره ومثن كمتن القوس أعوج منأد
 طواه الطوى حتى استمر مريره فما فيه الا العظم والرج والجلد
 يقضص عصلا فى أسرتها الردى كفضضة القرور أبعده السبرد

- " ١ " أوجرته : طمئنته • الخرقا : التيلة الشديدة أو السنان • تحسب ريشها :
 تظنها كوكبا منقضا له ريش •
 " ٢ " الصرامة : الضاء والشجاعة •
 " ٣ " أضللت نصلها : فبيت حد يدتها وأدخلتها • بحيث يكون اللب والرعب والحقد : القلب •
 " ٤ " الخسيس : الدنى • الحقسير • متعفر : مرغ فى التراب •

ويصور البحترى موقف الاثنين ، فكلاهما جائع يريد أن يفترس صاحبه والمجد هو صاحب الحظ منهما ،

سما لي وبي من شدة الجوع ما به بييداً لم تعرف بها عيشة رقد
كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه والجد يتعمه الجد

نشوب المعركة

ويصف الشاعر المعركة التي دارت بينهما وإذا بكل واحد منهما يستعد ويقابل عدوه ويتقدم الذئب قليلاً ثم يقعى على مؤخرته فيهبجه الشاعر ، فيقبل عليه كالبرق الخاطف يريد الفتك به ، ولكنه يسدد اليه ضربة لم تصب منه قتلاً ، فيشتد الذئب اقداًما ويزداد هجوماً ، فيتبع الشاعر الضربة الأولى بضربة سهم قوية قاتلة تستقر في قلبه فيخر صريعا ، فيسع البحترى ، ويجمع الحطب ويوقد النار ويشتويسه ويأكل منه شيئاً قليلاً ، ويتركه مرغاً بالتراب :

عوى ثم أقصى فارتجزت فهجته فأقرب مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاً تحسب ريشها على كوكب ينقى والليل مسود
فما ازداد الا جرأة وصرامة وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فأتبعها أخرى فأضلت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد
فخر وقد أوردته منهل الردى على ظمأ لو أنه عذب الورد
وقمت فجمعت الحما فاشتويته عليه وللرمضاء من تحته وقد
ونلت خميساً منه ثم تركته وأقلعت عنه وهو منعفر فرد

نظرة في الأبيات :

لقد أرانا الشاعر في هذه الابيات لون الذئب وعظامه ورهبتة ، وأسمعنا صوته كالرعد ، وحدد لنا هجومه السريع كالبرق الخاطف ، وكيف أطلق سهمه كالكوكب ينقى في واد الليل ، وقبل ذلك أسمعنا صوت أنياب هذا الذئب وكأنها اصطكاك أسنان المقرور ، وفي هذه الابيات يطابق بينه وبين الذئب كلاهما يضرب في مجاهل الصحراء وكلاهما جائع تتنابه عوامل الشر والخوف وفريزة حب البقاء تستولى على كل منهما انها صورة رائعة فريدة حيث تمثل الصراع النفسى من أجل الحياة ، كما استطاع الشاعر أن يوفق بين تنسيق أجزائها وأن يعبر عن أحاسيسه الباطنة ، واستطاع أيضا أن يدل على لماحيته الخاطفة التي تبدو في كثير من شعره كما يقول الصيرفي .

وذلك حين أطلق سهمه على الذئب فأصاب قلبه .

وفى هذه الأبيات تظهر الدقة والحركة وعمق الوجدان ، لأنه يعبر فيها عن حالة خبرها بنفسه . وفيها أيضا الألفاظ الموحية كقوله " يقضى عصلا كفضضة المقرر " . كما نرى الكناية اللطيفة فى قوله " بحيث يكون اللب والرعب والحقد " ونرى الجناس فى قوله " طواه الطوى " وفى قوله " يقضى كفضضة " وفى قوله " الجد كذلك . وفير ذلك من أنواع البديع . أما التشبيهات والاستعارات فأكثر من أن تعدد فى هذه الأبيات .

وأخيرا فقد وازن النقاد بين هذه الابيات وما قاله الفرزدق فى الذئب فوجدوا أن البحترى متفوق فى وصفه وهو يشبه رسم الشنفرى فى وصف اللون والجوع والهزال .

وصف الأسد :

وقال يصف الأسد ومنازلة الفتح بن خاقان له : " ١ "

وما نغم الحساد الا أصالة	لديك وفعلا أريحيا مهذبيا
وقد جربوا بالأمن منك عزيمة	فضلت بها السيف الحمام المجربيا
فداة لقيت الليث والليث مخدر	يحدد نابا للقاء ومخلبيا " ٢ "
يحصنه من نهر نيزك معقل	منيع تسامى فابه وتأشيبيا " ٣ "
يرود مغارا بالظواهر مكبيا	ويحتل روضا بالأباطح معشيبيا " ٤ "
اذا شاء فادى عانة أهدا على	عقائل سرب أو تقنص ريريريا " ٥ "
يجر الى أشباله كل شارق	عبيطا مدنى أو رميلا مخضبيا " ٦ "
ومن يبيع ظلما فى حريمك ينصرف	الى تلف أو يثن خزيان أخيبيا " ٧ "
شهدت لقد أنصفته يوم تنبرى	له مصلتا عضبا من البيس قضيبيا " ٨ "
فلم أر ضرفامين أمدق منكما	عراكا اذا الهيباة النكس كذبيا " ٩ "
هزبر مشى ييغى هزبرا وأقلب	من القوم يفضى باسل الوجه أقبيا " ١٠ "
أدل يشغب ثم هالته صولة	رآك لها أفضى جنانا وأشفيا " ١١ "
فأحجم لما لم يجد فيك مطعما	وأقدم لما لم يجد عنك مهربيا

- " ١ " الديوان ١ : ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
- " ٢ " مخدر : مستتر فى عرينه .
- " ٣ " نهر نيزك : نهر حفرة المتوكل ليروى حديقة الحيوان التى أنشأها . المعقل : المطجأ .
تأشب : التفت شجره واشتبك .
- " ٤ " يزود : أى يدور ويذهب ويجى . فى طلب الشىء . المقار : الكهف . المكب : المطمئن
بين الجبال . الظواهر : أعالي الأودية وأشرف الأراضين .
- " ٥ " فادى : بكر . العانة : القطيع من حمير الوحش . العقائل : الكرائم من الابل . الريرير :
القطيع من بقر الوحش .
- " ٦ " كل شارق : صباح كل يوم . العبيطه : الذبيحة تنحر وهى سمينة فتية من فيرعة .
الرميل : الملطخ بالدم .
- " ٧ " الحريم : كل موضع تجب حمايته والدفاع عنه .
- " ٨ " أصلت السيف : جرده من قمده . العضب والقضب : السيف الباتر .
- " ٩ " الضرفامان : الأسد والفتح . النكس : الضعيف والدنى الذى لا خير فيه . كذبيا :
هنا بمعنى جبن وأحجم .
- " ١٠ " الأقلب : من أسماء الأسد . وهو الشجاع العابس من الغضب والشجاعة .
- " ١١ " الشغب : كثرة الجلبة واللفظ المؤدى الى الشر . الجنان : القلب . أدل : اجترأ
وزها واختال .

فلم يخنسه أن كر نحوك مقبلا ولم ينجسه أن حاد عنك منكبا
 حملت عليه السيف لأعزمك أنثى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا
 وكنت متى تجمع يمينك تهتك الضرب سبة أولا تبقى للسيف مضربا

عزى أبيات الشاعر

وصف البحترى الأسد الذي لاقاه الفتح بن خاقان وبدأ أبياته بالخرزل
 وثنى بمدح الفتح ، وجعل الأسد يقيم في خدره ذوناب ومخلب حادين ، فقد
 اتخذ نهر نيزك حصنا له حيث تحف به الأشجار ، وكان صيده قريب منه يياكر
 القطعان فيصيد ويقتنى ما يشاء من حجر الوحش وبقره ، وأكرم ما في أسراب الطيما
 فيجلب إلى أشباله مع كل اشراقة شمس يوم صيدا ثمينا ولحما طريا يسحبه على الرمال
 فيختلط بها :

فداة لقيت الليث والليث مخدر يحد نابا للقاه ومخلبا
 يحصنه من نهر نيزك معقل منيع تساهى روضه وتأشبا
 يرود مغارا بالظواهر مكببا ويحتل روضا بالأباطح معشبا
 إذا شاء فادى عانة أو فدا على عقائل سرب أو تقتصر بربرا
 يجر إلى أشباله كل شارق عبيطا مدى أو رميلا مخضبا

وصف المعركة

ثم يبدأ الشاعر في وصف المعركة التي دارت رحاها بين الأسد والفتح ، فقد
 دخل الفتح مالا سيفه الصارم ، وأقبل عليه الأسد فأخذ الأسدان يقتتلان قتلا لا
 ميرا كل واحد منهما يريد الفتك بخصمه ، وأخذ الأسد يزار بصوت مرتفع مخيف ،
 معتقدا أنه يخيف الفتح ولكن جلبته لم تجد شيئا فهو أمام خصم عنيد ذي سطوة
 وقوة ، صادق العزم ثابت الجنان ، فحدثته نفسه بالفرار حين رأى أنه لا سبيل
 له للتغلب على الفتح ، ولكنه لم يجد وسيلة للهرب ، فأقدم على القتال ، ولكن
 اقدامه كان وبالا عليه ، فقد أقبل عليه الفتح شاهرا سيفه البتار بعزم لا يثنى
 ويبد مصمة ، ولا فرابة فهي عادته إذا قاتل هتك الضريبة وشقها فلا يبق عليها
 لشجاعته وقوته =

شهدت لقد أنصفته يوم تبى ، له مصلتا عضبا من البيض قضبا
 فلم أر ضرفامين أصدق منكما عراكا إذا الهيابة النكس كذبا

هزبر مشى يبغى هزبرا وأقلب
أدل بشغب تم هالته صولة
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا
فلم يرغبه أن كر نحوك قبلا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى
وكتت متى تجمع يمينك تهتكك الضريبة أولا تبق للسيف هزبرا
من القوم يغشى باسل الوجه ألقبا
رآك لها أمضى جنانا وأشغبنا
وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
ولم يرغبه أن حاد عنك منكبا
ولا يدك ارتدت ولا حده نيبا

نظرة في الأبيات :

بعد أن اثنى الشاعر على الفتح ، أعطانا وصفا للأسد العذى سوف ينازله فرسم لنا عرينه وسلاحه المتكون من الانياب والمخالب ثم اعطانا صورة عن قوته وقوت أشباله اليوى ، ثم وصف لنا المعركة التى دارت بين الضرفامين وشجاعة الفتح وصولاته وجولاته حتى أن الاسد لم يستطع أن يفلت منه فلم يجد بدا من الاقدام ، وأخيرا فتكه بـه والقضاء عليه ، وأن هذه صفة من صفاته .

وفى هذه الابيات تظهر نزعة تفصيلية تعنى بالجزئيات لذاتها كما أنها بالاستطراد . والبحترى يصف الأسد ليظهر قوته وبطشه ، وليظهر بصورة غير مباشرة قوة الفتح وبطشه تبعا لذلك . وحديث الشاعر عن فتك الأسد بالعانة يتصل اتصالا داخليا بغاية الوصف لأنه يمثل لنا القدرة على البطش عند هذا الأسد . كما نشاهد فى هذه الأبيات مظهرا من مظاهر البديع العباسى كهوله " فلم أرضرفامين " وقوله " هزبر مشى يبغى هزبرا " ونرى ذلك فى قوله " فأحجم وأقدم " والشاعر يعد فى أبياته الى الاسلوب القصصى وايراد الحوادث .

وقد وازن بعضهم بين أبيات البحترى هذه ، وبين مقاله المتنبى فى وصف لقائه بدر بن عمار للأسد والتي يقول منها :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه
لمن ادخرت الصارم المصقولا

فراى أن المتنبى أكثر توفيقا من يراعرنا حيث اتجه شاعرنا البحترى الى وصف أجمة الأسد وسعة رزقه بينما اتجه أبو الطيب الى وصف الأسد نفسه ، فصور زئيره المرعب ومنظره الراهيب ، وتوحشه ووحدته واعجابه بنفسه وتيهه وانصرافه الى شفاء ؛ فيظه ، وهذه الصفات أدخل فى تصوير الأسد رهيبا مخيفا فيكون ذلك أعقق تصويرا لشجاعة خصمه .

والمتمنى في وصف المعركة أيضا موفق أكثر من أبي عباد ة • فقد صور الأسد
في هجومه ووثوبه وعنى بذلك أكثر من البحترى كما أن المعانى التي جاء بها
البحترى ألم بها المتنبى وزاد عليها • وعلى كل فأبيات البحترى تعتبر احدى الليشيات
الثلاث في الأدب والشعر العربي •

وصف الخيول :

وقال البحترى يصف فرسا أهدي اليه من قصيدة يمدح بها محمدا بن

علي القمي : " ١ "

وأفر في الزمن البهيم محجل	قد رحمت منه على أفر محجل " ٢ "
كالهيكل المبنى الأنيب	في الحسن جاء كصورة في هيكل
وافى الضلوع يشد عقد جزاه	يوم اللقاء على معص مخسول " ٣ "
أخواله للرستمين بفارس	وجدوده للتبعين بموكسل " ٤ "
يهوى كما تهوى العقاب وقد رأ	صيदा ويتنصب انتصاب الأجدل
تتوهم الجوزاء في أرسافه	والبدر فوق جبينه المتهلل " ٥ "
متوجس برقيقتين كأنما	تريان من ورق عليه موصل " ٥ "
ذنبهما سحب الرداء يذب عن	عرف وعرف كالقناع المسبيل " ٦ "
جدلان ينفس عذرة في فصرة	يقق تسيل حجولها في جنسدل " ٧ "
كالزائح النشوان أكثر مشيه	عرضا على المثن البعيد الأطول " ٨ "
ذهب الأعالي حيث تذهب مقلة	فيه بناظرها حديد الأسفل

" ١ " الديوان : ٣ : ١٧٤٤ - ١٧٤٥ - ١٧٤٦ - ١٧٤٧ - ١٧٤٨

- " ٢ " الأفر : من القوم الكريم القعال والسيد الشريف • ومن الخيل : ما كان بجبهته بيان
ويقصد في صدر البيت "مدوحه" وفي عجز البيت "الفرس" الذي أهداه اليه •
- " ٣ " المعص المخول : كريم الأعمام والأخوال •
- " ٤ " الرستمين : نسبة الي رستم وهو اسم فارسي تسمى به بعض عظام الفرس •
التبعين : جمع تبع أقبال اليمن • موكل : مكان كانت الملوك اليمنية تنزله •
- " ٥ " الرقيقتين : الاذنين • التوجس : التسمع الي الصوت الخفي •
- " ٦ " العرف : الشعر النابت في محذب رقبة الفرس •
- " ٧ " العذرة : الخصلة من الشعر على اهل الفرس • الفرة : بيان في جهته •
- " ٨ " النشوان : السكران • عرضا : عرض الفرس عرضا : ذهب في عدوه •

صافى الأديم كأنما عنيت له
 وكأنما نفضت عليه صبغها
 لبس القنوة مزعفرا ومعصفرا
 وتخاله كسي الخدود نواعما
 وتراه يسطع في الغبار لهيبه
 وتظن ريحان الشباب يروعه
 هزج الصهيل كأن في نغماته
 ملك المعيون فان بدا أعطينه
 ما ان يعاف قذى ولو أوردته
 لصفاً نقيته هذاوس صيقل "١"
 صهباً للبردان أو قطربل "٢"
 يد في فراح كأنه في خيقل "٣"
 مهما تواصلها بلحظ تخجل
 لونا وشدا كالحرير المشعل "٤"
 من جنة أو نشوة أو أفكل "٥"
 نبرات معبد في الثقيل الأول "٦"
 نظر المحب الى الحبيب القبل
 يوما خلائق حمدويه الأحول "٧"

عوى الأبيات وشرحها

أهدى محمد بن علي القمي فرسا للبحري فما كان منه الا أن وصف هذا الفرس
 وهو من حمدويه وهو المهدي ، فهذا الفرس أقر مجل القوادم ، وهو كالهيسكل
 في ضخامته وحسنه بكرم الأصول فأخواله بفارس وجدوده في اليمن ، ما يمدل
 على عراقه أصله ، وإذا أمر عفهو كالعقاب يتقش على قريسته ويقف منتصباً
 كالصقر المترقب ، وإذا نظرت الى أرسافه وجبينه رأيت نورا كالبدري يسمع الأصوات
 المخفية ، أما ذنبه فطول يسحبه كالرداء ، وعرقه ينسبل على رقبتة كالقناع تسراه
 جذلان ينفض خصل الشعر على كاهله ، وفرفته يريده البياض ، كالنشوان في جريسه

- "١" الأديم : الجلد ، النقبة ، اللون ، المداوس : جمع مدوس وهي الحفلة
 التي يصقل بها السيف ، الصيقل : الذي يجلو السيف
 "٢" الصهباء : الخمر ، البردان وقطربل : قريتان مشهورتان بصنع الخمر
 "٣" القنوة : شدة الحر ، مزعفرا : صبوغ بالزعفران وهونيات أصفر
 معصفرا : صبوغ بالعصفر وهونيات يستخرج منه صبغ أحمر ، خيقل ، القميص
 يلا يمين
 "٤" الشد : ارتفاع النار
 "٥" الجنة : الجنون ، الأفكل : الرعدة
 "٦" الهزج : الذي يتنغم في فثائه ، الصهيل : صوت الفرس ، معبد : هو
 معبد بن وهب نايفه الغناء في العصر الاموي توفي ١٢٦ هـ
 الثقيل الأول : ثلاث فقرات متتالية ثقال في الايقاعات الموسيقية العربية
 "٧" القذى : الوسخ يسقط في الماء ، حمدويه الأحول : رجل كان على عداوة مع
 مهدي هذا الفرس الى الشاعر وهو "محمد بن علي بن عيسى الكاتب"

وأما جلده فصاف صفاً السيوف في حمة كخمر معتقة .

ويصف الشاعر هذا الفرس بأنه شديد الحمرة المخلوطة بالزعفران والعصفور
ويصفه كأنه لابس قميصاً بلا كمين ، وإذا نظرت إلى خدوده رأيتها نواعماً يصيبك
الخلجل عند لحظها ، وإذا رأيتها يجرى في الغبار تظنه شعلة نار أو برقاً غاطفاً
أما صهيله فكان لموسيقى له رنين جميل جمال أنغام المغنى " معبد " وأنه ليسحر
العيون حين تنظر إليه حتى ليقيدها به كما يقيدها المحبوب فلا تلتفت يمنة ولا
يسرة . وفي الختام يمرس الشاعر بهجاءً حمدويه الأحول لما بينه وبين القمى من
عداوة .

هكذا نرى أن الشاعر قد بالغ في وصف هذا الفرس فارتقى به إلى الدرجات
التي يقف دونها أصحاب الهيبة والعظمة ، وجعله يزاحم المغنين .

أما أسلوب الشاعر فتكثر فيه الصور البيانية والمحسنات البديعية ، فقد شبه
فرسه بالهيكل ضخامة ، وبالعقاب انقضاضاً ، وبالصقر انتصاباً ، كما شبه عرفه
بالقناع المسبل ، وصفاء جلده بصفاء السيوف . . . الخ .
كما نرى الجناس بين " يهوى وتهوى " وبين " ينتصب وانتصاب " وغير ذلك .

وفي أبيات أخرى لا يهدى إليه فرساً وإنما هو يطلبه ويصفه منوهاً عن الشروط
التي يحبذ أن يشتمل عليها وتتوافر به ويتوجه بطلبه إلى محمد بن حميد الطوسي
والفرس من هذا الفرس هو أن البحترى يريد فزو الأعداء فيأخذ يحدد نوعه بتحديد
أشكاله وألوانه ، ويذهب مغالياً بشرح تلك الأوصاف فيصفه بأنه ضامر مفلوف الجسم
تكمل فيه كل الصفات التي تساعد على الجري السريع ، أما لونه فليكن اما أشقر
يسطع كالنوكب المضيء تكسو أعطافه حلة مزرجة بالدم لكثرة المعارك التي خاضها
والحروب التي شارك في فطارها يقول : " ١ "

فأعن على فزو العدو بمنظمو	أحشاؤه طى الكتاب المدرج " ٢ "
أما بأشقر ساطع أفشى الوقى	منه بمثل الكوكب المتأجج " ٣ "
متسريل شية طلت أعطافه	يوم فما تلقاه فير مخرج " ٤ "

" ١ " الديوان ١ : ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤

" ٢ " المدرج : الملقوف . " ٣ " المتأجج : المطهيب .

" ٤ " متسريل : لابس للسروال . والشية : مصدر وشى الثوب : حسنه بألوان ونقشه .
الأعطاف : الجوانب . المخرج : المصبوغ بالدم .

أويرده أدهم اللون يعنه السواد الصافي يندفع هائجا تحت رآكبه لأخف
لمسة من لمسات السوط كاندفاع الرياح المشتعلة بالعرفج ، بل يزيد في جريه
الى أن يصل الى حد الطيران لا يثير وراءه أى أثر للخبار ولو جرى في رمال
عالج لسرعة جريه وخفة وقع أقدامه على الأرض

أو أدهم صافي السواد كأنه تحت الكنى مظهر بيرندج " ٥ "
ضرم يهيج السوط من شؤ بوسه هيج الجناثب من حريق العرفج " ٦ "
خفت مواقع وطنه فلو أنسه يجرى برملة عالج لم يدهج " ٧ "

ويتابع الشاعر معددا أوصاف هذا الفرس الذى يطلبه ، فيريده اما أن يكسون
أشهب اللون يتألق خلفه متن شبيه بالما الغزير المترجرج ، تضع حجوله فسى
بياض جسمه ، ويحلى عنقه شعر أسود ينسبل على رقبته الطويلة فيزيد من حسنه
أما لون حافره فهو لون الفيروز ،

أو أشهب يقق يضى وراءه متن كمتن اللجة المترجرج " ٨ "
يخفى الحجول ولولب من لبانه فى أبيض متألق كالدملج " ٩ "
أوفى بعرف أسود متغرب فيما يليه وحافر فيروز جسى " ١٠ "

واما أن يكون هذا الفرس أبلق اللون يبهى العيون عندما تنظر اليه لجماله
ما يجعل كرام الخيل تحسده على حسن هذا المنظر اذا ما رآته يختال
فى سيره معجبا بالحلة التى تزينه ، والتى لاسبيل لمحاكاة

- " ٥ " الأدهم : الأسود . الكنى : الشجاع ولايس السلاح . اليرندج : نوع من الأصباغ .
" ٦ " ضرم : شديد الغضب . الشؤبوب : شدة اندفاع كل شئ . الجناثب : جمع جنوب وهى : ريج الشمال .
" ٧ " عالج : موضع به رمل . أرهج : أثار الخبار .
" ٨ " الأشهب هنا : الأبيض . يقق : شديد البياض . المتن : الظهر .
" ٩ " الحجول : بياض القوائم . اللبان : الصدر . الدملج : حلى يلبس فى المعصم .
" ١٠ " أوفى بالشئ : جاء به تاما . العرف : الشعر التابت فى محذب رقبة الفرس . متغرب : مسود حالك السواد . النيروزج : حجر كريم أخضر .

نسجها وإيجادها :—

أو أبلق يبقى العيون إذا بدا من كل لون معجب بنموذج " ١ "

جدلان تحسده الجياد إذا مشى عننا بأحسن حلة لم تنسج " ٢ "

الشاعر

هكذا عدد لنا أو بالأحرى للطوس أوصاف الفرس الذي يرقب الحصول عليه ما يدل على أنه خبير ماهر بمعرفة الخيل فهو يعدد النعوت الكثيرة ويعرضها عرضاً فنياً مشتملاً على الأوصاف المستجادة في الجياد .

وقد وصى أبياته بأنواع البديع . كما نلاحظ الاستعارات وغيرها من الصور البيانية والمجازات التي ساعدت على التصوير والحركة . وقد استخدم الشاعر كثيراً من الألفاظ الدقيقة في مواضعها .

ووصف البحترى جواداً آخر أهدى إليه وأضفى عليه أوصافاً قريبة الشبه ،

بالفرس السابق يقول : " ٣ "

أما الجواد فقد بلونا يومه	وكفى بيوم مخبراً عن عامه
جاري الجياد فطار عن أوهامها	سبقاً وكان يطير عن أوهامه
جدلان تلتطمه جوانب فسرة	جاءت مجىء البدر عند تمامه
واسود ثم صفت لعيني ناظر	جنباته فأضاء في اظلامه
مالت جوانب عرقه فكانها	عذبات أثل مال تحت حمامه
ومقدم الأذنين تحسب أنسه	بهما يرى الشخص الذي لامه

يختال في استعراضه ويكب في اسـتـدباره ويشب في استقدامه " ٤ "

وإذا التقى الثفر القصير وراءه فالطول حظ عنانه وحزامه " ٥ "

وكان فارسه وراءه قدالسه ردف فلست تراه من قداه " ٦ "

لانت معاطفه فخيّل أنسه للخيزران مناسب لعظامه

في شعلة كالشيب للاح بفرقى فزل لها عن شيبه بخرامه

ومردد بين القوائى يجتبى ماشاً من ألف القرى ولامه

" ١ " الأبلق : مافي لونه سواد وبياض . " ٢ " العنن : الاعتراض في المشى . يريد شيئاً مختلاً

" ٣ " الديوان ٣ : ١٩٨٩ - ١٩٩٠ - ١٩٩١ - ١٩٩٢

" ٤ " يكب : يتقلب ، يكرر النظر إلى الارض . يشب : ينشط .

" ٥ " الثفر : السير الذي في مؤخر السرج .

" ٦ " القدال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

وكان صهته اذا استعلت بها رعد يققع في اذحام فمامه
مثل العقاب انقى من عليائه في باقر الصان أو أرامه " ١ "
أو كالضراب فدا يبارى صحبه بسواد نقته وحسن قوامه

ويتابع الشاعر وصف الخيول ، فيصف الخيل التي أوصلته الى الشام ويصور حركتها
وسرعتهما في السير ان يقول : " ٢ "

أزجر أنا جرد الخيل أجشمها سيرا الى الشام افذاذ او اجانا " ٣ "
خوس العيون انه أيد تسرى مثلت بالأرس أو أجهفت بالليل اجاتا " ٤ "
د واقع في انخراق البرق موعدها مدافع البحر من بيروت أو يافسا
فهو يصور سرعة هذه الخيول ، وكيف أجهدت لها التعب وكفى عن ذلك بخصوص

العيون . .

وقال يصفها أيضا من قصيدة طبع بها يوسف بن محمد : " ٥ "

فلم أر مثل الخيل أبقى على السرى ولا مثلنا أحنى عليها وأشفقا
وما الحسن إلا أن تراها مغشيرة تجاذ بنا حبلان من الصبح أبرقا " ٦ "
فكم من عظيم أدركته صدورها فبات فنيا ثم أصبح مطلقا
ووصف كذلك فرسا ضاروا ضخم القوائم من نسل أعوج فرس بنى هلال ، قويا
غير موهن مختالا في جريه يوج في ضياء شيبه كما تخرج رؤوس صامير الدروع على
الشجمان ، طويل العنق كقائمة البئر ، ورأسه كالبكرة من الخشب أو المعور : " ٧ "
مادا توي في مدح عييل الشوي من نسل أعوج كالشهاب اللائح " ٨ "
لاتره الجذع الذي يعتنقه وهن الكلال وليس كل القسارح " ٩ "

" ١ " الباقرة جماعة البقر . الأرام ، الظبا ، البيض ، الصان ، موضع قيل انه أرض فليظة
دون الجبل لبني حنظلة . وقيل : جبل في أرض تميم . وقيل : موضع من نواحي الشام .

" ٢ " الديوان ٣ : ١٣٨١

" ٣ " زجره : ظرده صائحاه . جرد : جمع جرد وهو الذي رقى شعره وقصر . والأجرد أيضا
الذي يسبق الخيل ويتجرد عنها لسرعته . الأقدان : الاسراع في السير . الايجاف :
العدو والسير السريع .

" ٤ " خوس العيون : فائزة العيون ، كناية عن الاجهاد . السرى : سير الليل .

" ٥ " الديوان ٣ : ١٥٠٤ " ٦ " الأبرق : الخيل فيه لوانان وكل ما اجتمع فيه
بياض وسواد . " ٧ " الديوان ١ : ٤٦٩

" ٨ " المدح : الضامر . العييل : الضخم . الشوي : القوائم . أعوج : فرس بنى هلال المشهور .

" ٩ " الجذع والقارح : يقال في ترتيب سنى الفرس ، ففي السنة الأولى : حولي . ثم جذع
ثم شني ثم رباع ثم قارح .

عنق كهاثة القلب تعطفست	أودا ورأس مثل قعبو الماتح " ١ "
يختال في شية بموج ضياؤها	موج القتير على الكنى الرامح " ٢ "
ووصف الشاعر فرسا من قصيدة مدح	بها الشاه بن ميكال ؛ " ٣ "
فتناس من لم ترج رجعة وده	ووصاله وتعزغن ذكراه
بمجنب رحب الفروج مشذب	نابى القذال حديدة أذناه " ٤ "
صافى السبيب قفص لم تنخزل	ضه القطاة ولم يخنه شظاه " ٥ "
صافى الأديم كأن فرة وجهه	فلق الصباح انجاب عنه دجاه
يجرى اذا جرت الجياد على الونى	فييد أولى جريها أخسراه " ٦ "
ووصف أيضا فرسا أدهم اللون فقال ؛	" ٧ "
بأدهم كالظلام أفر يجلو	بغرفته دياجير الظلام
تقدم في العنان فهد منه	وضبر فاستزاد من الحزام " ٨ "
ترى أحجاله يصعدن فيه	صعود البرق في الفيم الجهام
وقال يصف الحلبة والخيل ؛ " ٩ "	
ياحسن مبدى الخيل في يكوورها	تلوح كالأنجم في ديجورها
كأنما أبدع في تشهـيرها	مصور حسن من تصويرها
تحمل فريئنا على ظمـورها	في السرق المنقوش من حريرها
ان حاذروا النبوة من نفورها	أهـووا بأيد يهم الى نحورها
كأنها والحبل في صدورها	أجادل تنهـى في سيورها
مرت تيارى الريح في مرورها	والشمس قد فاب ضيا نورها
في الريح الساطع من تنويرها	حتى اذا أصفت الى مديرها
في حلبة تضحك عن بدورها	صار الرجال شسرقا لسورها

" ١ " الأود ؛ الاعوجاج . القعوه البكرة من الخشب أو الصور من الحديد . الماتح ؛ المستقى .

- " ٢ " الشية ؛ كل لون يخالف معظم لون الفرس . القتير ؛ رؤوس سامير الدروع . الكنى ؛ الشجاع .
 " ٣ " الديوان ٤ ؛ ٢٤٣١ - ٢٤٣٢ . " ٤ " المجنب ؛ من التجنيب وهو انحناء وتوتير
 في رجل الفرس . والمجنب ؛ المجنوب ؛ أى القود . الفروج ؛ ما بين قوائم الدابة .
 الفرس المشذب ؛ الطويل القليل اللحم . القذال من الفرس معقد العذار خلف الناصية .
 " ٥ " السبيب ؛ شعر الذنب والعرف والناصية . القفص المشمر الطويل القوائم
 منظم البطن . تنخزل ؛ تتراجع متناقلة . القاطاة ؛ قعد الرديف من الدابة .
 " ٦ " الونى ؛ التعب . " ٧ " الديوان ٣ ؛ ٢٠٣٢ " ٨ " ضبر الفرس جمع قوائمه ووثب .
 " ٩ " الديوان ٢ ؛ ١٠٤٣

وصف الخيل وبطولة أبي سعيد الثغرى :

كان أبو سعيد الثغرى عاملاً للعباسيين على أرمينية ، وكان شديد اليأس على الروم ، حاربهم وطاردهم ببسالة وبطولة ، وكانوا إذا ذكروا لهم اسم هذا البطل أخذتهم الراجفة من هول النكبات التي ألحقها بهم ، بلغ ذلك حتى أن الأمهات يخوفن أطفالهن باسمه ، فإذا بكى الطفل قلن له : جاء أبو سعيد ، فيكف عن البكاء من توه . ولقد وصف شاعرنا بطولة أبي سعيد هذا كما وصف الخيل : " ١ "

خوفوا باسمك الصبي فعادت حركات البكاء منه سكونا
ويصف وقعة عقرقس ، فيصور اذلال أبي سعيد الروم ، ويقول انهم لن ينجوا منه
ولو اعتصموا بالنجوم .

ربما وقعة شملت بها الروم فباتوا أدلة خاضعينا
قد أمنا أن يأمنوك على حال ولو صيروا النجوم حصونا
ثم يصف الخيل العابسة في يومها العابس يمتطي صهواتها الدارعون يجوسون
خلال بلاد الروم ، ولطول السير أصبحن هزيلات ضئيلات كوعول الجبال ولاقـسرون
لهن سوى الرماح .

وتوافت خيلك من أرض طرسو من وقاليقلا بأرد تدوننا " ٢ "
عابسات يحملن يوماً عبوسنا لأناس عن خطبه فافلينا
زرن بالدارعين أهل البقلا ر فأجلوا عن صافرى صافرينا " ٣ "
قد طواهن طيهن الفياسى واكتسين الوجيفحتى عرينا
كوعول الجبال رحن وما يملك من الاصح الرماح قرونا
جلنا في يابس التراب فما رمـ سن طعاناحتى وطئن الطينا
ويتابع البحترى وصفه فيصف ظفر أبي سعيد بعقرقس واستيلاءه عليها ؛
ونغير الى عقرقس أنفسـ ت فكنت المظفر الميمونا " ٤ "

- " ١ " الديوان ٢١٦٦ / ٤
" ٢ " طرسوس : مدينة في تركيا . قاليقلا : بأرمينية العظمى . أرد ندون : بلدة في بلاد الروم .
" ٣ " الدارعون : لابسو الدروع . البقلا : قال ياقوت : موضع بشقراذ ربيجان . صافرى : هي صافرة في بلاد الروم .
" ٤ " النفير : قيام عامة الناس لقتال الأعداء . عقرقس : واد في بلاد الروم في آسيا الصغرى .

ووصف البحترى البفل فرآه دقيق الخصر ضامر البطن شطره للخيل وشرطه الآخر للبيغال ، متعصبا للضبيب ولفرس بنى هلال ، وجعله كالمدرع الذى أمه أشرف من أبيه . أما لونه فيصف الرماد ، وظهره عريض لو وضع عليه الزئبق لثبت ولم يتحرك ، وقوائمه قوية تخوض ما أمامها بقوة : " ١ "

وأقرب نهيد المصواهل شطره	يوم الفخار وشرطه للشحج " ٢ "
خرق يتيه على أبيه ويدعسى	عصبية لبني الضبيب وأعوج " ٣ "
مثل المدرع جاء بين عمومة	فى فافق وخرولة فى الخيزج " ٤ "
لا ديزج يصف الرماد ولم أجد	حالا تحسن من روا" الديزج " ٥ "
وعريض أعلى المتن لو عليته	بالزئبق الضهال لم يترجرج
خاضت قوائمه الوثيق بناؤها	أمواج تحنيب بهن مدرج " ٦ "

-
- " ١ " الديوان ١ : ٤٠٤ - ٤٠٥
- " ٢ " الأقب : من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن . النهيد : الشىء المرتفع والفرس : الحسن الجسيم . المصواهل : الخيل . الشحج : البيغال .
- " ٣ " الخرق : الكريم . الضبيب : فرس حسان بن حنظلة الطائى ، وهو الذى كسان حمل عليه كسرى أبرويز حين انهزم من بهرام يوم النهروان ؛ أعوج : فرس بنى هلال تنسب اليه الأعوجيات . وليس فى العرب فحل أشهر ولا أكثر منه نسلا .
- " ٤ " المدرع : الذى أمه أشرف من أبيه . فافق : قبيلة من الأزد .
- " ٥ " الديزج : من الخيل الذى لونه بين لونين فير خالص .
- " ٦ " التحنيب : أحد يدا بى وظيفى يدي الفرسان .

وصف الناقة :

وصف البحترى الناقة وأدخلها ضمن شعر المدح على عادة الشعراء القدماء
ففي أبيات يصفها بأنها نجبية تسرع في سيرها وأنه ركب الأبل البيسى فى ليل
قمر وسارت فى صحراء واسعة ، فقااست من هذا السير العناء والاجهاد لطول
الليل وما تجشمته من أخطار ومشاق كقوله : " ١ "

لقد علمت عيدية العيس أننى أجب اذا نام الهدان وأعنىق " ٢ "
خرجنا بها فى البيسى يضا فلم نر ال عد آدى الا وهى منهن أمحق " ٣ "
هشمن الى ابن الهاشمية أوجها عوايس للبيدا ما تتطلق " ٤ "
يقاسين ليلادون قاسان لم تكسد وأخره من يعد قطريه تلحق " ٥ "

ويصفها فى موضع آخر بأنها تسير سيرا حثيثا تخيط الظلام فى الليل الدامسى

عبر الجبال الوعرة والسهول حتى تصل بسلام يقول : " ٦ "

اذا ما المطا يافلن فرضة نعمه تواهقن لاستقبال واد يسباعه " ٧ "
فكم جبل وعمر خبطن قنانه ومنخفض سهل مثلن بقاعه " ٨ "

وفى أبيات أخرى يصف ما أصابها من التعب والضى لطول سراها وماعانتسه

من وعثاء السفر الطويل الذى لا ينتهى ، ويصفها بالنحول والهزال حتى ركانهها
أصبحت سرايا ، وانها لتشبه القسي المنحنية بل هى أكثر نحولا نهى كالأسهم ويتمادى
بها الاجهاد والهزال حتى تغدو كالأوتار . يقول " ٩ "

" ١ " الديوان ٣ : ١٤٩٣

" ٢ " العيدية : النجائب نسية الى فحل يقال له العيد . أجب : من خيب الفرس
فى عدوه . وهو أن راجح بين يديه ورجليه أى يقوم على احدهما مرة وعلى
الأخرى مرة ثانية . الهدان : الأحق أو الثقيل فى الحرب . أعنىق : سارت
التأبة سيرا واسعا فسيحا .

" ٣ " البيسى الأولى : الليالى البيسى المقمرة . والثانية : الأبل . الدآدى : ليالى
الصاق وهى الليالى الثلاث فى آخر الشهر .

" ٤ " هشم الشىء : كسره .

" ٥ " قاسان : مدينة ببلا ما وراء النهر .

" ٦ " الديوان ٢ : ١٣١٧

" ٧ " فلن : سرن سيرا سريعا . فرضة نعم : بشط العرب ، والفرضة : الميناء .
تواهقن : مددن أعناقهن . وادى السباع : واد بطريق الرقة . القنان : قتل الجبل .

" ٨ " خبط الشىء : وطئه وطئا شديدا . القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها
الجبال .

" ٩ " الديوان ٢ : ٩٨٧

وخذان القلايس حولاً اذا قسا بلن حولاً من أنجم الأسحار " ١ "
 يتفرقون كالسراب وقد خض من فطارا من السراب الجارى
 كالقسي المعطفات بل الأس سهم مبرية بل الأوتار

قال ابن الأثير فى كتابه المثل الصائر عن هذه الأبيات " ألا ترى أنه
 رقى فى تشبيه تحولها من الأدنى الى الأعلى فشبها أولاً بالقسي ثم بالأسهم
 المبرية ، وتلك أبلغ فى التحول ، ثم بالأوتار وهى أبلغ فى التحول
 من الأسهم " ٢ " .

" ١ " الوجدان ؛ اسراع البعير فى السير حتى يرمى بقوائمه كالنعامة .
 القلايس ؛ جمع قلوبى وهى من الابل الطويلة القوائم أو الشابة .
 حول ؛ الأولى جمع حائل وهى المتغيرة اللون . والثانية ؛ جمع حولاء وهى التى
 بعينها حول .
 " ٢ " المثل ٢ : ٣٦

٥ - وصف المعارك والسيف
 XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

قال البحترى يصف معركة بحرية قادها أحمد بن دينار ضد الروم وقد اقتتحها بمدح ابن دينار يقول في مطلعها : " ١ "

وما حاك من وشى الرياح المنشر " ٢ "	ألم تر تغليس الريح المبكر
فدا المركب الميمون تحت المظفر " ٣ "	الى أن يقول : قدوت على الميمون صباحا وانما
تشوف من هادي حسان مشهور " ٤ "	أطل بعظفيه ومر كأمنا
رأيت خطيبا في ذؤابة منير " ٥ "	إذا زمجر النوتى فوق علاسته
وفوق السماط للعظيم المؤمر " ٦ "	يفضون ذون الاشتيام عيونهم
جناحا عقاب في السماء مهجر " ٧ "	إذا عصفت فيه الجنوب اعلى لها
تلفع في أثناء برود مهبجر " ٨ "	إذا ما انكفا في هبوة الماء غلته
كغوس الردى من دارعين وحسبر " ٩ "	وحولك ركابون للهول عاقروا
إذا أصلتوا حد الحديد المذكر " ١٠ "	تميل المنايا حيث مالت أكهم
ليقلع الا عن شواء مقبتر " ١١ "	إذا رشقوا بالنار لميك رشقمهم
ضراب كايقاد اللظى المتسعر " ١٢ "	صدمت بهم صهب العثانين دونهم
سحائب صيف من جهام ومطبر " ١٣ "	يسوقون أسطولا كأن سفينسه

" ١ " الديوان ٢ : ٩٨٠

" ٢ " التغليس : ظلمة الليل وسواده . النشر : الرائحة الطيبة والكلاً وهو المراد هنا .

" ٣ " الميمون : اسم المركب الخاص بأحمد بن دينار .

" ٤ " تشوف : أطل . الهادي : العنق .

" ٥ " زمجر / صوت . النوتى : ملاح السفينة الذى يديرها في البحر . العلاة : سندا

الحداد ، وأراد به الشاعر البرج وقد اعتلاه ريان السفينه .

" ٦ " الاشتيام : رئيس المركب .

" ٧ " العقاب : طائر من الجوارح . المهجر : السائر في الحر الشديد .

" ٨ " انكفا : مال وانكب . هبوة الماء : ما ارتفع من الماء . الأثناء : طيات المحير . الموش :

" ٩ " الحسر : جمع أسر وهو المجرد من الدرور . ضد الدارع .

" ١٠ " أصلت السيف : جرده من فمده . الحديد المذكر : السيف الصارم .

" ١١ " الشواء : ماشوى من اللحم وفيه . المقتر : ذوالقتار وهو الدخان والرائحة

المنبعثة من الشواء .

" ١٢ " صهب العثانين : شقر اللحن وهم الروم .

" ١٣ " الاسطول : مجموعة السفن . السحب الجهم : التى لا تحمل مطرا .

كأن ضجيج البحر بين رماحهم
تقارب من زحفهم فكأنما
فما رمّت حتى أجلت الحرب عن ^{طلّى}
على حين لا تقع تطوحه الصبا
وكت ابن كسرى قبل ذاك وبعده
جدحت له الموت الذعاف فعافه
مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها
إذا الموج لم يبلغه ادراك عينه
تعلق بالأرض الكبيرة بعد ما

إذا اختلفت ترجيع عود مجرجر " ١ "
تؤلف من أعناق وحش منفر
مقطعة فيهم وهام مطير " ٢ "
ولا أرى تفسى للصرع القطر
مليا بأن توهى صفاة ابن قيصر " ٣ "
وطار على ألواح شطب مسمر " ٤ "
عليه ومن يول الصنيفة يشكر
ثنى في انحدار الموج لحظة أخذر " ٥ "
تنقصه جرى الندى المتمطر " ٦ "

عربي معنى الأبيات :

أرسل المتوكل اسطولا بحريا بقيادة أحمد بن دينار لحرب الروم سنة ٢٢٢ هـ فمدح
البحترى القائد ، كما وصف الحرب وأبطالها وما حققوه من انتصارات على الاعداء ، كما
وصف انهزام الروم وهروب قائدهم . والشاعر يبدأ قصيدته بذكر الربيع ثم ينتقل الى مدح
ابن دينار ويذكر ولايته على البحر وكرمه ، وشجاعته وصلابة صدره ، ثم يبدأ بوصف
الاسطول ويفتح وصفه بوصف سفينة القائد ويذكر أن اسمها " الميمون " ويحدد الصباح
موعدا لانطلاق هذه الاسطول . كما يصف شاعرنا مركب القيادة فيراه عاليا مشرفا
كأن من فوقه فارسا على جواد ، وهذا النوتى يزجر كالخطيب من على المنبر ويصوّر
جنود البحر في نظامهم واصطفافهم لأمرهم يفضون احتراماً له

قدوت على الميمون صبحا وانما فدا المركب الميمون تحت المظفر
إذا زجر النوتى فوق علا تـه رأيت خطيبا في ذؤابة منـبر

- " ١ " العود : المسن من الابل . المجرجر : من جرجر البعير إذا ردد صوته في حنجرتة .
" ٢ " مارمت : مازلت . الطلى : الأعناق جمع طلية . الهام : الرؤوس .
" ٣ " يشير البحترى الى انتساب ابن دينار الى أصل فارسي . أماعده وه فالى أصل رومي .
" ٤ " جدحت : قدمت . الموت الذعاف : السريح . الشطب الضمر : يقصد السفينة حيث
تجنب الموت فهرب عليها .
" ٥ " الأخزر : الضيق العين .
" ٦ " الأرض الكبيرة : الواسعة . أى أنه لجأ الى الارض الواسعة بعد أن ضاق
البحر . تنقصه : أخذ منه قليلا . المتمطر : المسرع فى عدوه .

الريـح تدفعه أنى شاءت وهو يردد الشكر لها على عنيـعها ، لانها أنجته من هلاك محقق ، وصارت الأمواج ترفعه كما تشاء وهو لا يدري أين تسوقه ، فحجبت الأمواج الرؤية عن ناظره وأخذ ينتهز فرصة انحدارها ليحدد موقعه ، ويحدد بعينين أخرزتهما ملوحة البحر ، وفي نهاية المطاف يصل الى الشاطئ ويرى أرض الروم الكبيرة بعد ملاقى المتاعب والمصائب :

جدحت له الموت الذعاف فعافه	وظار على ألواح شطـب مسم
مض وهو مولى الريح يشكر فضلها	عليه ومن يـول الصنيعة يشكر
إذا الموج لم يبلغه ادراك عينه	ثنى فى انحدار الموج لحظـة أخزر
تعلق بالأرض الكبيرة بعد ما	تنقصه جرى الندى المتـمطر

نظرة فى الأبيات :

لقد وصف شاعرنا هذه المعركة البحرية وصفا رائعا ولاغرابة فى هـسـمـسـذا فالبحترى انفرد بوصف المـعـارك الحربية فى البحر وهذا النويرى صاحب نهـايـة الأرب يقول : (لم يصف أحد من المتقدمين والمتأخرين القتال فى المراكب الا البحترى) . والواقع أن تصويره المعركة وسيرها يدل على براعة فى التصوير والخيال وكأنه يشاهد ما يأم عينه . ان البحترى — كما يقول بعض الكتاب — لا يفتر عن عادته وهى التلاعب بالمعاني ، وقلب الألفاظ ، فقد جعل ابن دينار هو المظفر واليمون فدا تحتـسـه بعد أن فدا هو فوقه . كما صوره وهو يعرض اسطوله قبل سيره على هيئة عرض بحرى كما يقول " زكى المحاسنى " فوصفه وقد أدل ثم مر وكأنه فارس على حصان مشـهـر كما صور الاشتيام كأنه على جناح عقاب حين اهتر الاسطول لهبوب الريح وبت الحياة فى المنايا حيث جعلها كالحى الملازم لأكف الأبطال تميل معها متى ماتت . ثم كفايته عن الروم بصهب العثانين وتشبيه الأصوات المنبعثة من الرماح المشجرة والسيوف المتراطمة على الحديد ، والأمواج المتلاطمة بأصوات كبار الأبل الهادرة المجرجرة . وتشبيه السفن المتقارعة فى غده المعركة وتدانيها كأنها أعناق وحوش نافرة . ومن هذه التشبيهات يظهر أن خيال الشاعر بدوى فى أكرها ، ولكن البصير تصويره هروب قائد الروم وفراره وكأنه عبد مطاوع للريح تطيره على ألواح خشب مسورة — كفاية عن مركبه المصدوع — وهو يرى الموج بنظرة المرعوب المصعوق ، حتى وصل الى الشاطئ فتعلق بالحياة من جديد . . .

قال محقق الديوان حسن كامل الصيرفي مشيرا الى بعض هذه الأبيات وغيرها،
"وفى الحق أن الرجل كان فنانا ماهرا استطاع بوتر موسيقى ، وريشة رسام
أن يترك لنا لوحات رائعة الجمال ، فلقد كان اللفظ مطواعا له يؤلف بين حروفه
في البيت مما يعبر عن الجو الذي يريد تصويره ، وهذا مثل قوله في القصيدة ٣٨٧

يسوقون اسطولا كأن سفينه سحائب صيف من جهام وومطر
كأن ضجيج البحر بين رماحهم اذا اختلفت ترجيح هود مجرجر
تقارب من زحفهم فكأنما تؤلف من أعلناق وحش منفر
فما رمتحتي أجلت الحرب عن طلي مقطعة فيهم وهام منطير

فحرف السين قد احتل مكانه في البيت الأول ليعطينا صورة تاطقصة
لسير الاسطول ، ثم يتقدم حرفا الجيم والحاء في البيت الثاني وقد تراقص
بينهما حرف الراء ليعطوا جميعا صورة الضجيج والحركة . ثم حرفا القاف
والفاء في البيت الثالث ليعطينا صورة الاقدام والاندفاع ، ويختم البيت
الرابع بحرفي الطاء والميم ليقدا صورة لتطايير الأشلاء بعد هـ
التطاحن وللدم المهرق ثم للموت المخيم على ميدان المعركة ، وفي خلال
ذلك يحمل حرف الراء عظه في تصوير اضطراب الأمواج والسراع العير .

وقال في وصف الممارك : " ١ "

أذعن الناكون اذ ألقى الحر ب عليهم بكلل وجران " ٢ "

ففتح يقصن في بل يوم شأن قاص من الأعداى ودان

قد أتانا البشير عن خير الخا بور بالصدق ظاهرا والبيان " ٣ "

عن زحف من الأعداى ويوم من أبى الساج فيهم أرونان " ٤ "

حشدت مربعا فيه ومرد وقصور البلخ والمازجان " ٥ "

وتوافقت حلائب السلط والمر جين من دابق ومن بطنان " ٦ "

تثنى الرماح والحرب مشبو ب لظاها تثنى الخيزران

كلما مال جانب من خميس عدلته شواجر الخرصان " ٧ "

فلجت حجة الموالس ضربا وطعانا لما التقى الخصمان " ٨ "

فقتيل تحت السنايك يد مى وأسير يراقب القتل عان " ٩ "

لقد بدأ الشاعر هذه الأبيات بمدح الخليفة المعتر ان يقول في أولها :

أتراه يظننى أو يرانى ناسيا عهدہ الذى استرعانى ؟

ثم يخلص الى وصف المعركة ، ويبدأ وصفها بانقياد الناقضين للمهود لما أصابتهم الحرب من ويلات . فالخبر السار عن الانتصارات أصبح حديث كل انسان قريب أو بعيد بعد أن سمع بالزحف المعادية والتي قوبلت بالأعداء الهائلة من الجند أتت من جهات متعددة لتشارك في هذه المعركة ضد الأعداء . ويصور الشاعر

" ١ " الديوان ٤ : ٢٢٧١ - ٢٢٧٣ - ٢٢٧٤

- " ٢ " الناكون : الذين نقضوا العهد . الكلكل : الصدر . الجران : مقدم عنق البعير .
- " ٣ " الخابور : نهر يقع داخل الحدود السورية .
- " ٤ " أبو الساج : من قواد الدولة العباسية . أرونان : شديد صعب .
- " ٥ " مربعا : لم يرد في معجم البلدان موضع بهذا الاسم . وقد ورد مربح " يفتح الميم " وهو جبل قرب مكة . ويكسرهما بالمدينة في بنى هارثة وكان به أطم أى حصن .
- مرد : جبل بالجزيرة . البلخ : اسم نهر بالرقعة . المازجان : اسم موضع .
- " ٦ " الحلائب : الجماعات . السلط : موضع بالشام وتعرف مدينة في الاردن بهذا الاسم . المرجين : مثنى المرج وهى الارض الواسعة فيها نبات كبير تخرج فيه الدواب أى تذهب وتجن . دابق : قرية قريبة من حلب . بطنان : واد بين حلب ومضيق .
- " ٧ " الخميس : الجيش سمي بذلك لأنه خص فرق . الخوصان : الرماح القصيرة السنان الشواجر : المتداخلة المختلفة .
- " ٨ " فلجت : فازت وقلبت . الموالى : لفظ أطلق على الأتراك .
- " ٩ " السنايك : أطراف الحوافر ، والسنايك من السيف : طرف حليته .

الرمح بأيدي الأبطال تتثنى كالخيزران ، وقد أعملها هؤلاء المحاربون بالضراب
والطعان فتشتت الأعداء ما بين قتيل تدوسه الخيل بسنابكها أو أسير يترقب
صيره .

نظرة سريعة في هذه الابيات :

ان أبيات البحترى هذه أقرب ما تكون الى القديم وان كان موضوعها
تصوير الزحوف وطرق الحرب الجديدة فهو لم يوفق الى ابتداء الصور الهائلة
المروعة التي تنقلنا الى قلب المعركة ، فنرى الطعان والضراب ، فالشاعر ضعيف
الانفعال يعتمد السرد والتقرير ، وهو يعتمد الى تعظيم الزحوف المعادي
ليجعل الانتصار عليها دليل القوة والتفوق ، ^{يطبق} والبحترى قوله " الشعر لم يح
تكفى اشارته " فهو يعتمد هذا المبدأ في وصفه للمعارك اذ لا تظهر لنا
الموقعة ، وانما يلح ويشير بسرعة كهذه الأبيات . وهذا ما لم نشاهده في
وصفه للقصور ذلك الوصف الذي يعتمد الدقة والخيال وقوة التصوير لأنه شاهد
القصور وتردد بينها ، وابتعد عن الحرب والمقارعة ، فلا ترى ايقاعات حمائية
في أبياته هذه وانما نغم متألف رصعه بالجناس كما في قوله " خبر الخابور "
وقوله " يقصن شأن قاص " .

ووصف البحترى الابنال المحاربين واندفاعهم الى المعارك جماعات
جماعات فير مبالين بضرواة المعركة وكأنهم اليراع الذي بدت له نار في ليل حالك
فرض نفسه بها .

ويصفهم يسيرون بدروع قوية محكمة وبأيديهم السيوف البواتر تسيل كأنها
المراب في فلاة قفصرة واذا اختلطت سيوفهم برماحهم توهمها الناظر اليها
كواكب انعكست على صفحة الماء ، ويختم الشاعر وصفه لهم بأنهم أبناء الموت لسم
يخلقوا الا له يقدفون بنفوسهم فير مبالين . يقول : " ١ "

وعصائب يتهافتون اذا ارتسى بهم الوفي في فمرة الهيجاء " ٢ "
مثل اليراع بدت له نار وقد لفته ظلمة ليلة ليلاً " ٣ "

" ١ " الديوان ١ / ١١

" ٢ " العصائب ، جماعة الرجال . يتهافتون : تهافت على الشيء ، تساقط وتتابع .
الوفا : الحرب .

" ٣ " اليراع : ذباب يطير بالليل كأنه نار وهو من الحباب .

يمشون في زفف كأن متونها
 في بل معركة متون نهيا " ١ "

بين تسيل على الكماة فبولها
 سيل السراب بقفرة بيبدأ " ٢ "

فإذا الأسنة خالطتها خلتها
 فيها خيال كواكب في ماء

أبناء موت يطرحون نفوسهم
 تحت المنايا كل يوم لقاء

وقال يصف ما حل بالخرمية أتباع بابك في معركة ابن مضعب : " ٣ "

فمجدل ومزل وموسد
 ومضرج ومضخ ومخضب " ٤ "

سلبوا وأشرفت الدماء عليهم
 محرة كأنهم لم يسلبوا

ووصف انتهاء معركة وما حل بالثائرين فقال : " ٥ "

أرى شملكم يا أهل حصص مجعنا
 بعقب افتراق منكم وتشعب

وكنتم شعاعا من طريد مشرد
 وثاورد أو خائف مترقب " ٦ "

ومن نفر فوق الجذوع كأنهم
 إذا الشمس لاحتهم حرايب تنضب " ٧ "

يشير البحترى الى حوادث أهل حصص لما أخرجوا عامتهم وأخرجوا صاحب الخراج
 من مد يفتهم ، فعلم المتوكل وأرسل لهم رسولا يخبرهم بأنه يحمل محل العامل الأول
 محمد بن عبدويه فان أطاعوا ولاء عليهم والا أرسل لهم من يحاربهم ، فرفضوا أول
 الأمر ولكنهم أخيرا وثبوا بالعامل ، فأمدّه المتوكل بجيش من دمشق وأمره أن يأخذ
 ثلاثة من رؤسائهم فيضربهم بالسياط ضربا مثلقا فإذا ماتوا يصلبهم على أبواب منازلهم .

فالشاعر يخاطب أهل حصص ويقول لهم أراكم قد تجمعتم بعد أن كنتم متفرقين
 ما بين مشرد وطريد وهالك وثاو ، بل أرى بعضكم فوق الجذوع كأنهم الحرايب المسكبة
 بأفصان تنضب .

انها صورة فريدة يرسمها البحترى لهؤلاء خاصة الصلوبيين على الجذوع وتشبيههم

بالحرايب .

- " ١ " زفف : جمع زفقة وهي الدرع اللينة الواسعة المحكمة . النها : جمع نهى وهو
 الغدير أو شبيهه .
- " ٢ " الكماة : جمع كمي وهو الشجاع أو لابس السلاح .
- " ٣ " الديوان ١ / ٧٦
- " ٤ " المجدل : الذي رمى بالأرض فارتى . المرمل : من رمل الثوب بالدم أي ملطخه
 أو من رش عليه الرمل .
- " ٥ " الديوان ١ / ١٩٣
- " ٦ " الشعاع : المتفرق من كل شيء . رد : هالك . " ٧ " حرايب : جمع حرايب وهي دويبة
 بطيئة الحركة تتلون بعدة ألوان تقابل الشمس بوجهها وتدور حيث تدور . تنضب : شجر .

سبت حرب ضارية بين بني تغلب أخوال شاعرنا ، ونجح المتوكل في الصلح بين الفريقين
فسجل البحترى عمل الخليفة العظيم ، ووصف ما وقع بين الفريقين وبدأ بما ألم به يسار
ربيعة من خراب جلبته الحروب بعد استقرار وسعادة كانت القبيلة تتمتع به ، يقول " ١ "

أسيت لأخوالي ربيعة إذ عفت صايفها منها وأتوت ربوعها

بكر هي أن باتت خلاء ديارها ووحشا مغانيها وشتى جميعها

وأست تساقى الموت من بعد ما ^{فدت} شروبا تساقى الراح رفها شروعا

ويصف الشاعر أخلاق قومه البدوية الجاهلية التي تسمى الى الأخذ بالنار والدم

فلاتهنسأ حتى تأخذ به حيث تأصل ذلك في نفوسهم جميعا رجالا ونساء ، فيرى

الفتاة الحسناء تدم وتعتبر زوجها إذا لم يأخذ بثأره ، ويقتس من أعدائه :

إذا افترقوا عن وقمة جمعهم لأخرى دماء ما يطيل نجيعها " ٢ "

تدم الفتاة الرود شيمة بعلمها إذا بات دون النار وهو ضجيعها " ٣ "

حمية شعب جاهلي وعزة كلبية أعياء الرجال خضوعها

وفرسان هيجا تجيش صدرها بأحقادها حتى تضيق دروعها

ويصف الشاعر عواطفهم المتضاربة في صدورهم وما يحسون به بعد انتهاء الحرب

من ألم وأسف لما حل بهم ولكنها الجاهلية التي تدفعهم الى غير ما يريدون :

تقتل من وتر أعز نفوسها عليها بأيدي ما تكاد تطيحها " ٤ "

إذ احترت وما ففاضت ماؤها تذكرت القرين ففاضت دموعها

شواجر أرماع تقطع بينهم شواجر أرحام ملوم قطوعها

" ١ " الديوان ٢ : ١٢٩٦

" ٢ " ظل دمه : هدره . والنجيع من الدم : ما كان مائلا الى السواد .

" ٣ " الرود : اللينه .

" ٤ " الوتر : الانتقام والظلم فيه .

وصف السيف :

قال البحترى يصف السيف " ١ "

يتناول الروح البعيد مناله
 ما وان لم تفضه يد فارس
 يفضى الوفى فالترس ليس بجنة
 مصغ الى حكم الردى فاذا مضى
 متوقد يفرى بأول ضربته
 واذا أصاب فكل شيء مقتل
 وكأنما سود النصال وجرها
 وكأن شاهره اذا استعصى به
 حطت حمائله القديمة بقلته

عفوا ويفتح فى القضاء القفل " ٢ "
 بطل ومصقول وان لم يصقل " ٣ "
 من حده والدرع ليس بمعقل " ٤ "
 لم يلتفت واذا قضى لم يعدل " ٥ "
 ما أدركت ولو أنها فى يذبل " ٦ "
 واذا أصيب فماله من مقتل
 دبت بأيد فى قراه وأرجل " ٧ "
 فى الروع يعصى بالسماك الأعزل " ٨ "
 من عهد عاد فضة لم تذبيل " ٩ "

هكذا وصف البحترى هذا السيف بأنه يتناول أرواح العداة عفوا ، ويضى الى
 فايته وان لم تحمله اليها يد الفارس الشجاع ، ينزل الى الممارك ويجول فيها لا يعصم منه
 عاصم فلاملجأ ولا فر من بتره ، فلا الاحتماء بالترس ولا التسربل بالدرع بواق من جلاده فقد
 كمن فيه حكم الردى لا يشغله عن الاستماع اليه شافل فلايحميد ولا ينيو ، يقضى على من أراد
 بالضربة الواحدة ولو تحصن فى الجبال الشامخة ، والهلاك لمن يصيبه هذا السيف فكسل
 شيء مقتل له . أما هو فقوى لا يؤثر فيه مؤثر ، ويشبه الشاعر ما فى السيف من وشى وفرند
 بآثار النمل ، أما شخص حامله فهو بعيد منال الروح وكأنما غدا أحد ساكنى النجوم
 وهيئات أن ينال ، وهذا السيف أخضر الحديد كالبقلة فهو قوى بتار فطول الدهر لم يؤثر
 على أفعاله .

" ١ " الديوان ٣ : ١٧٥٠ - ١٧٥١ - ١٧٥٢ " ٢ " عفوا : من غير طلب .

" ٣ " الماضى : الفاطح . المصقول : الناعم الأملس .

" ٤ " الوفى : الحرب . الترس : صفحة من القولان تحمل للوقاية من السيف ونحوه .
 الجنة : السترة وكل ما وقى من السلاح . الدرع : قميص من زرد الحديد يلبس
 وقاية من سلاح العدو .

" ٥ " لم يعدل : لم يمل ولم يحدد . " ٦ " يفرى : يقطع ويشق . يذبل : جبل .

" ٧ " القرا : الظهر . " ٨ " شهر السيف : سله . استعصى به : ضرب به كضربة
 العصا . يعصى : يضرب . السمك الأعزل : نجم نير .

" ٩ " الحمائل : علاقات السيف . البقلة : واحدة البقل وهو ما نبت فى بزره لافى
 أرومة ثابتة .

٦ - وصف الطيف والشيب

"أ" الطيف

ان كان زهير قد اشتهر بحكمته ، والخنساء برنائها ، وأبو نواس في خمرياته
فلقد اشتهر شاعرنا في وصف الطيف شهرة جعلته مميّزا له عن غيره من الشعراء .
ومن المعروف أن وصف الطيف لم يكن من الموضوعات الأساسية منذ الجاهلية
حتى أواخر العصر العباسي الأول بل كان موضوعا وفرضا ثانويا ، يأتي به الشاعر
لما ما في أوائل القصائد ، ثم أخذ الشعراء بمعانيه مرددين أن أطياف صواحبهم
تزرهم في الضام فتؤرقهم ، ويأخذهم العجب من اهتدائها اليهم مع بعد ما يفصل
بينهم وبين محبوباتهم من مسافات شاسعة .

وشاعرنا البحترى ينهض بهذا الوصف نهضة شاملة واسعة فيكثر من افتتاح قصائده
به . كما يوجد أيضا ميثوتا في أثناء بعض القصائد . وقد افتن البحترى اقتناسيا
عظيما في توليد معانيه ، واستنباط اللطيف والطريف منها ما جعله يلفت أنظار
القدماء والمحدثين ويجعلهم يحكمون بأنه السابق في هذا الميدان كما اتفقوا
على أن البحترى أكثر من ذكر الطيف واشتهر به شهرة فائقة حتى ضرب المثل به
فقال " أرق من طيف البحترى " ويرى بعض الأدباء أن السبب في اكنار الشاعر
من ذكر الطيف ربما يكون راجعا الى حبه لعلوة وبعدها عنه ولنستمع اليه
يقول : " ١ "

أهلا بذلكم الخيال القليل ، فعل الذي نهواه أولم يفعل
برق سرى من بطن وجرة فاهتدك بسناه أعناق الركاب الضلل

فهو يختر صورة نادرة في هذين البيتين ان جعل طيف محبوبته قبسا
من نور يتوهج ويبدد دياجير الظلمة ويضيء مسالك الصحراء ودروبها للقوافل .

وللبحترى في وصف الطيف معان عديدة مبتدعة من ذلك قوله في قصيدته يفتخر
بها بنفسه ويعاتب قوما من أهل بلده :

أحبيب الـى بطيف سعدى الآتى وطروقه في أعجب الأوقات

انى اهتديت لمحرمين تصوبوا لسفوح مكة من رباعرفات
ذكرتنا عهد الشام وعيشنا بين القنان السود والمهضبا
اذ أنت شكل مخالف وموافق والد هر فيك معانع وموات
فقد جعل خيال محبوبته يلاحقه حتى فى أيام الحج وزمن الاحرام حيث
سرى اليه من الشام آخذاً يجوب الصحارى الواسعة الى أن وصل اليه وهو محرم
يؤدى منا سك الحج ، وقد أثنى الآمدى على أبياته هذه حتى فضلها على
أبيات قيس بن الخطيم المشهورة والتي أولها :

انى سريت وكنت فير سروب وتقرب الأحلام فير قريب
ما تمنى يقظ فقد تؤتينه فى النوم فير هرد محسوب

ويرى بعض الكتاب أن أروع قد مات قصائده التى تظهر فيها قدرته على وصف
الطيب ، وتفريعه فى معانيه وابتداعه فى تصويره قوله : " ١ "

بت أبدى وجدا وأكتم وجدا لخيال من البخيلة يهدى
أقسم الظن فيه أنى تخطى ال سمرل من عالج وأنى تهدى
خطا ما أزارناه طسروقما أم توخيه للزيارة عمدا
جاء يسرى فأشرقت أرى نجد لسراه وواصل الفيث نجدا

الى أن يقول :

قرب الطيف متواها فأصبح ست حد يثا يناقى العهد عهدا
سكن لى اذا دنا ازداد ليا نا وبعدا فازددت بالقرب قريبا

وفى هذه الابيات تظهر براعة البحترى فى تشويق المعانى وتوليد ها ، وعرضه
لها بأعذب الألفاظ ، ومعانيه واضحة جلية ، وألفاظه سهلة عذبة ، ولقد رسم طيف
محبوبته وهو يرسل ضوءه على أرى نجد حين مر بها فى حين أخذ المطر ينهل عليها
لاحتيازه لها .

لقد عنى البحترى بوصفه للطيف بالمعانى التقليدية والصور البدوية فأذاعها
فى كثير من قد مات قصائده ، فنلاحظ فى بعضها المعانى الجاهلية والصور
القديمة الموروثة من ذكر السرى والليل والوديان والسهول والحزون متعجبا
من اهتداء طيف محبوباته اليه ، وكم تمنى أن تزوره فى اليقظة فتهدى بزيارتها
له نفسه الثائرة ، وتطفى أشواقه المضطربة وترى هذا فى مطلع قصيدته التى

يمدح بها عيسى بن ابراهيم " ١ "

طيف الحبيب ألم من عدوائه وبعيد موقع أرضه وسمائه
جزع اللوى عجلا ووجه مسرعا من حزن أبرقه الى جرعائه
يهدي السلام وفي اهتدائه خياله من بعده عجب وفي اهتدائه
لو زارني فبر الكرى لشفاك فسى خيل الغرام ومن جوى برحائه

فشاعرنا في هذه الأبيات يعد الأماكن التي مر بها السيف ويستقصيها استقصاءً دقيقاً حتى انتهى إليه ، فالطيف سرى إليه من مكان بعيد مجتازاً مناطق مختلفة في سرعة وعجل فمن كئيبان من الرمل الى تلال ومرتفعات عالية تغطيها الحجارة ، الى أرض ميسوفة مستوية ، ويشير عجب الشاعر كيف أن هذا الطيف قطع تلك المسافات الطويلة لكي يلم به ويحييه ، وم كما كان بوده أن ألم به في اليقظة لكي يخفف ما به من الوجد الشديد .

ويقول من أبيات أخرى يمدح بها الفتح بن خاقان : " ٢ "

أجدك ما ينفك يسرى لزنبنا خيال اذا آب الظلام تأوبا
سرى من أعالي الشام يجلبه الكرى هبوب نسيم الروم تجلبه الصبا
وما زارني الا ولهت صباية اليه والا قلت أهلا ومرحبا
وليلتنا بالجزع يات مساعفا يريني أناة الخطوناعمة الصبا
ولو كان حقا ما أتته لأطفأت فليلا ولأفتكت أسيرامعدبا

هكذا يصبح ليل البحترى شركة مقسمة بين طيف الحبيبة وبين الافقاء فما يكاد الليل يرخى أستاره ويأخذ الشاعر في النوم حتى يطير اليه طيفها طيرانا وكأنما يجذبه اليه ويقربه منه ، كما يقرب النسيم الحليل بريح الصبا فيرحب به ويسلم عليه فتهدأ نفسه قليلا ، ولكن سرعان ما يتنبه فيرى أنه يعيش في فرور وأحلام ، وأن خيالها هو الذي ألم به دونها .

هذا قليل من كثير فأشعار البحترى في وصف الطيف كثيرة جدا . وقد عرف الكتاب له ذلك من قديم وحديث ، فالأمدى يقول : " أما البحترى فانه أولع بذكر الخيال فقال فيه وأكثر وأجاد وأبدع وتصرف في معان لم يأت أحد بمثلها . واستفتح قصائد كثيرة بذكر الخيال لشدة شغفه به فأحسن في ابتدائياته كلها وزاد

على الاحسان " .

ويقول ابن رشيقي : " البحترى أرق الناس نسيبا وأملحهم طريقة لاسيما اذا ذكر الطيف فانه الباب الذى شمر به " .

أما الشريف المرتضى فيقول : " كان البحترى ضيما بالقول فى الطيف فأكثر منه وأفزر منه مع تجويد واحسان وافتنان وتصرف فيه تصرف المالكين وتمكن القادرين " .

ويقول أيضا : " لأبى عبادة فى وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فانه تغلغل فى أوصافه وأهتدى من معانيه الى ما لا يوجد لغيره " .

وأما أبو على القالى فيقول : " وهو أحد المحسنين فى القول فى طروق الخيال حتى قيل طيف البحترى " .

وأقول ان شاعرنا البحترى أكثر فى النظم فى هذا الجانب وما أقوال هؤلاء النقاد وغيرهم كثير الا دليلا على ذلك . وان كنت أفردته فى هذه الأسطر القليلة الا أنه يحتاج الى بحث خاص يحصره ويبين محاسنه . . .

"ب" وصف الشيب
 ~~~~~

وصف البحترى الشيب بعد أن عبرته محبوبته به ، فهو لا يراه عيبا بل يراه شيئا ووقارا ، وانما هو جلاء الشيب ويعلل حكمه هذا بأن بياني الصقر أصدق في الحسن اذا تأمله الانسان من سواد الغراب . ان يقول : " ١ "

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| عيرتنى بالشيب وهى بدته    | فى عذارى بالصد والاجتناب |
| لاتريه عارا فما هو بالشيب | ب ولكنك جلاء الشيب       |
| وبيانى البازى أصدق حسنا   | ان تأملت من سواد الغراب  |

وفى أبيات أخرى يرى أم عمرو تلومه وتعذله لأنها أبصرت لمة فى شعره فزاها الشيب فأصابها الخوف لما رأت فظأنها أن هذا الشيب جمال ووقار ، واستدل على ذلك أنه لولا وجود تلك الأزهار البيضاء بين الرياض الخضراء لذهبت أنافتها ومناظرها البديعة ، وأن سواد العيون لولم يحط ببياضها لما كانت العيون جميلة محبوبة ، ويتعجب من لوم أم عمرو لأنه يرى الليل بلا نجوم لاجمال له ، وانما جماله بتلك الكواكب المضيئة المشعة ، وكذلك السحاب اذا لم يرافقه البرق لا يوجد بالظن وكأنه يقول ليس فريبا أن يوجد الشيب فى لمتى : " ٢ "

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| عذلتنا فى عشقها أم عمرو   | هل سمعتم بالعادل المعشوق ؟ |
| ورأت لمة ألم بهما الشيب   | ب فريعت من ظلمة فى شروق    |
| ولعمري لولا الأفاضل لأبصر | ت أنيق الرياض فير أنيبسق   |
| وسواد العيون لولم يحسن    | بيانى ما كان بالمومسوق     |

ويقول فى الشيب الذى أنكرته عليه المحبوبة ، ورجوع شعراته بعد قصها كرجوع السهام فى أفراضها معرضا بسوء اخلافها لمواعيدها مظهرا تضايقه وقلقه من الشيب : " ٣ "

|                        |                                 |
|------------------------|---------------------------------|
| ناكرت لمتى وناكرت منها | سوء هذا الاخلاف والأعواس " ٤ "  |
| شعرات أقصهن ويرجعن     | من رجوع السهام فى الأفراس " ٥ " |

" ١ " الديوان ١ / ٨٤

" ٢ " الديوان ٣ : ١٤٨٥

" ٣ " الديوان ٢ : ١٢٠٨

" ٤ " اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . الاخلاف والأعواس : جمع الخلف ، والعواس . ينكر عليها كما تنكر عليه شيبه .

" ٥ " الأفراس : الأهداف .



وروا<sup>١</sup> المشيب كالبخس في عيب سنى فقل فيه في العيون المراسي " ١ "

وقال واصفا شيئا ألم به بعد الفتوة والشباب ، الذي ظننت أيامه وارتحل  
عنه فتفسيرت أحواله ، وذهبت محاسنه ، وعولاته وجولاته بحلول هذا الشيب :

|                           |                                |
|---------------------------|--------------------------------|
| ان الشباب وكل شىء بائن    | والمرء مرتهن بما هو كائن " ٢ " |
| ظننت به أيامه وشهوره      | ان المقيم على الحوادث ظاعن     |
| ذهب الشباب وفاى ماء برنده | فاليوم منه كل ورد آجن " ٣ "    |
| درست محاسنه وطار فرايه    | ولقد تكون له عليك محاسن " ٤ "  |

ويقول كذلك في وصف الشيب والتألم على فقد الشباب :

|                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| وكت أرجى في الشباب شفاعنة | فكيف لبافى حاجة بشفيعه    |
| مشيب كبث السرعى بحملسه    | محدثه أو ضاق عدره مذيعه   |
| تلاحق حتى كاد يأتى بطيئه  | لحث الليالى قبل أين سريعه |

يقول الشريف المرتضى معلقا على هذه الأبيات : " وهذا والله أبلغ كلام  
وأحسنه وأحلاه وأسلمه وأجمعه لحسن اللفظ وجودة المعنى ، وما أحسن ما شبه  
تكاثر الشيب وتلاحقه بيت السر عن ضيق صدر صاحبه . . . " .

---

" ١ " البخس : يسكون الخاء قلع العين مع شحمتها . وبالتحريك : سقوط باطن  
الحجاج على العين ، أو لحم ناتئ فوق العينين أو تحتها .

" ٢ " الديوان ٤ : ٢٢٢٢ .

" ٣ " فياى الماء : نقص أو فار فذهب في الأرض . البرند : وشى السيف .  
الورد : الماء الذى يورد . الآجن : المتغير لونه وطعمه .

" ٤ " طار فرايه : شاب .

٧- وصف المواكب وغيرها

وصف مواكب الخليفة " المتوكل "

وصف البحترى مواكب المتوكل عند خروجه لصلاة عيد الفطر فقال : " ١ "

بالبر صمت وأنت أفضل صنائم  
فانعم بيوم الفطر عيننا انه  
أظهرت عز الملك فيه بجحافل  
خلنا الجبال تسير فيه وقد فدت  
فالخيل تصهل والفوارس تدعى  
والأرض خاشعة تميد بثقلها  
والشمس مائعة توقد في الضحى  
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى  
وافتن فيك الناظرون فاصبح  
يجدون رؤيتك التي فساؤا بها  
ذكروا بطلعتك النبي فهللسوا  
حتى انتهيت الى المصلى لا بسا  
ومشيت مشية خاشع متواضع  
فلو أن مشتاقا تكلف غير ما  
أيدت من فصل الخطاب بخطبة  
ووقفت في برد النسبي مذكرا  
ومواعظ شفت الصدور من الذي  
حتى لقد علم الجهول وأخلصت  
صلوا وراءك آخذين بعصمة  
فاسعد بحضرة الاله فلم ينزل  
ولأنت أملا للعيون لديهم

وبسنة الله الرضية تظفر  
يوم أفر من الزمان مشهر  
لجب يحاط الدين فيه وينصر " ٢ "  
عددا يسير بها العديد الأكثر  
والبين تلمع والأسنة تزهر  
والجو معتكر الجوانب أفسر  
طورا ويطفئها العجاج الأكر " ٣ "  
ذاك الدجى وانجاب ذاك العشير  
يوما اليك بها وعين تنظير " ٤ "  
من أنعم الله التي لا تكفر  
لما طلعت من الصقوف وكبروا  
نور الهدى بيد عليك ويظهر  
لله لا يزهى ولا يتكبر  
في وسعه لضى اليك المنبر  
تنبى عن الحق المبين وتخبر  
بالله تنذر تارة وتبشير  
يعتادها وشفاؤها متعذر  
نفس المرورى واهتدى المتحير " ٥ "  
من ربهم وبذمة لا تخفر  
يهب الذنوب لمن يشاء ويقدر  
وأحل قدرا في الصدور وأكبر

" ١ " الديوان ٢ : ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣

" ٢ " الجحفل : الجيش العظيم . اللجب : ذوالصياح والجلبة .

" ٣ " مائعة : مرتفعة . " ٤ " يوما : أهلها يوما بهمز أى يشار .

" ٥ " المرورى : المفكر المتأمل .

نظم البحترى هذه الأبيات بمناسبة أحد الأعياد وخروج الخليفة المتوكل  
 للصلاة فوصف موكبه ومسيرته وخطبته في المصلين وقد ابتدأ بالمدح اذ قال: " ١ "  
 أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر وألام في كمد عليك وأعذر  
عرض معنى الأبيات:

يرى الشاعر في بداية هذه الابيات أن الخليفة متبع لسنة الله حيث صام وأفطر  
 ويدعوله في هذا اليوم المبارك الذي أظهر فيه عز الملك والخلافة بتلك الجيوش الجرارة  
 التي خرجت في يوم العيد ، وكان الجبال هي التي تسير لكثرة هذه الجيوش وعددها  
 فمن خيل لا يسمع الا لصهيلها الى فوارس تعتر بأنسابها الى سيوف مصلته ومشهرة  
 لامعة بينما تكاد الارض تنثن بثقلها وتحمل أكثر مما تستطيع وقد طبق الغبار الأفق  
 يحجب ضوء الشمس تارة ويهدأ فيهبط أخرى،

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| بالبر صمت وأنت أفضل صائم     | ويسنة الله الرضية تظفر     |
| فانعم بيوم الفطر حينئذ       | يوم أفر من الزمان مشهر     |
| أظهرت عز الملك فيه بجحفل     | لجب يحاط الدين فيه وينصر   |
| خلنا الجبال تسير فيه وقد فذت | عددا يسير بها العديدا أكثر |
| فالخيل تصهل والفوارس تدعسى   | والبيض تلمع والأسنة ترهسر  |
| والارض خاشعة تعيد بثقلها     | والجو معترك الجوانب أفسر   |
| والشمس مائعة توقد في الضحى   | طورا ويطفئها العجاج الأكر  |

في هذه الأثناء يبرز بين الصفوف وجه الخليفة المشرق الذي تنحسر أمام  
 اشراقته أقنعة ركام العجاج ، فيخيم الهدوء والصمت والسكينة على الموقف وتهبدا  
 نائفة النفوس وترتفع الأيدي بأصابعها تشير الى نور ذلك الوجه وتشخص الأبصار  
 مديمة النظر اليه ، ثم ترتفع الأصوات بالتكبير والتهليل بينما يخترق الخليفة الصفوف  
 المتراسة حتى يصل الى المصلى :

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى    | ذالكالذي وانجاب ذالكالعثير |
| واقفن فيك الناظرون فاصبع     | يوما اليك بها وعين تنظر    |
| ذكروا بطلعتك النسبى فهللوا   | لما طلعت من الصفوف وكبروا  |
| حتى انتهيت الى المصلى لابساً | نور الهدى بيد وعليك ويظهر  |

أما المنبر فكم كان بوسعه لو وسعته قدرته من شدة الشوق الى الخليفة أن يكون الساعى اليه المتظامن تحت قدميه ، فيرفعه بين تلك الجموع ، وبعد صعوده يلقي في الناس خطبة بليغة فاصلة تدعو الى الحق وتنهى عن الباطل لما فيها من مواعظ تشفى الصدور وتبهر للناس الطريق القويم غاhtدت بها الأنفس الجاهلة وأخرى كان من المتعذر هدايتها لأن قائلها يملأ العميون لجلالة قدره ولأن المصلين يأنسون بمخايله شمائل الرسول الكريم ،

|                               |                           |
|-------------------------------|---------------------------|
| فلو أن مشتاقا تكلف فير ما     | في وسعه لسعى اليك المنبر  |
| أيدت من فصل الخطاب بخطبة      | تجى عن الحق المبين وتخبر  |
| ومواعظ شفت الصدور من الذى     | يعتادها وشفاؤها متعذر     |
| حتى لقد علم الجهول وأخلصت     | نفس العروى واعتدى المتحير |
| سفا سعد بمغفرة الاله فلم ينزل | يهب الذنوب لمن يشاء ويقدر |
| ولأنت أملاً للعميون لذيهم     | وأحل قدرا في الصدور وأكبر |

هكذا رسم لنا شاعرنا صورة مفصلة عن خروج المتوكل لصلاة العيد في وسط الجموع المحتشدة والصفوف المتراسة والأصوات الصاخبة صورة حية يكاد كل حرف فى فى أبياتها ينبس بالحياة ، صورة يزيد من هولها ورهبتها سهيل الخيول ، وصليل السيوف وتوهج رؤوس الرماح ، وجموع زاخرة تكاد تميد بها الأرض لتقلها ، وهناك تلوح صورة وجه الخليفة يطل بأشراقته على الجموع فتخبوا أصواتهم العاليسنة وتمجز الألسنة عن الكلام ويأتى دور الأبصار والأصابع التى لاتتك الا الاشارة • ولاريب أن يحصل هذا ويشده الجمع لما يرى مادام المنبر ذلك الجماد لا يستطيع أن يتمالك بل يحاول السعى الى الخليفة لشدة الشوق ولأنه يعرف ما سينطق به هذا الخطيب البليغ من درر ثمينة •

والابيات ملتحة النسيج مسلسل الخواطر ترسم لوحة متكاملة الصورة مثلت عواطف مصورها واحساسه وجسم المعنى خياله واضحا جليا •

أما الصور البيانية فلا تخفى ، فالجبال تسير ، والأرض تميد ، ووجه الخليفة يجلو الغبار ، والمنبر لا يتمالك من شدة الشوق • والمحسنتات البديعية كثيرة فالجناس بين "صمت وصائم" و "تسير ويسير" و "طلعتك وطلعت" ومشيت ومشية" والخطاب وخطبة" وكذلك الطباق " تنذر ، تبشر" . . . الخ •

ووصف البحترى دخوله وسلامه على الفتح بن خاقان فذكر أنه لما حضر عند باب الدار وأذن له بالدخول رأى الفتح صاحب عيبة وكرم ، وصفات عالية حميدة ، فلما مشى بين يديه سلم عليه وهو يحس بالهيبة منه حتى أنه لم يستطع الكلام في أول أمره ولكنه لما رأى الطلاقة والبشر يعطوان وجه الوزير ارتاح لهذا المرأى فدنا منه وقبل الندى بين يديه فرأى رجلا ذا صفات كاملة يقول " ١ "

|                              |                                      |
|------------------------------|--------------------------------------|
| ولما حضرنا سدة الأذن أخبرت   | رجال عن الباب الذى أنا داخله " ٢ "   |
| فأفضيت من قرب الى ذى مهابة   | أقابل بدر الأفق حين أقابله           |
| الى يسرف فى الجود لو أن حاتم | لديه لأسى حاتم وهو عادل              |
| بدا الى محمود السجية شممت    | سراويله عنه وطالت حمائله             |
| كما انتصب الرمح الردينى ثقفت | أنايبه للطعن واسترعاطه " ٣ "         |
| وكالبدر واقته لثم سموده      | وتم سناه واستقلت منازلـه " ٤ "       |
| فسلمت واعتاقت جنانى هيبـة    | تنازعتنى القول الذى أنا قائـله " ٥ " |
| فلما تأملت الطلاقة وانتشنى   | الى بيشر أنستنى مخايلـه              |
| دنوت فقبلت الندى فى يد امرئى | جميل المحيا سباط أناملـه             |
| صفت مثلما تصفو المدام خلاله  | ورقت كما رق النسيم شمائلـه           |

- 
- " ١ " الديوان ٣ ، ١٦١٣ — ١٦١٤
- " ٢ " السدة : باب الدار .
- " ٣ " الردينى : نسبة الى ردينة وهى امرأة اشتهرت بتقيم الرماح . تحف الرمح : قومه وسواه . أنايب : جمع أنبوب وهو ما بين العقدتين من الرمح . العامل : صدر الرمح وهو ما يلي السنان .
- " ٤ " استقلت : ارتفعت . منازل القمر : مداراته التى يدور فيها حول الأرض .
- " ٥ " اعتاقت : عاقت أى وقفت فى سبيله .

ووصف البحترى استسقاء الخليفة المتوكل فقال بعد أن أمحلت الأرض ووطئتها  
الأقدام ، وامتنع المطر قام الخليفة مستسقيا للمسلمين وداعيا الله ، فاستجاب الله  
دعاه فاحتجبت السماء بالسحب ثم انهمرت الأمطار فزيرة حتى أنه لم يبق ولا سحابة  
الا وانسكب وابلها فسالت الأودية وهم الخير . يقول " ١ "

لَمَّا تَعَبَّدَ مَحَلَّ الْأَرْضِ وَاحْتَبَسَتْ      عَنَا السَّجَائِبُ حَتَّى مَاتَرَجِيهَا " ٢ "

وَقَمَتِ مَسْتَسْقِيًّا لِلْمُسْلِمِينَ جَسْرَتْ      فَرِ الْغَمَائِمِ وَحَلَّتْ مِنْ عَزَالِيهَا

فَلَا فِطَامَةَ إِلَّا أَنْهَلَ وَأَبْلَهَا      وَلَا قَرَارَةَ إِلَّا سَالَ وَادِيهَا " ٣ "

كما وصف الشاعر خروج عبيد الله بن يحيى بن خاقان للحج فوصف لابل التي حطته  
الى الخيف من منى والمشعر الحرام ثم رميه الجمرات في الضحى ، والحلق والتقصير  
واتجاهها الى المدينة المنورة تسير في الغلس والهاجرة لزيارة قبر الرسول والتسبح  
بمنبره . اذ يقول : " ٤ "

لِلَّهِ مَا حُدَّتِ الْحَدَاةُ وَمَا سَرَتْ      تَخْدِي بِهِ قَلْبُ الْمَهَارِيِّ الضَّمْرَ " ٥ "

مَقْلَقَاتٍ بِالسَّاحَةِ وَالنَّسْدِي      يَطْلُبُنْ خَيْفَ مَنَى وَحَضُوا الْمَشْعَرَ " ٦ "

حَتَّى رَمَيْنَ إِلَى الْجِمَارِ ضَحِيَّةً      وَالرَّكْبَ بَيْنَ مَحَلِّقٍ وَمَقْصَرِ

وَتَيْنِ نَحْوِ قَصُورٍ يَثْرَبُ آخِذًا      مَنِينِ سَيْرِ مَغْلَسٍ وَمَهْجَرِ " ٧ "

يَجْشَمُنْ مِنْ رَيْدِ أَدَاءِ تَحْيِيَّةِ      لِلْقَبْرِ ثُمَّ وَمَسْحَةِ لِلنَّسِيرِ

وللبحترى أبيات يصف فيها هروب لؤلؤ قلام أحمد بن طولون حين خالفه  
وكتب الموفق ليسير اليه ، وعند ما علم أحمد بن طولون سار اليه ولكنه لاذ بالفرار  
خوفاً وفزعاً : " ٨ "

وَلَوْ لَمْ يَحَاجِزْ لَوْلُؤٌ بِفِرَارِهِ ،      لَكَانَ لَصَدْرِ الرَّيْحِ فِي لَوْلُؤِ يُقَبِّ

تَخَطَّأَ عَرَسَ الْأَرْضِ رَاكِبَ وَجْهَهُ ،      لِيَضَعَ مِنْهُ الْبَعْدَ مَا يَبْذُلُ الْقَرَبِ

يَحِبُّ الْبِلَادَ وَهِيَ شَرَفٌ لِشَخْصِهِ      وَيَذَعُرُ مِنْهَا وَهِيَ مِنْ فَوْقِهِ فَسَرَبِ

إِذَا سَارَ سَهْبًا عَادَ ظَهْرًا عَدُوَّهُ      وَكَانَ الصَّدْقُ يَفْقِدُ ذَلِكَ السَّهْبَ " ٩ "

" ١ " الديوان ٤ ، ٢٤١١ " ٢ " تعبد ، تذلل . " ٣ " الوابل ، المطر الشديد الضخم

القطر . القرارة ، القاع المستدير يجتمع فيه المطر . وانهل ، انصب .

" ٤ " الديوان ٢ ، ٨٦١

" ٥ " القلس ، جمع القلوس النياق الطويلة القوائم . " ٦ " الحنوء الجانب .

" ٧ " المغلس ، الضارب في الغلس . المهجر ، السائر في الهاجرة .

" ٨ " الديوان ١ ، ١٢٦

" ٩ " السهب ، بفتح السين ، الفلاة ، وبضمها ، المستوى من الأرض في سهولة .

وقال البحرى يصف كتابه وبلافة محمد بن عبد الملك الزيات من قصيدة فى مدحه  
مطلعها قوله :

بعض هذا العتاب والتفنيد ليس ذم الرفاء بالمحمود  
يقول : " ١ "

قد تفننت فى الكتابة حتى عطل الناس فن عبد الحميد  
فى نظام من البلافة ماشك امرؤ أنه نظام نريس  
ويديع كأنه الزهر الضاحك فى رونق الربيع الجديد  
مشرق فى جوانب السمع ما يخد لقه عوده على المستعيد  
ما أعيرت منه بطون القراطين حس وما حطت ظهور البريد  
مستميل سمع الطروب المعنى عن أفانى زرزى وعقيد " ٢ "

حجج تخرس الألد بألفسا ظ فرادى كالبحر المعدود  
ومعان لو فصلتها القوافى هجنت شعر جرول ولبيد  
حزن مستعمل الكلام اختيسارا وتجنبن ظلمة التعقيد  
وركن اللفظ القريب فأدركن من به غاية المراد البعيد  
كالعدارى فدون فى الحل الصف رانارحن فى الخطوط السود

وقال يصف الملوين من قصيدة يدح بها أحمد بن عبد العزيز الشلفطان : " ٣ "

كم عزيز أباده ففسدا را كعب عود مركب فوق عود ؟  
أسلمته الى الرقاد رجال لم يكونوا عن وترهم برقود  
يحمس الطيرفيه ضيق البوادى وهو فى فير حالة المحسود  
فاب عن صحبه فلا هو موجو د لديهم وليس بالمفقود  
وكان امتداد كفيه فوق ال جذع فى محفل الرى المشهود  
ظائر مد مستريحا جناحيه به استراحات متعب مكود

" ١ " الديوان ١ : ٦٢٦

" ٢ " زرزى : من مخنى العصر العباسى ، وكذلك : عقيد .

" ٣ " الديوان ٢ : ٨١٠

الأطلال :

والبحتري من الشعراء الذين وصفوا الأطلال وآثارها فمن ذلك قوله : " ١ "

لها منزل بين الدخول فتوضح متى تراه عين المتيم تسفح  
عفا فير نؤى دارس في فئائه ثلاث أئاف كالحمام جنح

وقال أيضا من قصيدة يمدح بها أبانهمشل محمد بن حميد الطوسي : " ٢ "

د من كمثل طرائق الوشى انجلت لمعاتهن عن الرداء المنهج  
يضعفن عن اذكارنا عهد الصبا أو أن يهجن صباة لم تهتج  
ولرب عيش قد تبسم ضاحكا عن طرتي زمن بهن مديج

ويقول كذلك من قصيدة يمدح بها أحمد بن علي الاسكاني : " ٣ "

عوس منهم خسيس - وقد حله - نوا اللوى - منزل بوجرة عافى  
لم تدع منه مبليات الليالى فير نؤى تسقى عليه السوانى  
وأئاف أتت لها حجج دو ن لظى النار مثل كالأئافى

ويقول في مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن اسماعيل الهاشمي : " ٤ "

صب يخاطب مفحات طول من سائل باك ومن مسؤل  
حملت معالمهن أعباء البلى حتى كأن نحولهن نحولى

---

" ١ " الديوان ١ : ٤٥٠

" ٢ " الديوان ١ : ٤٠٠

" ٣ " الديوان ٣ : ١٣٨٥

" ٤ " الديوان ٣ : ١٦٦١



### الفصل الثالث

- ١- خصائص شعر الوصف عند البحترى وآراء النقاد .
- ٢- منزلة البحترى في شعر الوصف، واستاذيته للشعراء من بعده .

### خصائص الوصف عند البحترى وآراء النقاد فيه

البحترى كما رأينا من شراء فن الوصف البارعين لأن التبييم سحرته بما فيها فسورها تصويرا يقف دونه كثير من شعراء الوصف . ورأى العمران والحضارة تعم البلاد في العصر العباسي ، فشارك بشعره الوصفى مشاركة فعالة سجل فيها ما قامت به الدولة من بناء وعمارة وانشاءات وغير ذلك مما رأيناه ولم يقف في وصفه عند هذا الحد ، بل وقف من الحيوانات موقف الخبير العارف بمزاياها ، وخاض معارك بطولية مع المفترس منها كالذئب فوصف ذلك كما مر .

وعلاوة على هذا فقد أتى شاعرنا بأوصافه ما لم يسبق اليه ، وهو البكاء على الممالك الزائلة ووصف حالتها السابقة وحالتها الراهنة ، ما جعل النقاد قديما وحديثا يذهبون الى أنه اسام هذا القرن الجديد وصاحبه والباحث عن خصائص الوصف عند هذا الشاعر يجد أن وصفه حصيلة نتاج بين القديم والجديد ، فيه مادية الوصف الجاهلي وحسيته ، وفيه وجدانية الوصف العباسي وانفعالاته ، ولكن على اقتصاد في الصنعة . ومن هنا يمكن اخضاع فن الوصف عنده لمظهرين مظهر القديم كوصف الظلل الذي يفتح به قصائده المدحمة جريا على عادة شعراء الجاهلية . على أنه ميز وصفه للظل بشجو خاص عوليد ديباجته التي عدت مضرب الأمثال ، فهو يأتي بالصور والايحاء ، والمعانى المكررة ، مضميا عليها ايقاعا موسيقيا كثير الشجو يبعث فيها الحياة والحركة . فالظل هو أكرس الموضوعات التي تدخل تحت وصفه القديم ، واستيفاء سنة المدح . واذعانا للتقيد الشعري ، فلا مجال لاتخاذ دلالته على تأثره بالبداوة بقسدر ما يمكن أن تتخذه مجالا لاظهار تقيده بحدود الشعر المتبعة .

كما يدخل تحت مظهر القديم في وصفه ، وصف المحبوبة ووصف الناقة . على أن وصفه هذا يتصف بالترابط والتماسك .

أما المظهر الثاني فهو الوصف الجديد ، فالشاعر بعد انتقاله الى اضرة الخلافة ، وتردده هناك ، جعله يرى ما أبدعته الدولة

من عمران وفيه . فوقف أمام هذه الحضارة مشدونا ، فوصفها وصفا رائعا ولعل أبرز ما قاله في ميدان التجديد ، وصف القصور والبرك ووقفته الفريدة من نوعها أمام ايوان كسرى ، ووصفه المراكب في البحر ويظهر في أوصافه هذه أثر الحضارة ، كما تبعد والبراعة الفنية والربط بين الألفاظ والمعاني والقدرة على تشخيص الموصوفات وبث الحياة فيها .

ومن خصائص وصفه أن أكثره يأتي في قصائد المدح ويظهر هذا جليا في وصف القصور ، وأوصافه مرتبطة بالمدنية العباسية ، والشاعر الموفق هو الذي يعيش زمانه ويجود في نقل مجتمعه الى صفحات التاريخ شعرا جيدا رصينا .

ومن خصائص وصفه أيضا أن يعتمد نوعا من الخيال الحسى الذى يقارن فيه بين مشهد وآخر ، فهو خيال يقرب الأشياء بعضها الى بعض وهذا يظهر في مثل وصفه للقصر الكامل ، فخياله خيال ناقل هصور . كما تكثر في أشعاره الايقاعات الغنائية التى أقرب ما تكون الى الهمس الوجدانى وهناك خاصية جازاهرة في شعره الحربى فهو يشير الى المعركة ويلمح لمحات سريعة وكأنه يطبق قاعدته " والشعر لمح . . . " فهو يعتمد هذا في وصفه للمعارك ان لا تظهر لنا الموقعة وانما يشير اليها اشارة سريعة كما سبق . على أنه برع في وصف المعركة البحرية بين المسلمين والروم ، وان كان في بعض الأبيات يرتد بخياله الى البادية حين يشبه ضجيج البحر بين رماح المحاربين بترديد صوت المسن من الابل .

أما في وصفه للرياح والقصور ، فنرى الدقة والخيال والقدرة على التعبير والتشخيص . ولعل السبب في اجادته وصفها أنه شاهد لها عن كثب ، أما المعارك فتمثلها تشلا في ذهنه . ولهذا يذهب أكثر النقاد الى أن البحترى شاعر العمران والطبيعة أكثر منه شاعر الحروب والمعارك وهذه حقيقة لا جدال فيها .

كما تمتاز بعض أوصافه بالواقعية ، وهذا مثل وصفه لمعركة أنطاكية حيث نقل لنا الصورة كما هي ، فصور أنوشروان واللباس والجنود والعلم . . . وهذا يدل على براعته الفائقة ، حيث صور المرثيات وعرضها بألوان خلابة

على أنه لا ينتقل في وصفه انتقالا مفاجئاً ، وقد ذهب الكتاب الى أن هذا يدل على تطور الوصف عنده .

ومن خصائص وصفه كذلك أنه يتصف بوضوح الصور ، واتساق التأليف وموسيقى التعبير ، وسلامة الديباجة ، ورقة الصياغة . وهذا هو الذي حدا بالنقاد الى تشبيه شعره بسلاسل الذهب ، لما فيه من تناسب واتسجام وتماسك . كما أن ابن رشيق يعده شيخ الصناعة . ووصف شاعرنا بـ « صور وجوه الحضارة والترق المادي الذي بلته عصره ، ويزر هذا في وصفه للرياس » .

كما أنه ينسق أجزاء قصائده الوصفية ، ويقرن الحسن بالخيال قرناً جميلاً ، كقصيدته في وصف الذئب .

كما يمتاز وصفه بوفرة الصور وجمالها على أن أكثرها واقعية فيها سذاجة بدوية ، وفيها طرافة ودقعة ، وفيها قوة وإحساس وحركة .

ووصفه للعرمان فريد من نوعه يطلع فيه مستوى رفيعاً من الابداع فهو يكاد يكون منفرداً فيه . وقد ذهب بعضهم الى أن الشاعر وان لم يكن من أصحاب الخيال الجبار الذي يجلى الواقع بما بينى من تصورات رهيبة مدهشة ، وآفاق خيالية فسيحة مع هذا بلغ من الروعة في وصف العرمان درجة عالية ، بارعة في التفاصيل ، والدقعة في رسم هذه التفاصيل رسماً حسياً يجعلنا نلمسها بأيدينا ، ونؤمن في أعيننا ، وهناك أيضاً الصور الخالية الطريفة التي يلجأ اليها أحياناً .

وتتمتاز معانيه في الوصف بحسن السبك وتتابع أجزاء القصيدة وبالأخص في وصفه للطبيعة ، فالبحترى فتنن بمظاهر الطبيعة ومن يستمع الى شعره في هذا الباب يشعر بأن بينه وبين الربيع وشائج قرى فهذا بالألوان يرصف الزهر ، وهذا بالألحان يرصف الشعر عذوبة ورقة كما يقول الصيرفي .

والبحترى في وصفه للطبيعة ابتدع معاني طريفة خاصة يتوفر فيها على اختيار التفاصيل الطريفة المحسوسة ، وذلك ليؤلف لوحات متناسقة . كما أنه استمد معانيه من وحى الخيال وجمال الطبيعة لا من قضايا المنطق

ولهذا اتصفت معانيه بعدم التعقيد والتجزئة .

ومن خصائص وصفه أنه أداة من أدوات التعبير الشعري عن خلجات وهواجس  
تضطرب في نفسه ، فهو يجد متعة في أن يتناول بالوصف كل جميل  
يصادفه . ووصفه كما تقدم يقوم على نصيب من الخيال فتقدم الألوان  
والأضواء قوية ساطعة ١

وفي أكثر أوصافه إيقاع موسيقى كثير الشجو يبعث فيها الحياة وذلك لتكرار  
المعاني الذي حمده عليه النقاد .

ابن الأثير يرى أن شعر البحترى فنساءً موسيقى من حيث رقة النظم والاسلوب  
إذ يقول في المثل السائر : " وأما أبوعبادة البحترى فإنه أحسن في سبك اللفظ  
على المعنى وأراد أن يشعر ففنى . ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على  
الاطلاق . . . أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء في اللفظ المصوغ  
من سلاسة الماء . . . " .

يقول بعض الكتاب : " . . . البحترى يتجلى بجطل الديباجة ، وبراعة الوصف  
والتصوير ، ولا سيما في وصف الطبيعة وماظاهر العمران ، يسمو به خيال لطيف يسبح  
في سما صافية الأديم معطرة الأرجاء عليلة النسليم . . . " .

ويقول آخر : " إن البحترى في وصفه بصفة عامة يعتبر إما ما لشعراء الوصف في العربية  
وهو يعتمد إلى الخيال أكثر مما يعتمد إلى الفكرة ويركن إلى حسن الديباجة واللفظ  
السهل والمعنى السريع الفهم مع فرام بالمحسنات البديعية البعيدة عن الغلو  
برئ من الاسراف " .

## منزلة البحترى فى شعر الوصف

واستاذيته للشعراء فيه  
 .....

البحترى شاعر وصاف فريد ، فلقد رزق قدرة على اجادة الوصف  
 مما جعله يبذ أقرانه من الشعراء ، ويحلق فى أجواء بعيدة حتى  
 صار اماما لمن جاء بعده . علاوة على أن تميزه فى فن الوصف جعله  
 زعيم هذا الفن فى العصر العباسى .

ان شاعرنا يحتل منزلة عالية ومكانا موقعا بين الشعراء مما جعل  
 أبا تمام يشهد له بامارة الشعر ، يضاف الى هذا اسقاطه خمائة  
 شاعر كما يقول الأمدى . وكونه الشاعر الرسمى للدولة طوال عشرات  
 السنين .

وللبحترى عنده قصائد تعتبر من عيون الشعر العربى جعلته يحتل  
 مركز الزعامة ، فهو أول من انطلق فى ميدان الوصف العمرانى فى بابيه  
 الواسع وبلغ القمة فى ذلك .

ولعل من ذلك وصفه لايوان كبرى ، حيث أضاف نوعا جديدا  
 الى الشعر العربى ، وهو البكاء على الممالك الزائلة ووصفها ، فلقد أطل  
 الشاعر بهذا الغربى .

وكذلك وصفه للمعمارك البحرية حيث ذهب النويرى الى أنه لم يصف  
 أحد من المتقدمين والمتأخرين القتال فى المراكب الا البحترى . كما ذهب  
 البعض الى أنه لم يأت بعد البحترى من هو أطبع على قول الشعر ولا أبدع  
 منه فى الخيال الشعرى .

يقول بعض الكتاب ، " ان كلا من يرحاء الداريات فى المشرق وفى  
 الأندلس كانوا بلا شك عبالا على فن البحترى فى وصفه لقصور  
 العباسيين " .

وهكذا سبق البحترى فى هذه الأقران من جاء بعده ، فهو  
 الذى وجههم اليها ، فصار استاذا واماما لهم ، يقتفون أثره ويحاولون

أن يصلوا الى ما وصل اليه فأخذوا يعارضونه في قصائدهم ، فهذا أمير الشعراء أحمد شوقي عارض سينية البحترى في وصف الايوان ، بقصيدته السينية التي وصف بها قصر الحمراء في الأندلس عندما نفى الى هناك ، والمسمى يقول في مطلقها :

اختلاف النهار والليل ينسى      فاذكرا لي الصبا وأيام أنسى  
ولقد صرح أمير الشعراء في اتباعه في هذا الوصف للبحترى فقال: " ٠٠٠ وكان  
البحترى رحمه الله رفيقى في هذا الترحال وسميرى في الرحال ٠٠٠ فأنه  
أبلغ من جلى الأثر وحيا الحجر ونشر الخبر ٠٠٠ " .

وهذا القول يصور لنا ما كان يجول في نفس شوقي ، وكيف كان روح  
البحترى يطيف به ، وهو يطوف بقصر الحمراء كما يقول زكي مبارك في الموازنة  
بين الشعراء .

وليس شوقي الوحيد في معارضة البحترى ، فهناك الشاعر محمّد  
الهرراوى الذى نظم قصيدة سينية عن أبي الهول فيها معنى المعارضة  
لشاعرنا ويقول منها :

|                             |                         |
|-----------------------------|-------------------------|
| نبيء الناس يا أبا الهول أنا | أمة كالحديد صلب المجس   |
| لم يعبنا أنا أبلتنا شعوب    | ويلونا الشعوب من كل جنس |
| كل من ساءنا أدقناه سوءا     | بيد الله كل كأس يكأس    |

وللهراوى أيضا قصيدة سينية أخرى وهى بلا شك من وحن البحترى وهى  
القصيدة التى وقف بها على دار الشيخ محمد عبده رحمه الله في عين شمس .  
وهناك شعراء آخرون كثيرون أثرت بهم مدرسة شاعرنا البحترى في وصف الممالك مثل  
جرج صيدح ، وغيره .

ولا تقتصر أستاذية البحترى عند هذا الحد ، فلقد صار  
استادا للشعراء في البعد عن التعقيد ، ومستكره الألفاظ ، ووحشى  
الكلام ، وفريب الاستعارات ، حيث اقتفى أثره في ذلك أكثر الشعراء كأبى  
فراس الحمدانى ، كما جواره أبو الطيب المتنبى في بعض معانيه .

ولو بحثنا عن أسباب هذه المنزلة الرفيعة التى احتلها شاعرنا والاجسادة

العظيمة في الوصف لوجدناها تكلمن في :

- ١- خياله الصافي وقدرته على تصوير الأشياء بدقّة وبراعة .
- ٢- حسّه المرهف ، وسرعة تأثره .
- ٣- نشأته في البادية في منبج فلقد شب في بيئة عابقة ببدايح الطبيعة ومظاهرها ، وترعرع في طيء حيث أخذ العريضة من معينها الصافي الخالص .
- ٤- انتقاله الى العراق حيث رأى الحضارة وشاهد العمران .



## الخاتمة

هكذا رافقنا هذا الشاعر الفحل ، رافقناه في منبج ، وبطيان ، وحلب ، وفي مضارب طى ، فرأينا نهمل من معين العربية الصافي الخالص ، الذي لا تشوبه شائبة ، فأثر ذلك كل التأثير في شعره ، وسمعنا شعره منذ صغره وقد ابتدأه بالمدح ، وما ذلك الا للفقر المدقع الذي ألم به لوفاة أبيه . ولكنه أن جرى الشعر على لسانه عذبا سائفا فسيحا بعد أن صقله أبو ثمام ووجهه التوجيه الناجح فرأى شاعرنا أن موطنه وقامه أعلى مما هو فيه ، فشد رحاله الى العراق الى عاصمة الخلافة حيث التقى بكثير من الرجال ولكن عمته كانت عالية لا تقتصر عند هذا الحد فأراد أن يكون له مكان بين الخلفاء والوزراء ، فتم له ما أراد بفضل ما رزق من شاعرية ، ورأينا يعيش أعواما طويلة في العراق يلم بين الفينة والفينة ببلده الشام ولكنه لا يلبث أن يعود أدراسة العراق ، فهو شاعر الدولة والخليفة وخاصة المتوكل الذي أقام معه أعواما كثيرة حتى صار له من جـراء ذلك المقام الأول عند الخليفة . فعاش في ترف ونعيم وهز وقهارة ، وأمتلك الضياع التي لا حصر لها . ولكن هذا النعيم لم يدم فنراه يخرج من العراق بعد اتهامه بالثنوية على أمل رجوع لم يتحقق . فقام في بلدته منبج ثم هوى نحوه المضى بعد أن ترك لنا هذا الانتاج الضخم .

ومرة ثانية رافقنا شاعرنا في شعره وشاعريته ، وأقراص الشعر التي طرقها فرأينا قومات شعره ، وأسباب شاعريته ومقدارها وآراء النقلا والأدبا ، وجلنا جولة سريعة في أقراصه الشعرية .

ثم وصلنا المرحلة الثالثة بل المرحلة الطويلة انها مرحلة " الوصف " ذلك الغرض الذي امتاز به شاعرنا ، ولقد اتسع صدر الشاعر فيه كوضحيته في تجواله في ايوان كسرى فأرانا معالمه ومقاييسه وما احتوى عليه . ثم انطلق بنا الى تلك القصور الشامخة التي تشبه ناطحات السحاب في هذا العصر ، وترددنا بصحبه فسى رد هاتها القسيحة ، وتجولنا بين حدائقها اليانعة ومربنا من بركنها وأنهاها . ثم الطبيعة حيث الزهور والورود والأطيار والبروق والرعود ، ان البحترى في نهاية المطاف أحس بما ألهمنا من الاجهاد لطول العدة التي نعمنا فيها برؤية جمال الطبيعة ، حيث رأنا بحاجة الى ما ينقلنا فوجد الخيول خير ذلك فجلاها لنا وأرانا ألوانها وأنواعها وثنى بالابل النجبية التي تقطع الفيافي القفار ، ولما كنا فسى الصحراء أرانا الذئاب وغيرها وقص علينا معركة مع المذئب ، واستطرد الحديث

الى ذكر الأسود وبالأخص ذلك الأسد الذى صرعه الفتح بن خاتان . وقد كانت  
الخيول سريعة حيث وصلت بنا العراق والشام فرسم لنا معالم حضارة وطبيعة  
هذه البلاد ، ثم طلب منا أن نراققه الى شىء أشد هولاً ورهبة من الصحارى  
وحيواناتها الضارية ، الى المعارك الطاحنة بركة ، وبحرية فأرانا المعارك البحرية  
التي لم نرها عند غيره من الشعراء . وعرض علينا المشاركة فى هذه المعارك فأعطانا  
السيوف البواتر الماضية ، وكان شاعرنا على موعد فى يوم من الأيام فعاد بنا الى  
العراق ثانية حيث أرانا المواكب التي تجرى عرضاً وطولاً فى البلاد ، وكان اليوم عيداً ،  
فرأينا بصحبة الشاعر خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر ومارأى فقه من أبهة وعظمة ،  
كما وقفنا على الأطلال الدارسة الى غير ذلك من المتنوعات .

كان الباحثرى فى هذه الأثناء ينعم بأطيان محبوباته ، ووصف ما ألم به من تلك ،  
الأطيان حيث اشتهر بهذا النوع من الوصف . وان السؤال الذى يتردد بعهد ،  
ذلك هو : هل استمر الشاعر فى قوة وعنفوان ؟ لأعتقد ذلك فيها هو الشيب ،  
ينعمه وهامى السنوات تهده . فتبتعد عنه الحسنات فيحاول أن يقتنعهن ،  
أن هذا جلال ووقار ، ويضرب الأمثلة على ذلك ، ولكن هيئات .

وبعد أن راقنا شاعرنا فى هذا التجول الطويل فى الوصف وأينا خصائص  
هذا الوصف ، ومعانيه وأخيلته ، ثم منزلة هذا الشاعر والذي يعتبر استاذنا لمن  
جا بعده من الشعراء .

وأخيراً أرجو أن يكفل الله عملي هذا بالنجاح والتوفيق والرضا . انه سميع  
مجيب .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

مراجع البحث ومصادره

- ١ - أبو عبادة البحتري (الشوايح)
  - ٢ - أخبار البحتري
  - ٣ - الأدب العربي وتاريخه في العصر العباسي
  - ٤ - الأدب العربي في ظلال الأمويين والعباسيين
  - ٥ - أدباء العرب في العصر العباسي
  - ٦ - أسس النقد الأدبي عند العرب
  - ٧ - إيجاز القرآن
  - ٨ - أعلام النبلاء
  - ٩ - أغاني الطبيعة
  - ١٠ - الأغاني
  - ١١ - أمراء الشعر العربي في العصر العباسي
  - ١٢ - أمالي المرتضى
  - ١٣ - البحتري (التوايح)
  - ١٤ - البحتري (أعلام الفكر العربي)
  - ١٥ - البحتري دروس وتحليل
  - ١٦ - تاريخ الأمم والملوك
  - ١٧ - تاريخ الدولة العباسية
  - ١٨ - تاريخ بغداد
  - ١٩ - تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي
  - ٢٠ - تاريخ الأدب العربي
  - ٢١ - تاريخ الأدب العربي
  - ٢٢ - تاريخ الأدب العربي
  - ٢٣ - تاريخ الأدب العربي
  - ٢٤ - تاريخ الأدب العربي
  - ٢٥ - تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني
- د / محمد صبري  
أبو بكر الصولي  
محمود مصطفى  
د / عبد المنعم خفاجي  
د / حسن جيد  
د / عبد الحميد المسلول  
بدر من البستاني  
د / البدوي  
الباقر اللاني  
الطباخ  
د / الحوفي  
أبو الفرج الاصفهاني  
أنيس المقدسي  
الشريف المرتضى  
د / البدوي  
عبد الميم مرعشلي  
اسحاق كنعان  
الطبري  
الخضري  
البغدادى  
السباعي بيومي  
الزيات  
حنا الفاخوري  
عمر فرخ  
بروكلمان  
ابراهيم أبو الخشب  
د / شوقي ضيف

اسم سوزان الشيخ  
والسار المحققه  
ابو الطباخ

الشيخ  
الطباخ

- ٢٦- تاريخ آداب اللغة العربية  
٢٧- تاريخ الشعر العربي  
٢٨- تجريد الأغاني  
٢٩- حياة البحترى وفنّه  
٣٠- حماسة البحترى  
٣١- الحياة الأدبية في العصر العباسي  
٣٢- خزنة الأرب  
٣٣- ديوان البحترى  
٣٤- ديوان المعانس  
٣٥- الرؤوس  
٣٦- زهر الآداب  
٣٧- شعر الطبيعة في الأدب العربي  
٣٨- شعر الطبيعة  
٣٩- شعر الحرب في أدب العرب  
٤٠- الشعر والشعراء  
٤١- الشعراء وانشاد الشعر  
٤٢- طبقات فحول الشعراء  
٤٣- طبقات الشعراء  
٤٣- طيف الوليد أو حياة البحترى  
٤٤- غبث الوليد  
٤٥- عبقرية البحترى  
٤٦- العصر العباسي  
٤٧- العقد الفريد  
٤٨- العمدة في صناعة الشعر ونقده  
٤٩- الفن ومذاهبه في الشعر العربي  
٥٠- فن الصرف  
٥١- الفهرست  
٥٢- الكامل في التاريخ  
٥٣- المثل السائر
- جرجى زيبدان  
نجيب البهديستي  
ابن واصل الحموي  
د / البدوي  
أبو عبادة البحترى  
د / عبد الصنع خفاجي  
البغدادي  
تحقيق حسن كامل الصيرفي  
ابو هلال العسكري  
مارون عبود  
الحصري  
د / سيد نوفل  
السحرتي  
زكي المحاسني  
ابن قتيبة  
علي الجندي  
ابن سلام الجمحي  
ابن المعتز  
عبد السلام رستم  
ابو العلاء المعري  
عبد العزيز سيد الأهل  
جورج غريب  
ابن عبد ربه  
ابن رشيقي  
د / شوقي ضيف  
إيليا حاوي  
ابن النديم  
ابن الأثير  
ابن الأثير

- ٥٤- مختار الأغاني  
ابن منظور
- ٥٥- مرج الذهب  
المسعودي
- ٥٦- المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها  
د / عبد الله الطيب المجدوب
- ٥٧- المرأة في شعر البحترى  
دكتورة / نعمات أحمد فؤاد
- ٥٨- معالم الشعر وأعلامه  
د / محمد نبيه حجاب
- ٥٩- معاهد التنصيص  
العباسي
- ٦٠- معجم البلدان  
ياقوت الحموي
- ٦١- معجم الأدباء  
ياقوت الحموي
- ٦٢- من حديث الشعر والنثر  
د / طه حسين
- ٦٣- الموازنة بين شعراين تمام والبحتري  
الأمدي
- ٦٤- الموازنة بين الشعراء  
زكي مبارك
- ٦٥- الموشح  
المرزباني
- ٦٦- نزهة الأبصار  
عبد الله بن أحمد بن درهم
- ٦٧- النقد الادبي حول أبي تمام والبحتري  
محمد علي أبو حمدة
- ٦٨- النقد الضمحي عند العرب  
د / محمد مندور
- ٦٩- نهاية الأرب  
النويري
- ٧٠- الوساطة بين المتنبي وخصومه  
الجرجاني
- ٧١- وصف الطبيعة وتطورها في الشعر العربي  
مجموعة من المؤلفين
- ٧٢- الوصف فنون الادب العربي  
وضع مجموعة من الأدباء
- ٧٣- وفيات الأعيان  
ابن خلكان
- ٧٤- يتيمة الدهر  
الشعالبي
- ٧٥- دراسة سنية البحترى  
د / عبد السلام سرحان

فهرس موضوعات البحث

| الموضوع                                            | الصفحة |
|----------------------------------------------------|--------|
| <u>الباب الأول : حالة العصر</u>                    |        |
| <u>الفصل الأول :</u>                               | ١      |
| ١- الحياة السياسية في العصر العباسي                | ١      |
| ٢- الحياة الاجتماعية في العصر العباسي              | ٥      |
| ٣- الحياة العقلية والأدبية في العصر                | ٨      |
| الشعر وخصائصه في العصر العباسي                     | ١٢     |
| <u>الفصل الثاني : حياة البحتري</u>                 | ١٧     |
| نسبه ونشأته                                        | ١٧     |
| رحلته الى حلب والتقاؤه بعلوة                       | ٢٠     |
| اتصاله بأبي تمام                                   | ٢١     |
| وصية أبي تمام للبحتري                              | ٢٢     |
| تأثر البحتري بأبي تمام                             | ٢٥     |
| اعترافه له بالأستاذية                              | ٢٧     |
| ارتحاله الى العراق واتصاله بالخلفاء ورجالات الدولة | ٢٩     |
| خروجه من العراق ووفاته                             | ٣٣     |
| عقيدته الدينية والسياسية                           | ٣٤     |
| صفاته وأخلاقه                                      | ٣٦     |
| آثاره                                              | ٤١     |
| <u>الفصل الثالث :</u>                              | ٤٣     |
| شعر البحتري ومميزاته                               | ٤٣     |
| شاعريته وآراء النقاد والأدباء فيها                 | ٤٧     |
| نظرة سريعة في أفراس الشعر التي طرقها               | ٥٢     |
| ١- المدح                                           | ٥٣     |
| ٢- الهجاء                                          | ٥٤     |
| ٣- الفخر                                           | ٥٦     |
| ٤- المنزل                                          | ٥٨     |

الموضوع الصفحة

٥- الرثاء . ٦٠

٦- العتاب والاعتذار . ٦١

٧- الحكمة . ٦٢

الباب الثاني : الوصف في شعر البحري .

الفصل الأول : ٦٣

تطور الوصف في الشعر العربي الى عصر الشاعر . ٦٣

وصف ايوان كسرى . ٦٦

الفصل الثاني : ٧٩

١- وصف القصور العباسية : ٧٩

الجعفرى وبركته . ٧٩

الكامل . ٨٥

المعشوق و المشوق . ٨٨

الصبيح والطيح . ٨٩

الساج والبرج . ٩١

الزور . ٩٥

الفردي . ٩٣

قصور الفتح . ٩٤

٢- الطبيعة ( الريح والرياح والسحب والبرق والمطار وغيرها ) . ٩٥

٣- وصف المدن والأقاليم . ١٠٦

(أ) وصف الشام . ١٠٦

(ب) وصف العراق . ١١٠

٤- وصف الحيوانات . ١١٣

وصف الذئب . ١١٣

= الأسد . ١١٧

= الخيول . ١٢٠

= الناقة . ١٢٩

٥- وصف المعارك والسيوف . ١٣١

| الموضوع                                          | الصفحة |
|--------------------------------------------------|--------|
| المعارك البحرية                                  | ١٣١    |
| المعارك البرية                                   | ١٣٦    |
| السيوف                                           | ١٤٠    |
| ٦- وصف الطيف والشيب                              | ١٤١    |
| (أ) الطيف                                        | ١٤١    |
| (ب) الشيب                                        | ١٤٥    |
| ٧- وصف المواكب وغيرها                            | ١٤٧    |
| موكب الخليفة المتوكل                             | ١٤٧    |
| وصف دخول البحترى على الفتح                       | ١٥٠    |
| أوصاف متنوعة                                     | ١٥١    |
| <u>الفصل الثالث:</u>                             | ١٥٤    |
| خصائص شعر الوصف عند البحترى وأراء النقاد فيه     | ١٥٤    |
| منزلة البحترى في شعر الجوف واستاذيته للشعراء فيه | ١٥٨    |
| الخاتمة                                          | ١٦١    |
| مراجع البحث ومصادره                              | ١٦٣    |
| فهرس الموضوعات                                   | ١٦٦    |

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX  
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXX